

L O U I S   S A C H A R

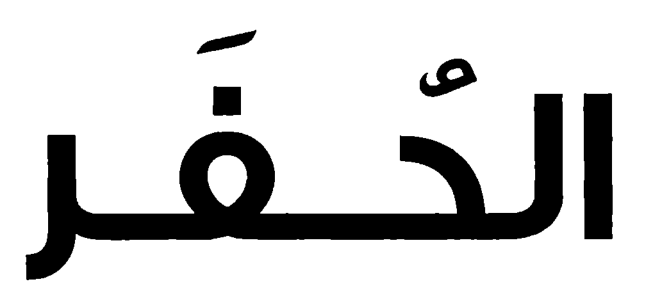
الحَفر

لويس ساكار

ترجمة: لميس فؤاد اليحيى

الأهلية

لويس ساكار



ترجمة: لميس فؤاد اليحيى



الحُفَر



الأهليّة للنشر والتوزيع
alahlia@nol.com.jo
alahlia@nets.jo

الفرع الأوّل (التوزيع)
المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، وسط البلد، بناية 12
هاتف 4638688 6 00962، فاكس 4657445 6 00962
ص. ب: 7855 عمّان 11118، الأردنّ

الفرع الثاني (المكتبة)
عمّان، وسط البلد، شارع الملك حسين، بناية 34

◆

الحُفَر
تأليف
لويس ساكار
ترجمة
لميس فؤاد اليحيى

◆

الطبعة العربية الأولى 2014

◆

الصف الضوئي: إيمان زكريا، عمان هاتف: 097/534156

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٣٥٠٦/ ٧/ ٢٠١٤
الترقيم الدولي: ISBN: 978-9957-39-044-0

الحُفَر

الحائزة على ميدالية نيوبيري

الحائزة على جائزة الكتاب القومي

الحائزة على جائزة *بوسطن غلوب - هورن بوك*

أفضل كتاب للبالغين الشباب لدى جمعية المكتبات الأميركية

الكتاب البارز لدى جمعية المكتبات الأميركية

الاختيار الأول لدى جمعية المكتبات الأميركية

الحائز على جائزة كريستوفر للأدب الروائي للشباب

نيويورك تايمز بوك ريفيو

كتاب السنة البارز للأطفال

معرض *هورن بوك*

كتاب السنة الأفضل لدى *ببلشرز ويكلي*

كتاب الشريط الأزرق لدى *بوليتن*

كتاب السنة الأفضل لدى *سكول لايبراري جورنال*

إلى شيري، وجيسيكا، ولوري، وكاثلين، وإيميلي

وإلى جودي آلن،
معلمة الصف الخامس التي يمكننا جميعاً أن نتعلم منها

«أحجية تركيب **ذكية** في رواية.»

- نيويورك تايمز بوك ريفيو

«مغامرة **مشوّقة** قاسية.»

- سكول لايبراري جورنال

«نسج الحبكة الإبداعي والشخصيات التي **لا تُنسى** جعلا هذه الرواية تفوز بجوائز.»

- بوك ماغازين

الجزء الأول

أنت تدخل إلى مخيم غرين ليك



1

لا توجد هناك بحيرة في مخيم غرين ليك. لقد كانت توجد هنا ذات مرة بحيرة كبيرة جداً، أكبر بحيرة في تكساس. لقد كان ذلك قبل مائة عام مضى. والآن هي مجرد قفر مسطح جاف.

كما كانت توجد من قبل بلدة غرين ليك، أيضاً. وقد ذوَت البلدة وجفت مع البحيرة والناس الذين كانوا يعيشون هناك.

خلال الصيف، كانت درجة الحرارة خلال النهار تحوم حول خمس وتسعين درجة في الظل - إذا كان بإمكانك العثور على أي ظل، إذ ليس هناك الكثير من الظل في بحيرة جافة كبيرة.

وكانت الأشجار الوحيدة هي شجرتا سنديان عند الحافة الشرقية «للبحيرة»، وكانت هناك أرجوحة شبكية تمتد بين الشجرتين، وكوخ خشبي يقف خلفها.

لقد كان محظوراً على المخيّمين الاستلقاء على الأرجوحة، فهي تخص الحارس، والحارس يمتلك الظل.

وبعيداً، عند البحيرة، كانت الأفاعي الجرسية والعقارب تعثر على ظل تحت الصخور وفي حفر تم حفرها من قِبل المخيّمين.

وإليك قاعدة جيدة يجب أن تتذكرها عن الأفاعي الجرسية والعقارب: إذا لم تزعجها فإنها لن تزعجك.

عادة.

وتعرضك لعضة من عقرب أو حتى من أفعى جرسية لا يعتبر أسوأ شيء من الممكن أن يحدث لك، فأنت لن تموت.

عادة.

في بعض الأحيان سوف يحاول المخيِّم أن يتعرض لعضة من عقرب، أو حتى من أفعى جرسية صغيرة، وبعد ذلك سوف يضطر إلى قضاء يوم أو اثنين في خيمتة لكي يتعافى، بدلاً من الاضطرار إلى حفر حفرة هناك على البحيرة.

ولكنك لا ترغب في أن تتعرض لعضة من سحلية مرقطة ببقع صفراء، فذلك هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث لك، إذ أنك ستموت موتاً بطيئاً ومؤلماً.

دائماً.

وفي حال أنك تعرضت لعضة من سحلية مرقطة ببقع صفراء، فبإمكانك كذلك أن تدخل في ظل شجرتي السنديان وتستلقي على الأرجوحة الشبكية.

لن يكون هناك شيء يمكن لأي شخص أن يفعله لك بعد ذلك.

2

ربما يسأل القارئ: لماذا يود أي شخص أن يذهب إلى مخيم غرين ليك؟

لم يتم إعطاء معظم المخيّمين فرصة للاختيار. إن مخيم غرين ليك هو مخيم للفتيان الأشرار.

فإذا أخذت فتى شريراً وجعلته يحفر حفرة كل يوم في الشمس الحارقة، فإن هذا سوف يحوله إلى فتى طيب.

لقد كان ذلك هو ما كان يعتقده بعض الناس.

لقد تم إعطاء ستانلي يلناتس فرصة للاختيار. قال القاضي، «يمكنك أن تذهب إلى السجن، أو يمكنك أن تذهب إلى مخيم غرين ليك.»

لقد كان ستانلي من عائلة فقيرة، ولم يذهب أبداً إلى مخيم من قبل.

3

كان ستانلي يلناتس المسافر الوحيد في الحافلة، بدون عدّ السائق أو الحارس. كان الحارس يجلس إلى جانب السائق وقد أدار مقعده ليواجه ستانلي، وكانت هناك بندقية موضوعة على حجره.

كان ستانلي يجلس على بعد عشرة صفوف تقريباً إلى الوراء، وكان مكبل اليدين بقيود مربوطة بمسند المقعد الذي يلي مقعده. وكانت حقيبة الظهر الخاصة به موضوعة بجانبه، وكانت تحتوي على فرشاة أسنان ومعجون أسنان وعلبة قرطاسية أعطته إياها والدته. وقد وعد أن يكتب لها مرة، على الأقل، في الأسبوع.

نظر خارج النافذة، وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك الكثير لرؤيته - في معظمه حقول قش وقطن. لقد كان في رحلة طويلة بالحافلة إلى لامكان. ولم تكن الحافلة مكيّفة، وكان الهواء الثقيل الساخن خانقاً بقدر ثقل الأصفاد تقريباً.

لقد حاول ستانلي وأبواه التظاهر بأنه كان ذاهباً إلى المخيم لفترة قصيرة من الوقت، بالضبط كما يفعل الأولاد الأغنياء. وعندما كان ستانلي أصغر سناً، اعتاد أن يلعب بدمى محشوة على شكل حيوانات، وكان يتظاهر بأن الحيوانات كانت في مخيم. وكان يسميه مخيم المرح والألعاب. وكان في بعض الأحيان يجعلها تلعب كرة قدم

بكرية زجاجية (البُلي). وفي أحيان أخرى، كانوا يركضون في مضمار حواجز أو يقفزون بحبل من فوق طاولة وهم مربوطون بأشرطة مطاطية متشققة. والآن حاول ستانلي التظاهر بأنه كان ذاهباً إلى مخيم المرح والألعاب، وفكّر في نفسه، ربما يكوّن بعض الأصدقاء. على الأقل قد يسبح في البحيرة.

لم يكن لديه أصدقاء حيث كان يعيش. لقد كان يعاني من زيادة في الوزن، وكان الأطفال في مدرسته المتوسطة يسخرون منه في كثير من الأحيان بسبب حجمه. وحتى معلموه كانوا، في بعض الأحيان، يوجهون إليه تعليقات قاسية بدون أن يدركوا ذلك. وفي آخر يوم له في المدرسة، قامت معلمته الرياضيات، السيدة بيل، بشرح موضوع النسب الحسابية. ولإعطاء مثال، اختارت الطفل الأثقل وزناً في الصف والطفل الأخف وزناً وجعلتهما يقومان بوزن نفسيهما، فكان وزن ستانلي يعادل ثلاثة أضعاف وزن الصبي الآخر. وقامت السيدة بيل بكتابة النسبة على السبورة، 3:1، غير مدركة لمدى الإحراج الذي سببته لكليهما.

وتم إلقاء القبض على ستانلي في وقت لاحق من ذلك اليوم.

نظر إلى الحارس الذي كان يجلس باسترخاء في مقعده، وتساءل ما إذا كان قد غط في النوم. لقد كان الحارس يرتدي نظارات شمسية، ولذلك لم يتمكن ستانلي من رؤيه عينيه.

لم يكن ستانلي ولداً شريراً. لقد كان بريئاً من الجريمة التي اتهم بها. لقد كان فقط موجوداً في المكان الخطأ في الوقت الخطأ.

لقد كان كل ذلك بسبب جد جده سارق الخنازير الفاسد القذر السيئ!

ابتسم. لقد كانت طرفة عائلية. عندما كان يحدث أي شيء خطأ، كانوا دائماً يلومون جد جد ستانلي سارق الخنازير الفاسد القذر السيء.

من المفترض أنه كان له جد جد قام بسرقة خنزير من غجرية برجل واحدة، فألقت لعنة عليه وعلى سلالته كلها. ولم يكن ستانلي ووالداه يؤمنون باللعنات، بالطبع، ولكن عندما يحدث أي سوء، كان يبدو من المريح أن تكون قادراً على إلقاء اللوم على شخص ما.

كانت تحدث أشياء سيئة كثيراً، وكان يبدو دائماً أنهم يكونون في المكان الخطأ في الوقت الخطأ.

نظر خارج النافذة إلى الفراغ الشاسع، وراقب ارتفاع وانخفاض سلك الهاتف. وكان بإمكانه أن يسمع في عقله صوت والده الأجش يغني له بحنان.

«يا ليت، يا ليت،» تنهد نقار الخشب
«العواء على الشجرة كان أهدأ قليلا.»
عندما يتنظر الذئب في الأسفل، جائعاً ووحيداً،
يعوي نحو القمر مووووون (moo-oo-oon)
«يا ليت، يا ليت.»

لقد كانت أغنية اعتاد والد ستانلي أن يغنيها له. وكان اللحن عذباً وحزيناً، ولكن الجزء المفضل لستانلي كان عندما والده يصدر صوت عواء في كلمة «*moo-oo-oon*.»

ارتطمت الحافلة بمطب صغير، ما جعل الحارس يعتدل في جلسته ويتنبّه على الفور.

لقد كان والد ستانلي مخترعاً، ولكي تكون مخترعاً ناجحاً تحتاج إلى ثلاثة أشياء: الذكاء والمثابرة والقليل جداً فقط من الحظ.

وكان والد ستانلي ذكياً ومثابراً جداً. وقد بدأ ذات مرة مشروعاً بقي يعمل عليه لسنوات، وغالباً ما كانت تمر عليه أيام بدون نوم. إلا أنه فقط لم يكن أبداً محظوظاً.

وفي كل مرة كانت تفشل إحدى التجارب، كان بإمكان ستانلي أن يسمعه يشتم جد جده سارق الخنازير الفاسد القذر.

لقد كان والد ستانلي يدعى كذلك ستانلي يلناتس، وكان الاسم الكامل لوالد ستانلي هو ستانلي يلناتس الثالث. وستانلي الذي لدينا هو ستانلي يلناتس الرابع.

لقد أحب كل فرد في عائلة ستانلي دائماً حقيقة أن اسم «ستانلي يلناتس» كان يتهجأ بالطريقة ذاتها من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله، لذا فقد حافظوا على تسمية أبنائهم ستانلي. وقد كان ستانلي طفلاً وحيداً، كما كان كل ستانلي يلناتس آخر قبله.

وكان لديهم جميعاً شيء آخر مشترك، فعلى الرغم من حظهم الفظيع، بقوا دائماً متفائلين. كما كان والد ستانلي يحب أن يقول، «إنني أتعلم من الفشل.»

ولكن ربما كان ذلك جزءاً من اللعنة كذلك. فلو لم يكن ستانلي ووالده متفائلين دائماً، لما كانا يشعران بألم شديد في كل مرة كانت تتحطم فيها آمالهما.

وكثيراً ما كانت والدة ستانلي تلفت إلى أنه «ليس كل ستانلي يلناتس كان فاشلاً،» وذلك كلما شعر ستانلي أو والده بإحباط يجعلهما يبدآ فعلياً بالإيمان باللعنة. لقد كوّن ستانلي الأول، جد جد ستانلي، ثروة في سوق الأسهم. «من غير الممكن أنه كان غير محظوظ للغاية.»

وفي مثل هذه الأوقات كانت تتجاهل ذكر الحظ السيء الذي نزل بستانلي يلناتس الأول. لقد خسر ثروته بكاملها عندما كان ينتقل من نيويورك إلى كاليفورنيا، فقد سرقت عربته التي تجرها الخيول من قِبل الخارجة عن القانون كيت بارلو المقبِّلة.

ولولا ذلك لكانت عائلة ستانلي الآن تعيش في قصر على أحد شواطئ كاليفورنيا. وبدلاً من ذلك، كانت محشورة في شقة صغيرة جداً تنبعث منها رائحة حرق مطاط ورائحة أقدام.

ياليت، ياليت...

لقد كانت رائحة الشقة هكذا لأن والد ستانلي كان يحاول أن يخترع طريقة لإعادة تدوير أحذية رياضية قديمة. وقال، «إن أول شخص يجد استخداماً للأحذية الرياضية القديمة سوف يكون رجلاً ثرياً جداً.»

لقد كان هذا المشروع الأخير هو الذي أدى إلى اعتقال ستانلي. لقد أصبحت رحلة الحافلة أكثر وعورة لأن الطريق لم يعد مرصوفاً.

في الواقع أن ستانلي كان قد تأثرعندما اكتشف لأول مرة أن جد جده قد تعرض للسرقة من قِبل كيت بارلو المقبّلة. صحيح أنه

كان سيفضِّل العيش على الشاطئ في كاليفورنيا، ولكن كان لا يزال أمراً رائعاً أن يتعرض أحد أفراد عائلتك للسرقة من قِبل خارجة عن القانون مشهورة.

لم تقم كيت بارلو في الواقع بتقبيل جد جد ستانلي، وإلا لكان ذلك رائعاً حقاً، ولكنها كانت تقبّل فقط الرجال الذين كانت تقتلهم. وبدلاً من ذلك قامت بسرقته وتركته مقطوع السبيل في وسط الصحراء.

وكانت والدة ستانلي سريعة في لفت النظر إلى أنه «كان محظوظاً في بقائه على قيد الحياة.»

كانت الحافلة تبطئ من سرعتها، وأطلق الحارس صوت نخير وهو يمطط ذراعيه.

وقال السائق، «مرحباً بك في مخيم غرين ليك.»

نظر ستانلي خارج النافذة القذرة، ولم يتمكن من رؤية بحيرة.

وبالكاد كان هناك أي شيء أخضر.

4

شعر ستانلي بشيء من الدوار أثناء قيام الحارس بفك قيد يديه وإخراجه من الحافلة. لقد مكث في الحافلة لأكثر من ثماني ساعات.

قال سائق الحافلة، «كن حذراً،» بينما كان ستانلي ينزل الدرجات.

لم يكن ستانلي متأكداً مما إذا كان سائق الحافلة يعني أن يكون حذراً وهو ينزل الدرجات، أم أنه كان يخبره بأن يكون حذراً في مخيم غرين ليك، وقال، «شكراً على الرحلة». لقد كان فمه جافاً وحنجرته تؤلمه. داس على التراب القاسي الجاف، وكانت هناك عُصابة من العرق حول معصم يده حيث كان القيد موضوعاً.

لقد كانت الأرض قاحلة ومقفرة، ولم يتمكن من رؤية سوى بضع مبان مهدّمة وبعض الخيام. لقد كانت تلك الشجرتان هما الحياة النباتية الوحيدة التي استطاع رؤيتها، إذ لم يكن هناك حتى أعشاب ضارة.

قام الحارس بقيادة ستانلي إلى مبنى صغير، وكانت هناك لافتة على الواجهة مكتوب عليها، أنت تدخل إلى مرفق إصلاحية الأحداث في مخيم غرين ليك. وكانت توجد إلى جانبها لافتة أخرى جاء فيها أن إحضار مسدسات أو متفجرات أو أسلحة أو مخدرات أو مشروبات كحولية إلى داخل المبنى والمنطقة المحيطة به كان يعتبر انتهاكاً لقانون العقوبات في ولاية تكساس.

عندما قرأ ستانلي اللافتة لم يتمالك إلا أن يفكر ، حسناً، دوه!

وقام الحارس بقيادة ستانلي إلى داخل المبنى حيث شعر بارتياح سارّ من تكييف الهواء.

كان هناك رجل جالس وقدماه مرفوعتان فوق المكتب، وعندما دخل ستانلي والحارس أدار رأسه، وفيما عدا ذلك لم يتحرك. وعلى الرغم من أنه كان في الداخل، إلا أنه كان يرتدي نظارات شمسية وقبعة رعاة البقر. كما كان يحمل علبة مياه غازية جعلت ستانلي، عند رؤيتها، واعياً بعطشه حتى أكثر.

انتظر إلى أن قام حارس الحافلة بإعطاء الرجل بعض الأوراق لتوقيعها.

وقال حارس الحافلة، «ذلك قدر كبير من بذور دوار الشمس.»

لاحظ ستانلي وجود كيس من الخيش مملوء ببذور دوار الشمس على الأرض بجانب المكتب.

قال الرجل الذي يرتدي قبعة رعاة البقر، «لقد أقلعت عن التدخين في الشهر الماضي. وكان يوجد على ذراعه وشماً لأفعى جرسية، وعندما قام بتوقيع اسمه، بدت أجراس الأفعى كما لو كانت تهتز. «لقد اعتدت أن أدخن علبة سجائر في اليوم. والآن آكل كيساً من هذه كل أسبوع.»

ضحك الحارس.

لا بد أنه كانت هناك ثلاجة صغيرة خلف مكتبه، وذلك لأن الرجل الذي كان يرتدي قبعة رعاة البقر أحضر علبتي مياه غازية

أخريين. وللحظة تمنى ستانلي أنه ربما تكون واحدة منهما له، ولكن الرجل أعطى واحدة للحارس وقال إن الثانية كانت للسائق.

وتذمر الحارس، «تسع ساعات للوصول هنا، والآن تسع ساعات للعودة، يا له من يوم.»

فكر ستانلي برحلة الحافلة الطويلة والبائسة، وشعر بشيء من الأسف من أجل الحارس وسائق الحافلة.

بصق الرجل الذي يرتدي قبعة رعاة البقر قشور بذور دوار الشمس داخل سلة المهملات، وقام بعد ذلك بالمشي حول المكتب نحو ستانلي، وقال، «اسمي السيد سير، وفي أي وقت تتكلم فيه إلي يجب عليك أن تنادي باسمي، هل هذا واضح؟»

تردد ستانلي، وقال، «أوه، نعم سيد سير،» على الرغم من أنه لم يتمكن من تخيل أن ذلك كان حقاً هو اسم الرجل.

قال السيد سير، «أنت لم تعد من فتيات الكشافة.»

كان يتعين على ستانلي خلع ملابسه أمام السيد سير الذي تأكد من أنه لم يكن يخفي أي شيء. ومن ثم تم إعطاؤه مجموعتين من الملابس ومنشفة. وكانت كل مجموعة تتكون من بذلة برتقالية ذات أكمام طويلة، وقميص برتقالي ذي أكمام قصيرة، وجوارب صفراء. لم يكن ستانلي متأكداً مما إذا كانت الجوارب صفراء اللون أصلاً.

وقد تم إعطاؤه أيضاً حذاء رياضة أبيض، وقبعة برتقالية، ومطرة مصنوعة من بلاستيك ثقيل، والتي كانت، لسوء الحظ،

فارغة. وكان يوجد على القبعة قطعة قماش مخيّطة على الجزء الخلفي منها من أجل حماية الرقبة.

ارتدى ستانلي الملابس، وكانت تنبعث من الملابس رائحة صابون.

وأخبره السيد سير بأنه يتعين عليه أن يرتدي مجموعة للعمل ومجموعة للراحة. وكان الغسيل يتم كل ثلاثة أيام، ففي ذلك اليوم سيتم غسل ملابس العمل الخاصة به. ومن ثم ستصبح المجموعة الثانية هي ملابس العمل، وسيحصل على ملابس نظيفة ليلبسها أثناء الاستراحة.

«سيتعين عليك حفر حفرة واحدة كل يوم، بما في ذلك أيام السبت والأحد. ويجب أن تكون كل حفرة بعمق خمسة أقدام وبعرض خمسة أقدام في كل اتجاه. وسيكون جاروفك هو عصا القياس الخاصة بك. وسيكون الفطور عند الساعة 4:30.»

لا بد أن ستانلي بدا مندهشاً، وذلك لأن السيد سير تابع الشرح بأنهم كانوا يبدأون في وقت مبكر لتفادي الجزء الأشد حراً من اليوم. وأضاف، «لن يكون هناك أحد يرعاك كالأطفال، وكلما استغرقت وقتاً أطول في الحفر، ستبقى وقتاً أطول في الخارج تحت الشمس. وفي حال استخرجت أثناء الحفر أي شيء ذي أهمية، يجب عليك إبلاغي أو إبلاغ أي مرشد آخر بذلك. وعندما تنتهي، يكون باقي اليوم ملكاً لك.»

أومأ ستانلي برأسه لإظهار أنه فهم.

قال السيد سير، «هذا ليس مخيماً لفتيات الكشافة.»

وقام بتفتيش حقيبة الظهر الخاصة بستانلي وسمح له بالاحتفاظ بها. ومن ثم قاد ستانلي إلى الخارج في الحرّ المتأجج.

قال السيد سير، «إلق نظرة فاحصة جيدة من حولك، ماذا ترى؟ «نظر ستانلي عبر الأرض القاحلة الشاسعة. وبدا الهواء مليئاً بالحرارة والغبار، وقال، «ليس الكثير،» ثم أضاف على عجل، «سيد سير.»

ضحك السيد سير. «هل ترى أي أبراج مراقبة؟»

«لا.»

«وماذا عن الأسوار الكهربائية؟» «لا، سيد سير.»

«ليس هناك أي أسوار على الإطلاق، أليس كذلك؟» «لا، سيد سير.»

فسأله السيد سي، «هل تريد الهروب؟»

نظر ستانلي إلى الخلف نحوه وهو غير متأكد مما كان يعنيه.

«إذا أردت الهروب، هيا افعل ذلك، إبدأ بالجري. لن أوقفك.»

لم يعرف ستانلي أي نوع من الألعاب كان السيد ستانلي يمارسه.

«أرى أنك تنظر إلى مسدسي. لا تقلق، لن أطلق عليك النار.» وربت على جراب مسدسه. «هذا من أجل السحالي المرقطة ببقع صفراء. لن أضيّع رصاصة عليك.»

قال ستانلي، «لن أهرب.»

قال السيد سير، «تفكير جيد. لا أحد يهرب من هنا. نحن لسنا بحاجة إلى سور، هل تعلم لماذا؟ لأن لدينا مياهاً فقط على مسافة مائة ميل. هل تريد الهرب؟ ستكون طعاماً لصقر جارح في غضون ثلاثة أيام.»

كان بإمكان ستانلي أن يرى بعض الأطفال بالزي البرتقالي يحملون مجارف ويجرّون أنفسهم جراً نحو الخيام.

سأل السيد سير، «هل أنت عطشان؟»

قال ستانلي بامتنان، «نعم يا سيد سير.»

«حسناً، من الأفضل لك أن تعتاد على ذلك، فأنت سوف تعطش طوال الثمانية عشر شهراً المقبلة.»

5

كانت هناك ست خيام رمادية كبيرة، وكان يوجد على كل واحدة منها حرف أسود: أ أو ب أو ج أو د أو هـ أو و. وكانت الخيام الخمس الأولى للمخيّمين، وكان المرشد ينام في الخيمة و.

وتم تحديد الخيمة د لستانلي. وكان السيد بندانسكي هو مرشده.

قال السيد بندانسكي، «إن اسمي سهل التذكُّر،» وهو يصافح ستانلي خارج الخيمة. «ثلاث كلمات: بن، دانس، كي (قلم، رقص، مفتاح).» وعاد السيد سير إلى مكتبه.

كان السيد بندانسكي أصغر سناً من السيد سير، ولم يكن ذا شكل مخيف تقريباً بقدر ما كان السيد سير. وكان أعلى رأسه محلوقاً جداً لدرجة أنه كان أصلعاً تقريباً، ولكن وجهه كان مغطى بلحية سوداء مجعدة كثّة. وكان أنفه محترقاً بشدة من الشمس.

قال السيد بندانسكي، «إن السيد سير ليس سيئاً جداً في الواقع. إنه فقط في مزاج سيء منذ أن أقلع عن التدخين. إن الشخص الذي يتعين عليك القلق بشأنه هو مدير المخيم، فهناك في الواقع قاعدة واحدة في مخيم غرين ليك: لا تزعج المدير.»

أومأ ستانلي برأسه، كما لو كان قد فهم الأمر.

قال السيد بندانسكي، «أريدك أن تعرف يا ستانلي أنني أحترمك. أنا أعرف أنك ارتكبت بعض الأخطاء السيئة في حياتك، وإلا لما كنت هنا. ولكن الجميع يرتكبون أخطاء. وربما أنك فعلت بعض الأشياء السيئة، ولكن ذلك لا يعني أنك ولد سيء.»

أومأ ستانلي برأسه. كان يبدو من غير المجدي المحاولة وإخبار مرشده بأنه كان بريئاً. لقد خمّن أن كل شخص ربما قال ذلك. لم يكن يريد أن يعتقد السيد بن- دانس- كي أنه كان يتخذ موقفاً سيئاً.

وقال مرشده، «سوف أساعدك على تغيير حياتك نحو الأفضل، ولكن سيتعين عليك المساعدة، أيضاً. هل يمكنني الاعتماد على مساعدتك؟»

قال ستانلي، «نعم يا سيدي.»

قال السيد بندانسكي، «جيد،» وربت على ظهر ستانلي.

كان هناك صبيان، يحمل كل منهما جاروفاً، قادمين عبر المجمع. ناداهما السيد بندانسكي. «ريكس! آلن! أريدكما أن تأتيا لتقولا مرحباً لستانلي. إنه العضو الأجدد في فريقنا.»

حملق الصبيان بستانلي بسأم.

كانا يتصببان عرقاً، وكان وجهاهما متسخين جداً لدرجة أن ستانلي استغرق لحظة لملاحظة أن أحد الصبيين كان أبيضاً والآخر كان أسوداً.

سأل الصبي الأسود، «ماذا حدث لبارف باغ؟ (كيس التقيؤ)»؟

قال السيد بندانسكي، «لا زال لويس في المستشفى. لن يعود.» وطلب من الصبيين القدوم ومصافحة ستانلي وتقديم نفسيهما، «كسادة محترمين.»

قال الصبي الأبيض بصوت كصوت النخير، «مرحباً.»

قال السيد بندانسكي، «ذاك آلن.»

قال الصبي، «إن اسمي ليس آلن، إنه سكويد (الحبّار)، وذلك هو إكس ري (الأشعة السينية).»

قال إكس ري، «هيه،» وابتسم وصافح ستانلي. كان يرتدي نظارات، ولكنها كانت متسخة جداً لدرجة أن ستانلي تساءل كيف كان بإمكانه الرؤية من خلالها.

طلب السيد بندانسكي من آلن الذهاب إلى ريك هول وإحضار الصبيان الآخرين ليقابلوا ستانلي. ومن ثم أخذه إلى داخل الخيمة. لقد كانت هناك سبعة أسرّة، وكان كل سرير منها يبعد عن السرير الذي بجانبه مسافة تقل عن قدمين.

سأل السيد بندانسكي، «أي منها سرير لويس؟»

قال إكس ري، «بارف باغ كان ينام هنا،» وهو يركل أحد الأسرّة.

قال السيد بندانسكي، «حسناً، ستانلي، سيكون ذلك هو سريرك.» نظر ستانلي إلى السرير وأومأ برأسه. لم يكن متحمساً كثيراً بشأن النوم في ذات السرير الذي كان يستخدَم من قِبل شخص اسمه بارف باغ.

كانت هناك سبعة صناديق مكدسة في كومتين في أحد جوانب الخيمة. وكان الطرف المفتوح من الصناديق موجهاً نحو الخارج. وضع ستانلي حقيبة ظهره، وملابسه ومنشفته داخل ما كان صندوق بارف باغ. لقد كان في أسفل الكومة التي كانت مكونة من ثلاثة صناديق.

عاد سكويد ومعه أربعة صبيان آخرين. تم تقديم أول ثلاثة منهم من قِبل السيد بندانسكي على أنهم خوسيه وثيودور وريكي. وكانوا يسمون أنفسهم ماغنت (مغناطيس) وآرمبيت (الإبط) وزيغزاغ (المتعرج).

وأوضح السيد بندانسكي، «جميعهم لديهم أسماء مستعارة. على أي حال، أنا أفضِّل استخدام الأسماء التي أطلقها عليهم آباؤهم - الأسماء التي سوف يتعرف عليهم المجتمع بها في الوقت الذي يعودون فيه ليصبحوا أفراداً نافعين ومجدِّين في المجتمع.»

قال إكس ري للسيد بندانسكي، «إنه ليس مجرد اسم مستعار.» ونقر بخفة على حافة نظارته. «يمكنني أن أرى داخلك يا موم. لديك قلب كبير وخصب.»

والصبي الأخير إما أنه لم يكن له اسماً حقيقياً أو لم يكن لديه اسم مستعار، وكان كل من السيد بندانسكي وإكس ري يطلقان عليه اسم زيرو (صِفر).

وسأل السيد بندانسكي، «هل تعلم لماذا اسمه زيرو؟ لأنه لا يوجد شيء داخل رأسه.» وابتسم وهز كتف زيرو ممازحاً.

لم يقل زيرو أي شيء.

وقال أحد الأولاد، «وذلك هو موم.»

ابتسم السيد بندانسكي له. «إذا كانت تسميتك لي بموم تجعلك تشعر بارتياح، يا ثيودور، استمر في مناداتي بموم.» والتفت إلى ستانلي، «إذا كان لديك أسئلة، ثيودور سيساعدك. هل فهمت ذلك يا ثيودور، إنني أعتمد عليك.»

بصق ثيودور خطاً رفيعاً من اللعاب من بين أسنانه، ما جعل بعض الأولاد الآخرين يتذمرون بشأن ضرورة الحفاظ على «منزلهم» صحياً.

قال السيد بندانسكي، «لقد كنتم جميعكم جديدين هنا يوماً ما، وجميعكم تعرفون كيف يبدو ذلك. إنني أعتمد على كل واحد منكم ليساعد ستانلي.»

نظر ستانلي إلى الأرض.

غادر السيد بندانسكي الخيمة، وسرعان ما بدأ الأولاد الآخرون يخرجون بطابور كذلك، آخذين معهم مناشفهم وملابس الغيَار الخاصة بهم. شعر ستانلي بالارتياح بتركه لوحده، ولكنه كان يشعر بعطش شديد كما لو كان سيموت إن لم يحصل على شيء ما ليشربه على الفور.

وقال، «هيه، آه، ثيودور،» وهو يلحق به. «هل تعرف من أين يمكنني ملء مطرتي؟»

استدار ثيودور وأمسك ستانلي من ياقته، وقال، «اسمي ليس ثيودور، إنه آرمبيت.» وألقى بستانلي على الأرض.

رفع ستانلي نظره محملقاً في وجهه وهو مفزوع. «توجد حنفية ماء على جدار الحمام.» قال ستانلي، «شكراً... آرمبيت.» وبينما كان يراقب الصبي يلتفت ويبتعد، لم يتمكن أبداً من معرفة لماذا قد يرغب أحدهم أن يُدعى آرمبيت.

وبطريقة ما، جعله ذلك يشعر أفضل بشأن النوم في سرير كان يستخدَم من قِبل شخص اسمه بارف باغ. ربما كانت تلك عبارة فيها احترام.

6

استحم ستانلي - إذا كان بإمكانك تسميته كذلك، وتناول طعام العشاء - إذا كان بإمكانك تسميته كذلك، وذهب للنوم في السرير - إذا كان بإمكانك أن تسمي سريره المنتن الرائحة والخشن سريراً.

وبسبب قلة الماء، كان يُسمَح لكل مخيِّم بالاستحمام لمدة أربع دقائق. وكان ستانلي يستغرق تلك الفترة تقريباً ليعتاد على الماء البارد إذ لم يكن هناك مقبض للماء الساخن، وكان يواصل الدخول تحت رشاش الماء ومن ثم القفز بعيداً عنه إلى أن يتم إغلاق الماء آلياً. ولم ينجح أبداً في استخدام قالب الصابون الخاص به، وقد كان ذلك أفضل، لأنه لن يكون لديه وقت لشطف رغوة الصابون.

كان العشاء نوعاً من اللحم والخضار المطهوة بالغلي البطيء. كان اللحم بني اللون، وكانت الخضار خضراء ذات يوم. وكان كل شيء له المذاق ذاته إلى حد كبير. أكل الطعام كله، واستخدم شريحته من الخبز الأبيض لامتصاص العصير. لم يكن ستانلي أبداً ذلك الشخص الذي يترك طعاماً في صحنه، بصرف النظر عن مذاقه.

سأله أحد المخيّمين، «ماذا فعلت؟»

في البداية لم يعرف ستانلي ما الذي كان يقصده.

«لقد أرسلوك إلى هنا لسبب ما.»

«آوه،» أدرك قصده. «سرقت زوجاً من الأحذية الرياضية.»

كان باقي الأولاد يعتقدون أن ذلك كان مضحكاً، ولم يكن ستانلي متأكداً من السبب. ربما لأن جرائمهم كانت أسوأ بكثير من سرقة حذاء رياضي.

سأل سكويد، «من متجر أم كان في قدميّ أحدهم؟»

أجاب ستانلي، «لا هذا ولا ذاك. كان يخص كلايد ليفنغستون.»

لم يصدقه أحد.

قال إكس ري، «سويت فيت (الأقدام الحلوة)؟ نعم، صحيح!»

قال سكويد، «مستحيل.»

والآن، عندما استلقى ستانلي في سريره، فكّر أن ذلك كان مضحكاً نوعا ما بطريقة أو بأخرى. لم يصدّقه أحد عندما قال إنه كان بريئاً. والآن، عندما قال إنه قد سرقه، لم يصدقه أحد، أيضاً.

لقد كان كلايد «سويت فيت» ليفنغستون لاعب بيسبول مشهوراً، وقد قاد المنتخب الأميركي في القواعد المسروقة (stolen bases) على مدى السنوات الثلاث الماضية. كما كان اللاعب الوحيد في التاريخ الذي يحقق أربع ثلاثيات في مباراة واحدة.

لقد كان لدى ستانلي ملصق له معلق على حائط غرفة نومه. لقد اعتاد أن يكون لديه الملصق على أي حال، ولكنه لا يعرف أين

هو الآن. لقد أخذه رجال الشرطة وتم استخدامه كدليل إدانة في قاعة المحكمة.

كما حضر كلايد ليفنغستون إلى المحكمة. وعلى الرغم من كل شيء، عندما اكتشف ستانلي أن سويت فيت كان سيتواجد هناك، كان في الواقع متحمساً بشأن احتمال لقاء بطله.

شهد كلايد ليفنغستون بأنه كان حذاءه الرياضي وبأنه قد تبرع به للمساعدة في جمع أموال لإيواء المشردين. وقال إنه لم يكن بإمكان تخيل أي نوع من الأشخاص المرعبين يمكنه أن يسرق من أطفال مشردين.

لقد كان ذلك هو الجزء الأسوأ بالنسبة لستانلي، فقد اعتقد بطله أنه كان لصاً فاسداً قذراً سيئاً.

عندما حاول ستانلي التقلُّب على سريره، كان خائفاً من أن ينهار تحت وزنه كله. لقد كان بالكاد مناسباً لحجمه. وعندما نجح أخيراً في الالتفاف لينام على بطنه، كانت الرائحة سيئة جداً لدرجة أنه اضطر للالتفاف مرة أخرى ومحاولة النوم على ظهره. لقد كانت رائحة السرير كرائحة اللبن الحامض.

على الرغم من أن الوقت كان ليلاً، فإن الهواء كان لا يزال دافئاً، وكان آرمبيت يشخر على بعد سريرين منه.

وبالعودة إلى المدرسة، كان هناك شخص متغطرس اسمه ديريك ديون اعتاد أن يعذِّب ستانلي. ولم يأخذ المعلمون شكاوى

ستانلي على محمل الجد، وذلك لأن ديريك كان أصغر حجماً بكثير من ستانلي. وحتى أنه بدا أن بعض المعلمين كانوا يجدون من المسلي أن يكون بإمكان صبي صغير الحجم، مثل ديريك، مضايقة شخص كبير الحجم، مثل ستانلي.

وفي اليوم الذي تم فيه اعتقال ستانلي، كان ديريك قد أخذ دفتر ملاحظات ستانلي، وبعد لعبة طويلة من «حاول أن تسترجعه»، أسقطه أخيراً داخل المرحاض في دورة مياه الأولاد. وفي الوقت الذي استعاده فيه ستانلي لم يتمكن من اللحاق بالحافلة واضطر للعودة إلى المنزل سيراً على الأقدام.

لقد كان أثناء سيره إلى المنزل، وهو يحمل دفتر ملاحظاته المبلل مع توقع أنه سيكون مضطراً لإعادة نسخ الصفحات التالفة، أن سقط الحذاء الرياضي من السماء.

وقال للقاضي، «كنت في طريقي إلى المنزل سيراً على الأقدام وسقط الحذاء الرياضي من السماء. وقد ارتطمت فردة منه برأسي.»

لقد آلمتني، أيضاً.

إنه لم يسقط بالضبط من السماء. لقد كان قد خرج للتو من تحت الجسر العلوي للطريق السريع عندما ضربه الحذاء على رأسه.

لقد اعتبر ستانلي ذلك على أنه نوع من الإشارة. لقد كان والده يحاول أن يجد طريقة لإعادة تدوير الأحذية الرياضية القديمة، وفجأة سقط زوج من الأحذية عليه، وكان ذلك يبدو كما لو كان من اللامكان، كهدية من الرب.

وبطبيعة الحال، لم تكن لديه طريقة لمعرفة أنه كان يخص كلايد ليفنغستون. وفي الواقع أن الحذاء كان أي شيء إلا كونه حلواً. وأياً كان من ارتداه فإنه كان يعاني من حالة سيئة من رائحة الأقدام.

لم يتمالك ستانلي إلا أن يفكر بأنه كان هناك شيء ما خاص بشأن هذا الحذاء، وبأنه من شأنه أن يقدِّم، بطريقة أو بأخرى، المفتاح إلى اختراع والده. لقد كانت مصادفة إلى درجة لا يمكن أن تكون معها مجرد حادث. لقد شعر ستانلي كما لو كان يحمل حذاء قدَرِه.

ركض، وهو يعود بتفكيره إلى الوراء الآن، لم يكن متأكداً لماذا ركض. ربما كان في عجلة لإحضار الحذاء لوالده، أو ربما كان يحاول الهروب من يومه البائس والمُذِل في المدرسة.

توقفت سيارة دورية بجانبه، وسأله رجل شرطة لماذا كان يركض. ومن ثم أخذ الحذاء وأجرى مكالمة من جهاز الإرسال الخاص به. بعد ذلك بوقت قصير، تم اعتقال ستانلي.

لقد اتضح أن الحذاء الرياضي كان قد سرِق من معرض كان مقاماً في مأوى للمشردين. وفي تلك الأمسية كان الأشخاص الأثرياء سوف يحضرون إلى المأوى ويدفعون مئات الدولارات ليتناولوا الطعام الذي كان الأشخاصِ الفقراء يتناولونه كل يوم مجاناً. وكان كلايد ليفنغستون، الذي عاش ذات مرة في مأوى عندما كان أصغر سناً، سيتحدث ويقوم بالتوقيع بخط يده.

وكان سيتم بيع حذائه في مزاد علني، وكان من المتوقع أن يتم بيعه مقابل خمسة آلاف دولار، وسيذهب كل المال لمساعدة المشردين.

وبسبب الجدول الزمني للبيسبول، تم تأخير محاكمة ستانلي لعدة أشهر. ولم يكن بمقدور والديه الدفع لمحام، وكانت والدته تقول، «أنت لست بحاجة إلى محام. فقط قل الحقيقة.»

لقد قال ستانلي الحقيقة، ولكن ربما كان من الأفضل لو أنه كذب قليلاً. كان بإمكانه أن يقول إنه وجد الحذاء في الشارع، إذ أن أحداً لم يصدق أنه سقط من السماء.

لقد أدرك أنه لم يكن القدّر، بل كان جد جده سارق الخنازير الفاسد القذر السيء!

لقد نعت القاضي جريمة ستانلي بالدنيئة. «لقد تم تقييم الحذاء بمبلغ يزيد على خمسة آلاف دولار. وكانت تلك نقود ستوفر الطعام والمأوى للمشردين، وأنت سرقت ذلك منهم، وفعلت ذلك فقط من أجل أن تتمكن من الحصول على تذكار.»

وقال القاضي إنه كان هناك مكان شاغر في مخيم غرين ليك، وأشار إلى أن الانضباط في المخيم قد يحسِّن من شخصية ستانلي. وكان إما ذلك أو السجن. وسأل والدا ستانلي ما إذا كان بإمكانهما الحصول على بعض الوقت ليعرفا أكثر عن مخيم غرين ليك، ولكن القاضي نصحهما باتخاذ قرار سريع. «إن الشواغر لا تدوم لفترة طويلة في مخيم غرين ليك.»

7

كان الجاروف ثقيلاً في يدي ستانلي البدينتين الناعمتين، وقد حاول دفعه داخل الأرض، إلا أن النصل كان يرتطم بالأرض ويرتد بدون ترك أثر. وكانت الاهتزازات تصعد من مقبض الجاروف إلى معصمي ستانلي، ما يجعل عظامه تقرقع.

كان لا يزال الظلام مخيماً، وكان الضوء الوحيد يأتي من القمر والنجوم، نجوم أكثر مما رأى ستانلي من قبل في حياته. وكان يبدو أنه كان قد استغرق للتو في النوم عندما دخل السيد بندانسكي وأيقظ الجميع.

وبالاستعانة بكل قوته، هوى بالجاروف على قاع البحيرة الجافة، فلسعت قوة الضربة يديه ولكنها لم تترك أي علامة على الأرض. وتساءل ما إذا كان لديه جاروف معطوب. نظر إلى زيرو، الذي كان على بعد ما يقرب من خمسة عشر قدماً، والذي كان يغرف ملء الجاروف من التراب ويلقي به على كومة كانت ترتفع أصلاً بطول قدم تقريباً.

لقد تم تقديم أحد أنواع الحبوب الدافئة لهم في وجبة الفطور. وكان الجزء الأفضل هو عصير البرتقال، حيث كان كل منهم يحصل على نصف ليتر من العصير في علبة من الكرتون. وفي

الواقع أن حبوب الفطور لم تكن سيئة الطعم، ولكن رائحتها كانت مثل رائحة سريره تماماً.

بعد ذلك، قاموا بملء مطراتهم، وأخذ كل منهم جاروفه، وساروا باصطفاف عبر البحيرة. وكان قد تم تحديد منطقة مختلفة لكل مجموعة.

كان يتم الاحتفاظ بالمجارف داخل مخزن بجانب مكان الاستحمام. لقد كانت جميعها تبدو متماثلة بالنسبة لستانلي، على الرغم من أن إكس ري كان لديه جاروفه الخاص الذي لم يكن يسمَح لأحد آخر باستخدامه. وكان إكس ري يزعم أنه كان أقصر من المجارف الأخرى، ولكن لو كان كذلك، فقد كان أقصر بجزء من الإنش فقط.

كانت المجارف بطول خمسة أقدام، من طرف النصل الفولاذي إلى نهاية المقبض الخشبي. وكان ينبغي أن تكون حفرة ستانلي عمقية بقدر طول جاروفه، وكان يتعين عليه أن يكون قادراً على وضع الجارف مسطحاً عبر القاع في أي اتجاه. وذلك كان هو السبب الذي أراد إكس ري لأجله أن يحصل على أقصر جاروف.

لقد كانت البحيرة مليئة جداً بالحفر وأكوام التراب التي كانت تذكِّر ستانلي بالصور التي رآها للقمر. وكان السيد بندانسكي قد قال له، «إذا وجدت أي شيء مثير للاهتمام أو غير عادي، يجب عليك أن تبلغ عن ذلك إما لي أو للسيد سير عندما نحضر مع شاحنة نقل الماء. وإذا أعجب الحارس بما وجدته، سوف تحصل على إجازة بقية اليوم.»

سأله ستانلي، «ما الذي من المفترض أن نبحث عنه؟»

«أنتم لن تبحثوا عن شيء. أنتم تحفرون من أجل بناء شخصية. إنه مجرد أنك إذا عثرت على شيء، فإن الحارس يود أن يعرف عنه.»

حملق بعجز إلى جاروفه، فهو لم يكن معطوباً، لقد كان العيب فيه هو.

لاحظ شقاً رفيعاً في الأرض، فوضع رأس جاروفه فوقه، ومن ثم قفز على مؤخرة النصل بكلتا قدميه.

انغرس الجاروف بضع إنشات في الأرض المرصوصة.

ابتسم، فهذه هي المرة الوحيدة في حياته التي كان أمراً مفيداً أن يكون سميناً.

اتكأ على عصا الجاروف ورفع أول ملء جاروف له من التراب، ومن ثم ألقى به جانباً.

وفكر في نفسه، لم يتبق سوى عشرة ملايين نقلة أخرى للتخلص منها، ومن ثم أعاد وضع الجاروف داخل الشق وقفز عليه مرة أخرى.

لقد أخرج ملء جاروفة تراباً عدة مرات بهذه الطريقة، قبل أن يخطر له أنه كان يلقي بالتراب الذي يخرجه ضمن محيط حفرته. فقد وضع جاروفه بشكل مسطح على الأرض وحدد المكان الذي يجب أن تكون فيه حواف حفرته. لقد كانت الخمسة أقدام عريضة بشكل مهول.

قام بنقل التراب الذي كان قد أخرجه للتو إلى ما بعد العلامة التي وضعها. وشرب جرعة ماء من مطرته. خمسة أقدام ستكون عميقة بشكل مهول، أيضاً.

أصبح الحفر أسهل بعد فترة من الزمن، فقد كانت الأرض اقسى ما يكون على السطح، حيث جففت الشمس قشرة بعمق حوالى ثمانية إنشات. وتحت تلك القشرة، كانت الأرض أكثر تخلخلاً. ولكن في الوقت الذي تجاوز فيه ستانلي القشرة، تشكلت بثرة في منتصف إبهام يده اليمنى، وكان من المؤلم حمل الجاروف.

لقد كان اسم جد جد ستانلي إليا يلناتس. وكان قد ولد في لاتفيا. وعندما أصبح في الخامسة عشرة من عمره، وقع في حب ميرا مينكي.

(لم يكن يعلم أنه كان جد جد ستانلي.)

ميرا مينكي كانت في الرابعة عشرة من عمرها. وكانت ستصبح في الخامسة عشرة بعد شهرين، في الوقت الذي قرر فيه والدها أنه يجب تزويجها.

ذهب إليا إلى والدها لطلب يدها، إلا أن إيغور باركوف فعل الشيء ذاته، مربي الخنازير. كان إيغور في السابعة والخمسين من عمره، ولديه أنف أحمر وخدود منتفخة سمينة.

قدّم إيغور عرضه، «سأقدم لك أسمن خنازيري مقابل ابنتك.» سأل والد ميرا إليا، «وماذا لديك؟»

قال إليا، «قلباً مفعماً بالحب.»

قال والد ميرا، «إنني أفضل الحصول على خنزير سمين.»

ذهب إليا يائساً إلى السيدة زيروني، وهي امرأة مصرية مسنّة كانت تعيش على أحد أطراف البلدة. وكان قد أصبح صديقاً لها على الرغم من أنها كانت أكبر منه كثيراً. وكانت أكبر حتى من إيغور باركوف.

كان الأولاد الآخرون في قريته يحبون المصارعة في الوحل. وكان إليا يفضل زيارة السيدة زيروني والاستماع إلى قصصها الكثيرة.

كانت السيدة زيروني ذات بشرة داكنة وفم واسع جداً. وعندما كانت تنظر إليه، كانت تبدو عيناها كما لو كانتا تتسعان ما يجعلك تشعر كما لو أنها كانت تنظر من خلالك تماماً.

سألت، «إليا، ما الخطب؟» قبل حتى أن يخبرها بأنه كان منزعجاً. كانت تجلس في كرسي متحرك محلي الصنع، إذ لم يكن عندها قدم يسرى، فساقها كانت منتهية عند كاحلها.

اعترف إليا، «إنني أحب ميرا مينكي، ولكن إيغور باركوف قدّم مقابلها أسمن خنازيره. وأنا لا يمكنني المنافسة في ذلك.»

قالت السيدة زيروني، «جيد، فأنت صغير جداً لتتزوج. لديك حياتك كلها أمامك.»

«ولكنني أحب ميرا.»

«إن رأس ميرا فارغ مثل أصيص الزهور.»

«ولكنها جميلة.»

«وكذلك هو أصيص الزهور. هل يمكنها دفع محراث؟ هل يمكنها حَلْب عنزة؟ لا، إنها رقيقة جداً. هل يمكنها إجراء محادثة ذكية؟ لا، إنها سخيفة وحمقاء. هل ستعتني بك عندما تمرض؟ لا، إنها مدللة وتريد فقط أن تعتني أنت بها. إذن، إنها جميلة. ماذا في ذلك؟ تفو!»

بصقت السيدة زيروني على التراب.

وقالت لإليا إنه يجب عليه الذهاب إلى أميركا. «مثل ابني. هناك يكمن مستقبلك، وليس مع ميرا مينكي.»

ولكن إليا لم يكن ليسمع أياً من ذلك. لقد كان في الخامسة عشرة من عمره، وكل ما كان بإمكانه رؤيته هو جمال ميرا السطحي.

كانت السيدة زيروني تكره رؤية إليا بائساً جداً. وخلافاً لرأيها الحصيف، وافقت على مساعدته.

قالت، «من المصادفة أن خنزيرتي قد أنجبت في الأمس مجموعة خنانيص، وهناك واحد منها ضعيف لن تقوم بإرضاعه. يمكنك الحصول عليه، فهو سيموت على أي حال.»

أخذت السيدة زيروني إليا خلف منزلها حيث كانت تحتفظ بخنازيرها.

أخذ إليا الخنوص الصغير جداً، ولكنه لم يفهم أي فائدة سيجلبها له، فهو لم يكن أكبر من جرذ.

وطمأنته السيدة زيروني، «سوف ينمو. هل ترى ذلك الجبل عند حافة الغابة؟»

قال إليا، «نعم.»

«على قمة الجبل يوجد غدير حيث يجري الماء صعوداً. يجب عليك أن تحمل الخنوص كل يوم إلى قمة الجبل وتدعه يشرب من الغدير، وأثناء قيامه بالشرب، يجب أن تغني له.»

وعلّمت إليا أغنية خاصة ليغنيها للخنزير.

«في يوم ميلاد ميرا الخامس عشر، يجب عليك حمل الخنزير إلى أعلى الجبل للمرة الأخيرة. ومن ثم تأخذه مباشرة إلى والد ميرا. سوف يكون أسمن من أي خنزير من خنازير إيغور.»

سأل إليا، «إذا كان كبيراً وسميناً إلى تلك الدرجة، كيف سأكون قادراً على حمله والصعود به إلى أعلى الجبل؟»

سألت السيدة زيروني، «الخنوص ليس ثقيلاً جداً بالنسبة لك الآن، أليس كذلك؟»

قال إليا، «بالطبع لا.»

«هل تعتقد أنه سيكون ثقيلاً جداً بالنسبة لك غداً؟»

«لا.»

«كل يوم سوف تحمل الخنزير وتصعد به الجبل. سوف يصبح أكبر قليلاً، ولكنك سوف تصبح أقوى قليلاً. وبعد أن تعطي الخنزير إلى والد ميرا، أريد منك أن تفعل شيئاً آخر لي.»

قال إليا، «مستعد لفعل أي شيء.»

«أريد منك أن تحملني وتصعد بي الجبل. أريد أن أشرب من الغدير، وأريد منك أن تغني لي الأغنية.»

وعدها إليا بأنه سيفعل ذلك.

وحذرته السيدة زيروني بأنه إذا أخفق في فعل هذا الأمر، فسيعاني وسلالته من قدر مشؤوم للأبد.

في ذلك الوقت، لم يفكر إليا بأي شيء بشأن اللعنة. لقد كان مجرد صبي في الخامسة عشرة من عمره، ولم يبدُ «إلى الأبد» أطول من أسبوع بدءاً من يوم الثلاثاء. إضافة إلى ذلك، كان يحب السيدة زيروني وكان سيشعر بالسعادة بحملها وصعود الجبل بها. وكان مستعداً لفعل ذلك فوراً في ذلك الحين وفي ذلك المكان، ولكنه لم يكن قوياً بما يكفي بعد.

كان ستانلي لا يزال يحفر، وكانت حفرته بعمق ثلاثة أقدام، ولكن في المنتصف فقط، وكانت تنحدر نحو الأعلى إلى الحواف. وكانت الشمس قد ارتفعت للتو فوق الأفق، ولكن كان بإمكانه الشعور فعلياً بأشعتها الحارقة على وجهه.

عندما مدّ نفسه نحو الأسفل ليلتقط مطرته، شعر بنوبة مفاجئة من الدوار ووضع يديه على ركبتيه ليثبت نفسه. وللحظة كان خائفاً من أن يتقيأ، ولكن اللحظة مرت. وشرب من مطرته القطرة الأخيرة من الماء. لقد أصبحت هناك بثور على كل إصبع من أصابع يديه، وبثرة في منتصف كل كف من كفيه.

كانت حفرة كل شخص آخر أعمق بكثير من حفرته، ولم يتمكن، في الواقع، من رؤية حفرهم، وإنما كان بإمكانه أن يعرف من حجم أكوام التراب.

لقد رأى سحابة من التراب تتحرك عبر الأرض المقفرة، ولاحظ أن الأولاد الآخرين قد توقفوا عن الحفر وكانوا يراقبونها، أيضاً. وتحركت سحابة التراب أقرب، وكان بإمكانه أن يرى أنها كانت تتحرك وراء شاحنة صغيرة حمراء.

توقفت الشاحنة بالقرب من المكان الذي كانوا يحفرون فيه، واصطف الأولاد خلفها، وكان إكس ري في المقدمة وزيرو في المؤخرة، ودخل ستانلي في الصف وراء زيرو.

قام السيد سير بملء مطرة كل واحد منهم من خزان ماء كان موضوعاً في الجزء الخلفي من الشاحنة الصغيرة. وعندما أخذ مطرة ستانلي منه، قال، «إن هذا ليس مخيماً لفتيات الكشافة، أليس كذلك؟»

رفع ستانلي أحد كتفيه وخفضه.

تبع السيد سير ستانلي وهو عائد إلى حفرته ليرى كيف كان ينجز عمله، وقال، «من الأفضل لك أن تسرع بالعمل، وإلا سوف تضطر للحفر في الجزء الأشد حرارة من اليوم.» وألقى بعض بذور دوار الشمس في فمه، ونزع القشور بأسنانه بمهارة، وبصقها داخل حفرة ستانلي.

كان إليا يقوم كل يوم بحمل الخنزير الصغير ويصعد به الجبل ويغني له وهو يشرب من الغدير. وكلما كان الخنزير يصبح أسمن، كان إليا يصبح أقوى.

وفي يوم ميلاد ميرا الخامس عشر، كان وزن خنزير إليا يزيد عن خمسين حجراً. وكانت السيدة زيروني قد أخبرته بأن يحمل الخنزير ويصعد به الجبل في ذلك اليوم أيضاً، ولكن إليا لم يرغب في أن يقدِّم نفسه إلى ميرا ورائحة الخنزير تفوح منه.

وبدلاً من ذلك، استحم، وكان ذلك ثاني حمام له في أقل من أسبوع.

بعد ذلك أخذ الخنزير إلى منزل ميرا.

كان إيغور باركوف هناك مع خنزيره، أيضاً.

وأقرّ والد ميرا أن «هذين اثنان من أروع الخنازير التي رأيتها في حياتي.»

كما أبدى إعجابة بإليا الذي بدا أنه أصبح أكبر وأقوى في الشهرين الماضيين. وقال، «كنت أعتقد أنك كنت قارئ كتب غير ذي نفع. ولكنني أرى الآن أن بإمكانك أن تكون مصارعاً ممتازاً في مصارعة الوحل.»

سأل إليا بجرأة، «هل لي أن أتزوج من ابنتك؟»

«أولاً، يجب أن أقوم بوزن الخنزيرين.»

واحسرتاه، كان يجب على إليا المسكين أن يحمل خنزيره ويصعد به الجبل مرة واحدة أخيرة. لقد كان وزن الخنزيرين نفسه تماماً.

تفتقت بثورستانلي، وتشكلت بثور جديدة. واستمر في تغيير طريقة إمساكه للجاروف في محاول لتفادي الألم. وأخيراً، نزع قبعته وأمسك بها بين عصا الجاروف ويديه الملتهبتين، وكان ذلك نافعاً، ولكن الحفر كان أصعب لأن القبعة كانت تنزلق وتتزحلق. كانت الشمس تضرب رأسه ورقبته غير المحميين.

وبالرغم من أنه كان يحاول أن يقنع نفسه خلاف ذلك، إلا أنه كان واعياً لفترة أن أكوام التراب التي كان يلقي بها كانت قريبة جداً من حفرته. لقد كانت الأكوام خارج محيط دائرته البالغ خمسة أقدام، ولكن كان بإمكانه أن يرى أنه كان سوف يستهلك كل المساحة. ومع ذلك، ظل يتصور خلاف ذلك، وواصل إضافة المزيد من التراب على الأكوام، الأكوام التي كان سيضطر إلى نقلها في نهاية الأمر.

كانت المشكلة هي أن التراب عندما كان في الأرض كان مضغوطاً، وتمدد عندما تم إخراجه. لقد كانت الأكوام أكبر بكثير مما كان عمق حفرته.

كان عليه حلها إما عاجلاً أو آجلاً. وعلى مضض، تسلق خارج حفرته، ومن جديد غرس جاروفه داخل التراب الذي كان قد أخرجه من قبل.

نزل والد ميرا على ركبتيه ويديه وتفحّص بدقة كل خنزير من الخنزيرين، من الذيل إلى الخطم.

وقال أخيراً، «هذان من أفضل الخنازير التي رأيتها في حياتي. كيف لي أن أقرر؟ ليس لدي سوى ابنة واحدة.»

اقترح إليا، «لماذا لا تدع ميرا هي التي تقرر؟»

صرخ إيغور محتجاً، «ذلك مستحيل!» مخرِجاً لعاباً وهو يتحدث.

وقال والدها، «إن ميرا هي مجرد فتاة فارغة الرأس، كيف يمكنها بأي حال أن تقرر، في حين أنني أنا، والدها، لا أستطيع ذلك؟»

قال إليا، «إنها تعلم كيف تشعر داخل قلبها.»

فرك والد ميرا ذقنه، ثم ضحك وقال، «لِمَ لا؟» وصفع إليا على ظهره. «الأمر لا يهم بالنسبة لي، فالخنزير هو خنزير.»

واستدعى ابنته.

احمر وجه إليا خجلاً عندما دخلت ميرا إلى الغرفة، وقال، «مساء الخير يا ميرا.»

نظرت إليه، وسألت، «أنت إليا، أليس كذلك؟»

قال والدها، «ميرا، لقد قدّم كل من إليا وإيغور خنزيراً مقابل طلب يدك للزواج. الأمر لا يهم بالنسبة لي، فالخنزير هو خنزير. لذا سوف أسمح لك بالاختيار، من الذي تودين الزواج به؟»

بدت ميرا مرتبكة، «تريدني أن أقرر؟»

قال والدها، «ذلك صحيح يا زهرتي.»

قالت ميرا مندهشة، «آه، لا أعلم. أي الخنزيرين يزن أكثر؟»

قال والدها، «كلاهما بذات الوزن.»

قالت ميرا، «أوه. أعتقد أنني سوف أختار إليا - لا، إيغور. لا، إليا. لا، إيغور. أو، أعرف! سوف أفكر برقم بين واحد وعشرة، وسأتزوج من يحزر الرقم الأقرب إليه. حسناً، أنا مستعدة.»

خمن إيغور، «عشرة.»

ولم يقل إليا أي شيء.

قالت ميرا، «إليا؟ ما هو الرقم الذي تخمّنه؟»

لم يختر إليا رقماً، وتمتم، «تزوجي إيغور.»

«يمكنك الاحتفاظ بخنزيري كهدية لزواجك.»

في المرة التالية التي جاءت فيها شاحنة الماء، كان السيد بندانسكي هو الذي يقودها، وهو كذلك الذي أحضر وجبات الغداء الموضوعة في أكياس. جلس ستانلي وظهره مسنود إلى إحدى أكوام التراب وتناول طعامه. لقد حصل على شطيرة نقانق ورقائق بطاطا وكعكة كبيرة برقائق الشوكولاتة.

سأل ماغنت، «كيف تسير أمورك؟»

قال ستانلي، «ليس على ما يرام تماماً.»

قال ماغنت، «حسناً، إن الحفرة الأولى هي الأصعب.»

أخذ ستانلي نفساً عميقاً طويلاً. لم يكن بإمكانه إضاعة أي وقت فقد كان متخلفاً عن الآخرين، وكانت حرارة الشمس مستمرة

في الاشتداد، ولم يكن حتى قد حل وقت الظهر بعد. ولكنه لم يكن يعرف ما إذا كانت لديه قوة تكفي للوقوف.

لقد فكر في التخلي عن الأمر، وتساءل ما الذي قد يفعلونه له. ماذا يمكنهم أن يفعلوا له؟

كانت ملابسه قد غرقت بالعرق. لقد تعلم في المدرسة أن التعرّق كان جيداً لك. إنه طريقة الطبيعة لإبقاء جسدك بارداً. إذن لماذا كان جسده حاراً جداً؟

باستخدام جاروفه للمساعدة، نجح في الوقوف على قدميه، وسأل ماغنت، «أين من المفترض أن نذهب لقضاء حاجتنا؟»

أشار ماغنت بذراعيه إلى المساحة الشاسعة حولها، وقال، «اختر حفرة، أي حفرة.»

مشى ستانلي بترنح عبر البحيرة، وكان على وشك الوقوع فوق كومة تراب.

وسمع ماغنت من ورائه يقول، «ولكن تأكد أولاً من أن لا شيء يعيش بداخلها.»

بعد مغادرة منزل ميرا، هامَ إليا على وجهه عبر البلدة، إلى أن وجد نفسه بالقرب من رصيف السفن، فجلس على حافة رصيف المرفأ وحدق في الماء الأسود البارد. لم يتمكن من فهم كيف كان لدى ميرا مشكلة في اتخاذ قرارها في الاختيار بينه وبين إيغور. لقد

ظن أنها كانت تحبه. وحتى لو لم تكن قد أحبته، ألم تستطع أن ترى كم كان إيغور شخصاً كريماً؟

لقد كان الأمر كما قالت السيدة زيروني. إن رأسها فارغ مثل أصيص زهور.

كان بعض الرجال مجتمعين على رصيف آخر، فذهب ليرى ما الذي كان يجري. كانت هناك لافتة جاء فيها:

مطلوب أيد عاملة على السفينة

رحلة بحرية مجانية إلى أميركا

لم تكن لديه خبرة في الإبحار، ولكن قبطان السفينة عيّنه على ظهر السفينة. كان بإمكان القبطان أن يعرف ان إليا كان رجلاً ذا قوة كبيرة، فليس أي شخص لديه القدرة على حمل خنزير كامل النمو إلى أعلى الجبل.

ولم يتذكر وعده بحمل السيدة زيروني إلى أعلى الجبل إلا فجأة بعد أن غادرت السفينة الميناء وكانت تشق طريقها عبر المحيط الأطلسي، فانتابه شعور مخيف.

لم يكن خائفا من اللعنة، فقد كان يعتقد أن ذلك كان عبارة عن قَدْر كبير من الهراء. لقد انتابه شعور سيء لأنه كان يعرف أن السيدة زيروني كانت ترغب في الشرب من الغدير قبل أن تموت.

كان زيرو الصبي الأصغر حجماً في المجموعة د، ولكنه كان الأول في الانتهاء من الحفر.

سأل ستانلي بحسد، «هل انتهيت؟»

لم يقل زيرو أي شيء.

مشى ستانلي إلى حفرة زيرو وراقبه وهو يقيسها بجاروفه. لقد كان الجزء العلوي من حفرته على شكل دائرة متقنة، وكانت الجوانب مسوّاة ومنحدرة، ولم تتم إزالة كتلة تراب واحدة أكثر من اللازم من الأرض.

شد زيرو نفسه إلى الأعلى نحو السطح. لم يكن حتى يبتسم، فقد نظر نحو الأسفل إلى حفرته التي تم حفرها بإتقان، وبصق فيها، ومن ثم استدار وتوجه عائداً إلى منطقة مجمع المخيم.

قال زيغزاغ، «إن زيرو هو شخص غريب الأطوار.»

كان ستانلي سيضحك، ولكن لم تكن لديه القوة لذلك، إذ لا بد أن زيغزاغ هو «أغرب شخص» رآه ستانلي في حياته. لقد كان ذا رقبة نحيلة جداً ، ورأس كبير مستدير يغطيه شعر أشقر مجعد هائج متناثر في كل الاتجاهات. وكان رأسه يبدو كما لو كان يهتز صعوداً وهبوطاً على رقبته، وكأنه كان موضوعاً على نابض.

وكان آرمبيت ثاني شخص أنهى الحفر. وبصق كذلك داخل حفرته قبل أن يتجه عائداً إلى منطقة مجمع المخيم. واحد تلو الآخر، راقب ستانلي كل صبي منهم وهو يبصق داخل حفرته ويعود إلى منطقة مجمع المخيم.

استمر ستانلي بالحفر. كان عمق حفرته يصل تقريباً إلى كتفيه، على الرغم من أنه كان من الصعب معرفة أين كان مستوى سطح الأرض بالضبط بسبب أكوام التراب التي كانت تحيط تماماً بالحفرة. وكلما حفر أعمق، كان من الأصعب رفع التراب إلى الأعلى وخارج الحفرة. ومرة أخرى، أدرك أنه كان سيضطر إلى نقل الأكوام.

كانت قبعته ملطخة بالدماء من يديه، وشعر كما لو أنه كان يحفر قبره.

تعلّم إليا في أميركا التحدث بالإنجليزية، ووقع في حب امرأة اسمها سارة ميلر. كان بإمكانها دفع محراث وحلب عنزة، وأهم من ذلك كله، كانت تعتمد على نفسها باتخاذ قراراتها. وكانت تسهر وإليا في كثير من الأحيان حتى منتصف الليل يتحدثان ويضحكان معاً.

لم تكن حياتهما سهلة، كان إليا يعمل بجد، ولكن يبدو أن سوء الحظ كان يلاحقه في كل مكان. كان يبدو أنه يكون دائماً في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ.

لقد تذكر أن السيدة زيروني أخبرته بأن لها ابناً في أميركا.، وبقي إليا يبحث عنه باستمرار. كان يذهب إلى أشخاص غرباء تماماً ويسألهم ما إذا كانوا يعرفون شخصاً اسمه زيروني، أو ما إذا سمعوا في حياتهم بشخص اسمه زيروني.

لم يسمع أحد به، ولم يكن إليا متأكداً ما الذي من شأنه أن يفعله فيما لو وجد ابن السيدة زيروني على أي حال. هل سيحمله ويصعد به الجبل ويغني تهويدة الخنزير له؟

بعد أن ضربت صاعقة حظيرته للمرة الثالثة، أخبر سارة عن حنثه لوعده للسيدة زيروني، وقال، «أنا أسوأ من لص الخنازير. يجب عليك أن تتركيني وتجدي شخصاً آخر غير ملعون.»

قالت سارة، «لن أتركك، ولكن أريد منك أن تفعل شيئاً واحداً من أجلي.»

قال إليا، «أفعل أي شيء.»

ابتسمت سارة. «غنِ لي تهويدة الخنزير.»

غناها لها.

لمعت عيناها. «إن ذلك جميل جداً. ما الذي تعنيه؟»

بذل إليا قصارى جهده لكي يترجم لها الأغنية من اللغة اللاتفية إلى اللغة الإنجليزية، ولكنها لم تكن نفسها. وقال لها، «إنها تتبع قافية باللغة اللاتفية.»

قالت سارة، «بإمكاني أن أتوقع ذلك.»

بعد سنة ولِد طفلهما. وأطلقت عليه سارة اسم ستانلي، لأنها لاحظت أن «ستانلي» كان «يلناتس» مهجئاً بالعكس.

قامت سارة بتغيير كلمات تهويدة الخنزير بحيث تتبع قافية، وفي كل ليلة كانت تغنيها لستانلي الصغير.

«يا ليت، يا ليت،» تنهد نقار الخشب

«لو كان النباح على الشجرة هادئاً مثل السموات.»

عندما ينتظر الذئب في الأسفل، جائعاً ووحيداً،

يعوي باتجاه القمر (moo-oo-oon)،

«يا ليت، يا ليت.»

كانت حفرة ستانلي عميقة بقدر طول جاروفه، ولكن لم تكن عريضة تماماً بما فيه الكفاية في القاع. تجهم وجهه وهو يقطع كتلة من التراب إلى شرائح، ومن ثم يرفعها إلى الأعلى ويقذف بها فوق إحدى الأكوام.

وضع جاروفه مرة أخرى في قاع حفرته، وأصيب بدهشة شديدة عندما وجد أنه طابق القياس. فقام بإدارته، وكان يتعين عليه قطع بضع كتل من التراب، هنا وهناك، قبل أن يتمكن من الاستلقاء ممدداً عبر حفرته في كل اتجاه.

سمع صوت شاحنة نقل الماء تقترب، وشعر بإحساس غريب بالفخر لكونه كان قادراً على أن يري السيد سير، أو السيد بندانسكي، أنه قد حفر حفرته الأولى.

وضع يديه على الحافة وحاول أن يشد نفسه نحو الأعلى. لم يتمكن من فعل ذلك. لقد كانت ذراعاه ضعيفتين جداً لرفع جسده الثقيل.

استعان برجليه، ولكن لم تعد لديه أي قوة. لقد علِق داخل حفرته، وكان أمراً مضحكاً تقريباً، ولكن لم يكن بمزاج يسمح له

بالضحك. وسمع السيد بندانسكي ينادي، «ستانلي!» وباستخدام جاروفه، حفر على جدار الحفرة فجوتين لتثبيت قدميه. وصعد خارجاً منها ليرى السيد بندانسكي يمشي باتجاهه.

قال السيد بندانسكي، «خشيت أن يكون قد أغمي عليك. ما كنت لتكن الأول في ذلك.»

قال ستانلي، «لقد انتهيت،» وهو يعيد وضع قبعته الملطخة ببقع الدم على رأسه.

قال السيد بندانسكي، «حسناً!» ورفع يديه وأصابعه الخمسة مفرودة ليصفعها ستانلي بيده، ولكنه تجاهل ذلك إذ لم تكن لديه القوة لصفعها.

خفض السيد بندانسكي يده ونظر نحو الأسفل إلى حفرة ستانلي، وقال، «عمل جيد، هل ترغب في توصيلة للعودة؟»

هز ستانلي رأسه. «سأمشي.»

صعد السيد بندانسكي إلى الشاحنة بدون ملء مطرة ستانلي. وانتظره ستانلي حتى ابتعد بالشاحنة، ومن ثم ألقى نظرة أخرى على حفرته. كان يعلم أنها لم تكن شيئاً يُفخَر به، إلا أنه شعر بالفخر بالرغم من ذلك.

شفط الكمية القليلة الأخيرة من لعابه وبصق.

8

الكثير من الناس لا يؤمنون باللعنات.

الكثير من الناس لا يؤمنون كذلك بوجود السحالي المرقطة ببقع صفراء، ولكن إذا عضتك إحداها، لن يحدث ذلك فرقاً بشأن ما إذا كنت تؤمن بها أم لا.

في الواقع، إنه أمر غريب إلى حد ما أن يسمي العلماء السحلية على اسم بقعها الصفراء. إن لكل سحلية إحدى عشرة بقعة صفراء بالضبط، ولكن من الصعب رؤية البقع على جسمها ذي اللون الأصفر المائل إلى الأخضر.

يبلغ طول السحلية من ستة إنشات إلى عشرة إنشات، ولها عينان حمراوان كبيرتان. وفي الحقيقة لون عينيها أصفر، والجلد الذي حول العينين هو الأحمر، ولكن الجميع يتحدث دائماً عن عينيها الحمراوين. ولها كذلك أسنان سوداء ولسان أبيض بلون الحليب.

وعند النظر إلى إحداها، سوف تعتقد أنه كان يجب تسميتها السحلية «ذات العيون الحمراء»، أو السحلية «ذات الأسنان السوداء»، أو ربما السحلية «ذات اللسان الأبيض».

ولو حدث أنك اقتربت في أي وقت بما يكفي لرؤية البقع الصفراء، فربما كنت الآن في عداد الموتى.

ترغب السحالي المرقطة ببقع صفراء في العيش في الحفر التي توفر لها الظلَ من أشعة الشمس، والحماية من الطيور الجارحة. وقد يعيش ما يصل إلى عشرين سحلية في الحفرة الواحدة. تتمتع السحالي بأرجل شديدة قوية، ويمكنها القفز من حفر عميقة جداً لمهاجمة فريستها. وتقتات على الحيوانات الصغيرة والحشرات وبعض أشواك الصبار وقشور بذور دوار الشمس.

9

وقف ستانلي تحت الدش وترك الماء البارد ينسكب فوق جسده الساخن والمتقرح. لقد كانت أربع دقائق من النعيم. ولليوم التالي على التوالي لم يستخدم الصابون. لقد كان مُنهَكاً للغاية.

لم يكن هناك سقف فوق مبنى الحمام، وكانت الجدران ترتفع ستة إنشات عن الأرض إلا في الزوايا، ولم يكن هناك مجرى لتصريف الماء في الأرض، فكان الماء يخرج من تحت الجدران ويتبخر بسرعة بفعل الشمس.

ارتدى المجموعة النظيفة من ملابسه البرتقالية، وعاد إلى خيمته، ووضع ملابسه المتسخة في صندوقه، وأخرج قلمه وعلبة قرطاسيته، وتوجه إلى غرفة الترفيه.

كانت هناك لافتة على الباب مكتوب عليها غرفة الحطام، فقد كان كل شيء، تقريباً، في الغرفة محطماً؛ جهاز التلفاز وجهاز لعبة الكرة والدبابيس والأثاث. وحتى الأشخاص كانوا يبدون محطمين بأجسادهم المرهقة والمستلقية على مختلف الكراسي والأرائك.

كان إكس ري وآرمبيت يلعبان البلياردو، وقد ذكَّر سطح الطاولة ستانلي بسطح البحيرة. فقد كان مليئاً بالمطبات والحفر، وذلك لأن الكثير من الناس قد حفروا الأحرف الأولى من أسمائهم في اللبّاد.

كانت هناك حفرة في الجدار البعيد، وقد تم وضع مروحة كهربائية أمامها. تكييف رخيص التكلفة. على الأقل كانت المروحة تعمل. عندما شق ستانلي طريقه عبر الغرفة، تعثر بساق ممدودة.

قالت كتلة برتقالية موجودة على الكرسي، «هيه، انتبه!»

تمتم ستانلي، «أنت انتبه،» وهو متعب جداً لدرجة لا تسمح له بالاهتمام بالأمر.

سألت الكتلة، «ماذا قلت؟»

قال ستانلي، «لا شيء».

نهضت الكتلة، لقد كانت شخصاً كبيراً بحجم ستانلي وأكثر صلابة بكثير.

«لقد قلت شيئاً،» وغرز إصبعه السمين في رقبة ستانلي. «ما الذي قلته؟»

وبسرعة تجمع حولهما حشد.

قال إكس ري، «اهدأ،» ووضع يده على كتف ستانلي. وقال محذِّراً، «أنت لا تريد العبث مع كيفهان.»

قال آرمبيت، «كيفهان هادئ.»

قال ستانلي، «أنا لا أبحث عن متاعب، إنني متعب فقط، وهذا كل ما في الأمر.»

تأفف الكتلة.

قام إكس ري وآرمبيت بأخذ ستانلي إلى إحدى الأرائك، وانزلق سكويد ليفسح مكاناً عندما جلس ستانلي.

سأل إكس ري، «هل رأيت كيفمان هناك؟»

قال سكويد، «إن كيفمان شخص متين،» ولكم ذراع ستانلي لكمة خفيفة.

اتكأ ستانلي على الفرش المنجَّد بالفنيل الممزق.

وعلى الرغم من استحمامه، كان جسده لا يزال يشع حرارة، وقال، «لم أكن أحاول البدء بأي شيء.»

لقد كان آخر شيء يرغب في عمله بعد إفناء نفسه طوال اليوم عند البحيرة هو الدخول في شجار مع صبي اسمه كيفمان. وكان سعيداً لقدوم إكس ري وآرمبيت لإنقاذه.

سأل سكويد، «حسناً، كيف وجدت حفرتك الأولى؟»

تأفف ستانلي، وضحك الأولاد الآخرون.

قال ستانلي، «حسناً، إن الحفرة الأولى هي الأصعب.»

قال إكس ري، «مطلقاً، إن الحفرة الثانية أصعب بكثير، فأنت تتألم قبل أن تبدأ حتى. إذا كنت تعتقد أنك تتألم الآن، انتظر فقط وانظر كيف ستشعر في صباح الغد، أليس هذا صحيحاً؟»

قال سكويد، «ذلك صحيح.»

قال إكس ري، «إضافة إلى أن المتعة تنتهي.»

سأل ستانلي، «المتعة؟»

قال إكس ري، «لا تكذب علي، أراهن على أنك كنت دائماً ترغب في حفر حفرة كبيرة، صحيح؟ هل أنا محِقّ؟»

في الواقع أن ستانلي لم يفكر أبداً بشأن ذلك من قبل، ولكنه كان أعقل من أن يقول لإكس ري إنه لم يكن محقاً.

قال إكس ري، «كل طفل في العالم يرغب في حفر حفرة كبيرة. إلى الصين، صحيح؟»

قال ستانلي، «صحيح.

قال إكس ري، «أنت تفهم ما أقصد، ذلك هو ما أقوله، ولكن الآن المتعة انتهت، ولا تزال مضطراً إلى فعل ذلك مراراً وتكراراً.»

قال ستانلي، «مخيم المرح والألعاب.»

سأل سكويد، «ماذا يوجد داخل العلبة؟»

لقد نسي ستانلي أنه أحضرها. «آه، ورق. كنت سأكتب رسالة إلى أمي.»

«أمك؟» ضحك سكويد.

«سوف تقلق إن لم أفعل.»

عبس سكويد.

نظر ستانلي في كافة أنحاء الغرفة. لقد كانت المكان الوحيد في المخيم الذي يمكن للأولاد فيه أن يمتّعوا أنفسهم، وما الذي

فعلوه؟ لقد حطموه. لقد كان الزجاج الذي على جهاز التلفاز مهشماً، كما لو أن أحدهم قد دفع قدمه خلاله. وكان يبدو أن كل طاولة وكرسي يفقد على الأقل رِجلاً واحدة. وكان كل شيء مائلاً.

وليكتب الرسالة انتظر إلى ما بعد نهوض سكويد وانضمامه إلى لعبة البلياردو.

أمي العزيزة،

اليوم كان هو يومي الأول في المخيم، وقد كوّنت بالفعل بعض الأصدقاء. لقد كنا في الخارج عند البحيرة طوال اليوم، لذا، فأنا متعب قليلاً. وبمجرد أن أجتاز اختبار السباحة، سيتعين علي أن أتعلم كيفية التزلج على الماء. أنا

توقف عن الكتابة عندما أدرك أن شخصاً ما كان يقرأ من فوق كتفه. فالتفت ليرى زيرو، واقفاً خلف الأريكة.

أوضح، «لا أريدها أن تقلق بشأني.»

لم يقل زيرو أي شيء، كان فقط يحملق بالرسالة وقد ارتسمت على وجهه نظرة جدية وغاضبة، تقريباً.

قام ستانلي بدسها مرة أخرى داخل علبة القرطاسية.

سأله زيرو، «هل كان يوجد على الحذاء من الخلف علامات X حمراء؟»

استغرق ستانلي لحظة، ولكنه أدرك بعد ذلك أن زيرو كان يسأل عن حذاء كلايد ليفنغستون.

قال، «نعم، كانت توجد.» وتساءل كيف عرف زيرو ذلك. لقد كانت العلامة التجارية X علامة معروفة للأحذية الرياضية. ربما يكون كلايد قد قدّم إعلاناً تجارياً لحذائه.

حملق زيرو في وجهه للحظة، وبالشدة ذاتها التي كان يحملق فيها بالرسالة.

غرز ستانلي إصبعه في ثقب في أريكة الفنيل، وسحب بعض الحشو. لم يكن مدركاً لما يفعله.

قال آرمبيت، «تعال يا كيفهان، العشاء.»

قال سكويد، «هل أنت قادم يا كيفهان؟»

نظر ستانلي حوله ليرى أن آرمبيت وسكويد كانا يتحدثان إليه، فقال، «آه، بالتأكيد.» وأعاد القرطاسية إلى العلبة، ومن ثم نهض وتبع الأولاد نحو الخارج إلى الطاولات.

لم يكن الكتلة هو كيفهان. لقد كان هو.

هز كتفه الأيسر بلامبالاة، لقد كان أفضل من بارف باغ.

10

لم يواجه ستانلي أي صعوبة في الاستغراق في النوم، ولكن الصباح أتى بسرعة أكبر بكثير. كانت كل عضلة ومفصل في جسده يؤلمه عندما كان يحاول النهوض من السرير. لم يصدق أن ذلك كان ممكناً، ولكن جسده كان يؤلمه أكثر مما كان يؤلمه في اليوم السابق. لم يكن فقط ذراعاه وظهره، وإنما كان ساقاه وكاحلاه وخصره تؤلمه كذلك. وكان الشيء الوحيد الذي جعله ينهض من السرير هو معرفة أن كل ثانية يضيعها يعني أنه كان أقرب ثانية واحدة إلى شروق الشمس. لقد كان يكره الشمس.

كان بالكاد قادراً على رفع الملعقة أثناء تناول وجبة الفطور، وبعد ذلك كان في الخارج عند البحيرة، وتم استبدال الجاروف بملعقته. لقد وجد شرخاً في الأرض، وبدأ حفر حفرته الثانية.

داس على نصل الجاروف، ودفع نهاية العصا بقاعدة إبهامه. لقد كان ذلك يؤلم أقل من محاولة حمل العصا بأصابعه المتقرحة.

عندما كان يحفر، حرص على إلقاء التراب بعيداً عن الحفرة. كان يتعين عليه الاحتفاظ بالمساحة حول حفرته من أجل الوقت الذي تصبح فيه حفرته أكثر عمقاً.

لم يكن يعلم ما إذا كان قد وصل في أي وقت في حياته إلى ذلك الحد. لقد كان إكس ري على حق، إن الحفرة الثانية كانت هي

الأصعب. سيحتاج الأمر إلى معجزة. وما دامت الشمس لم تكن قد أشرقت بعد، كان ينزع قبعته ويستخدمها للمساعدة في حماية يديه. وبمجرد أن تشرق الشمس، كان يضطر إلى إعادتها إلى رأسه. لقد أصيبت رقبته وجبهته بحروق شديدة في اليوم السابق.

كان يأخذ ملء جاروف في كل مرة، ولم يحاول التفكير بالمهمة المروعة التي كانت تنتظره. وبعد ساعة أو نحوها، بدأت عضلاته التي تؤلمه ترتخي قليلاً.

أصدر صوتاً كصوت الشخير وهو يحاول غرز جاروفه داخل التراب. انزلقت قبعته من تحت أصابعه، ووقع الجاروف لوحده.

تركه ممدداً هناك.

أخذ جرعة ماء من مطرته، وكان يظن أن شاحنة نقل الماء لا بد أن تأتي قريباً، ولكنه لم ينهِ الماء كله، وذلك كاحتياط في حال كان مخطئاً. لقد تعلم أن ينتظر إلى أن يرى الشاحنة قبل أن يشرب آخر قطرة.

لم تكن الشمس قد ارتفعت بعد، ولكن أشعتها شكّلت قوساً في الأفق وجلبت الضياء للسماء.

مدّ نفسه نحو الأسفل لالتقاط قبعته، ورأى هناك بجانبها صخرة مسطحة عريضة. وبينما كان يضع قبعته على رأسه، واصل النظر نحو الأسفل إلى تلك الصخرة، ورفعها عن الأرض. لقد اعتقد أنه كان بإمكانه رؤية شكل سمكة متحجرة داخلها.

فرك عنها بعض التراب، وأصبحت خطوط شكل السمكة أكثر وضوحاً. وبرزت الشمس فوق الأفق، وكان بإمكانه بالفعل

رؤية خطوط دقيقة جداً حيث كان موضع كل حسكة من حسكات السمكة.

نظر إلى الأرض المقفرة في كل مكان من حوله. صحيح أن الجميع يشيرون إلى هذه المنطقةعلى أنها «البحيرة،» ولكنه كان لا يزال من الصعب تصديق أن هذه الأرض الجرداء الجافة كانت ذات مرة مليئة بالماء.

عندئذ تذكر ما قاله كل من السيد سير والسيد بندانسكي. إذا نبش أي شيء مثير للاهتمام، يجب عليه أن يبلغ أحدهما بذلك، فإذا أعجب الحارس، سوف يحصل على إجازة بقية اليوم.

نظر مرة أخرى على سمكته. لقد عثر على معجزته.

واصل الحفر، ولو ببطء شديد، أثناء انتظاره لشاحنة نقل الماء. لم يكن يرغب في لفت الانتباه إلى لُقيته، خشية من أن يحاول أحد الأولاد الآخرين أخذها منه. رمى الصخرة، مع جعل وجهها إلى الأسفل، بجانب كومة رماله، كما لو لم تكن لها أي قيمة خاصة. وبعد فترة قصيرة، رأى سحابة التراب تتجه عبر البحيرة.

توقفت الشاحنة واصطف الأولاد. كانوا يصطفون دائماً بالترتيب ذاته، وقد أدرك ستانلي ذلك، ولا يهم من يأتي أولاً. كان إكس ري في مقدمة الطابور دائماً، ومن ثم آرمبيت، وسكويد، وزيغزاغ، وماغنت، وزيرو.

دخل ستانلي في الطابور وراء زيرو. لقد كان سعيداً لكونه في المؤخرة حيث لن يلاحظ أحد الأحفورة. كان لبنطاله جيوب كبيرة جداً، ولكن كانت الصخرة لا تزال تظهر انتفاخاً في جيبه.

ملأ السيد بندانسكي مطرة كل صبي، إلى أن كان ستانلي الوحيد الباقي.

قال ستانلي، «وجدت شيئاً،» وهو يخرجها من جيبه.

مد السيد بندانسكي يده إلى مطرة ستانلي، ولكن ستانلي أعطاه الصخرة بدلاً من ذلك.

«ما هذا؟»

قال ستانلي، «إنها أحفورة، هل ترى السمكة؟»

نظر السيد بندانسكي مرة أخرى إليها.

قال ستانلي، «أترى، يمكنك حتى رؤية كل حسكاتها الصغيرة.»

قال السيد بندانسكي، «هذا مشوِّق، أعطني مطرتك.»

أعطاه ستانلي إياها، وقام السيد بندانسكي بتعبئتها له، ثم أعادها إليه.

«إذن، هل أحصل على بقية اليوم إجازة؟»

«لماذا؟»

«أنت تعلم، لقد قلت إذا عثرت على شيء مثير للاهتمام، فإن الحارس سوف يعطيني بقية اليوم إجازة.»

ضحك السيد بندانسكي وهو يعيد الأحفورة إلى ستانلي. «آسف يا ستانلي، إن الحارس غير مهتم بالأحفورات.»

قال ماغنت، «دعني أرى ذلك،» آخذاً الصخرة من ستانلي.

واصل ستانلي التحديق في وجه السيد بندانسكي.

«هيه، زيغ، أحفر هذه الصخرة.»

قال زيغزاغ، «رائع.»

رأى ستانلي صخرته تمرَّر إلى الجميع.

قال إكس ري، «لا أرى أي شيء.» نزع نظارته، ومسحها بملابسه المتسخة، وأعاد وضعهما على عينيه.

قال آرمبيت، «أترى، أنظر إلى الشكل السمكي الصغير.»

عاد ستانلي إلى حفرته. لم يكن ذلك عدلاً. لقد قال السيد بندانسكي إن أحفورته كانت مثيرة للاهتمام. ضرب جاروفه بعنف داخل الأرض ورفع قطعة أخرى من التراب.

وبعد فترة قصيرة، لاحظ أن إكس ري قد اقترب منه وكان يراقبه وهو يحفر.

قال إكس ري، «هيه، كيفهان، اسمح لي بالتحدث إليك للحظة.»

وضع ستانلي جاروفه وخرج من حفرته.

قال إكس ري، «هيه، اسمع. إذا عثرت على شيء آخر أعطيني إياه، موافق؟»

لم يكن ستانلي متأكداً ماذا سيقول. لقد كان من الواضح أن إكس ري كان هو قائد المجموعة، ولم يرغب ستانلي في معارضته.

قال إكس ري، «أنت جديد هنا، أليس كذلك؟ أنا هنا منذ سنة تقريباً، ولم أعثر على أي شيء أبداً. كما تعلم، إن نظري ليس جيداً جداً. ولا أحد يعلم هذا، ولكن هل تعلم لماذا اسمي هو إكس ري؟»

هز ستانلي أحد كتفيه بلامبالاة.

«إنه المقابل لإسم ريكس في لغة بيغ لاتين (pig latin). ذلك هو كل شيء. إنني أعمى لدرجة لا تمكنني من العثور على أي شيء.»

حاول ستانلي تذكُّر الطريقة التي تستخدم فيها لغة بيغ لاتين.

واستمر إكس ري قائلاً، «أعني، لماذا تحتاج إلى يوم إجازة في حين أنك هنا منذ يومين فقط؟ إذا كان أي شخص يجب أن يحصل على يوم إجازة، فيجب أن يكون أنا. هذا من الإنصاف فقط، أليس كذلك؟»

وافقه ستانلي، «أظن ذلك.»

ابتسم إكس ري، «أنت شخص طيب يا كيفمان.»

التقط ستانلي جاروفه.

كلما فكر أكثر بالأمر، كان سعيداً أكثر لأنه وافق على السماح لإكس ري بالحصول على أي شيء قد يعثر عليه. ولو كان يريد البقاء حياً في مخيم غرين ليك، فإنه من المهم أن يعتقد إكس ري أنه كان شخصاً طيباً أكثر بكثير مما كان مهماً بالنسبة له الحصول على يوم إجازة. إضافة إلى ذلك، لم يتوقع أن يعثر على أي شيء على أي حال. ربما لم يكن هناك أي شيء «ذي أهمية»، وحتى لو كان يوجد أي شيء، فإنه لن يكون أبداً ما يمكنك أن تصفه بالمحظوظ.

ضرب نصل جاروفه بعنف في الأرض، ومن ثم أخرج ملء جاروف آخر من التراب. وفكر في نفسه، لقد كان من المستغرب قليلاً أن إكس ري كان هو قائد المجموعة، حيث أنه، من الواضح، لم يكن الأكبر حجماً أو الأكثر قوة وصلابة. وباستثناء زيرو، كان إكس ري، في الواقع، هو الأصغر حجماً، وكان آرمبيت هو الأكبر حجماً. ربما كان زيغزاغ أطول من آرمبيت، ولكن ذلك كان فقط بسبب رقبته. ومع ذلك كان آرمبيت، والآخرون جميعهم، يبدون على استعداد لفعل أي شيء كان إكس ري يطلب منهم فعله.

وعندما أخرج ستانلي ملء جاروف آخر من التراب، خطر له أن آرمبيت لم يكن الأكبر حجماً. إنه هو، كيفهان، الذي كان أكبر حجماً.

لقد كان سعيداً لأنهم كانوا ينادونه كيفهان، فذلك كان يعني أنهم قد قبلوا به كعضو في المجموعة. وكان سيكون سعيداً حتى لو أطلقوا عليه اسم بارف باغ.

لقد كان ذلك رائعاً حقاً بالنسبة له. في المدرسة، اعتاد متنمرون، أمثال ديريك ديون، أن يضايقوه، ومع ذلك، فإن ديريك ديون سيصاب برعب يفقده الوعي من قِبل أي ولد من الأولاد هنا.

وأثناء قيامه بحفر حفرته، فكر ستانلي بشأن ما قد يكون عليه الأمر لو أن ديريك ديون اضطر للقتال مع آرمبيت أو سكويد. لن يكون هناك أمل لديريك بالنجاح.

لقد تخيّل كيف يمكن أن يكون الأمر إذا أصبح صديقاً جيداً لهم جميعاً، ومن ثم، لسبب أو لآخر، يذهبون جميعهم معه إلى مدرسته، ومن ثم يحاول ديريك ديون سرقة دفتر ملاحظاته...

ويسأل سكويد، «ما الذي تعتقد أنك تفعله،» وهو يصفع بعنف وجه ديريك ديون المتعجرف بيديه.

ويقول آرمبيت، «كيفهان هو صديقنا،» وهو يمسك به من ياقة قميصه.

أعاد ستانلي تمثيل المشهد مراراً وتكراراً في عقله، وفي كل مرة كان يشاهد صبياً آخر من المجموعة د يضرب ديريك ديون. لقد ساعده ذلك في حفر حفرته، وخفف من معاناته. إن أي ألم أحسَّ به، كان يشعر به بشكل أسوأ عشرة أضعاف من قِبل ديريك.

12

مرة أخرى، كان ستانلي الأخير في الانتهاء من الحفر. لقد كان الوقت متأخراً بعد الظهر عندما عاد إلى المجمع وهو يجرّ نفسه. وهذه المرة كان سيقبل توصيله بالشاحنة لو عرِض عليه ذلك.

وعندما دخل إلى الخيمة، وجد السيد بندانسكي والأولاد الآخرين يجلسون على شكل دائرة على الأرض.

قال السيد بندانسكي، «مرحباً بك يا ستانلي.»

سأل ماغنت، «هيه، كيفهان، هل أنهيت حفْر حفرتك؟»

تمكَّن من أن يومئ برأسه.

سأل سكويد، «هل بصقت بداخلها؟»

أومأ برأسه مرة أخرى. وقال لإكس ري، «أنت محِّق. الحفرة الثانية هي الأكثر صعوبة.»

هز إكس ري رأسه، وقال، «الحفرة الثالثة هي الأصعب.»

قال السيد بندانسكي، «تعال وانضم إلى الدائرة.»

ارتمى ستانلي بين سكويد وماغنت. كان بحاجة إلى أخذ قسط من الراحة قبل الاستحمام.

قال السيد بندانسكي، «كنا نناقش ما الذي نريد أن نفعله في حياتنا، فنحن لن نبقى في مخيم غرين ليك للأبد. يجب علينا أن نستعد لليوم الذي نغادر فيه هذا المكان وننضم إلى بقية المجتمع.»

قال ماغنت، «هيه، ذلك رائع يا موم. سوف يدَعونك أخيراً تخرج من هنا؟»

ضحك بقية الأولاد.

قال السيد بندانسكي، «حسناً يا خوسيه، ما الذي تود أن تفعله في حياتك؟»

قال ماغنت، «لا أعلم.»

قال السيد بندانسكي، «يجب عليك أن تفكر بشأن ذلك. من المهم أن يكون لديك أهداف، وإلا سينتهي بك الأمر في السجن من جديد. ما الذي تحب أن تفعله؟»

قال ماغنت، «لا أعلم.»

قال السيد بندانسكي، «لا بد أنك تحب شيئاً ما.»

قال ماغنت، «أنا أحب الحيوانات.»

قال السيد بندانسكي، «جيد. هل يعرف أي منكم عن أعمال تنطوي على التعامل مع حيوانات؟»

قال آرمبيت، «طبيب بيطري.»

قال السيد بندانسكي، «ذلك صحيح.»

قال زيغزاغ، «يمكنه أن يعمل في حديقة حيوانات.»

قال سكويد، «إنه ينتمي إلى حديقة حيوانات،» ثم ضحك هو وإكس ري.

«ماذا عنك ياستانلي؟ هل لديك أي فكرة لخوسيه؟»

تنهد ستانلي، وقال، «مدرب حيوانات. كأن يكون لسيرك، أو لأفلام، أوشيء من ذلك القبيل.»

سأل السيد بندانسكي، «هل يبدو أي من هذه الأعمال جيداً بالنسبة لك يا خوسيه؟»

«نعم، لقد أعجبني ما قاله كيفهان، عن تدريب الحيوانات للأفلام. أعتقد أنه سيكون من الممتع تدريب قرود.»

ضحك إكس ري.

قال السيد بندانسكي، «لا تضحك يا ركس. إننا لا نضحك على أحلام الناس. لا بد أن يكون هناك شخص ما لتدريب القرود للأفلام.»

قال إكس ري، «من الذي تخدعه يا موم؟ ماغنت لن يكون أبداً مدرب قرود.»

قال السيد بندانسكي، «لا يمكنك أن تجزم. أنا لا أقول إنه سيكون أمراً سهلاً. لا شيء في الحياة سهل، ولكن ذلك ليس سبباً للاستسلام. سوف تُفاجَأ بما يمكنك إنجازه إذا ركزت كل اهتمامك وجهدك عليه. ولا تنسى أنه ليس لديك سوى حياة واحدة، لذا، يتعين عليك محاولة تحقيق الاستفادة القصوى منها.»

حاول ستانلي أن يقرر ماذا سيقول لو أن السيد بندانسكي سأله ما الذي كان يرغب في فعله في حياته. لقد كان يعتقد دائماً أنه كان يرغب في العمل لدى مكتب التحقيقات الفدرالي (F.B.I.)، ولكن هذا لم يكن يبدو المكان المناسب لذكر ذلك.

قال السيد بندانسكي، «حتى الآن قمتم جميعكم بعمل جيد جداً في إفساد حياتكم، وأنا أعرف أنكم تعتقدون أنكم رائعون.» ونظر إلى ستانلي. «إذن أنت كيفهان، الآن، هه؟ هل تحب حفر الحفر يا كيفهان؟»

لم يعرف ستانلي ماذا يقول.

«حسناً، دعني أخبرك بشيء يا كيفهان. أنت هنا بسبب شخص واحد. ولو لم يكن بسبب ذلك الشخص لما كنت هنا تحفر حفراً في الشمس الحارقة. هل تعلم من هو ذلك الشخص؟»

«جد جدي سارق الخنازير الفاسد القذر السيء.»

انفجر الأولاد بالضحك.

حتى زيرو ابتسم.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يرى ستانلي فيها زيرو يبتسم. ففي العادة ترتسم على وجهه تعابير الغضب. والآن ترتسم على وجهه تلك الابتسامة الكبيرة التي كانت تبدو تقريباً كبيرة بالنسبة لوجهه، مثل ابتسامة يقطينة فانوس جاك.

قال السيد بندانسكي، «لا، ذلك الشخص هو أنت، ستانلي أنت السبب في وجودك هنا. أنت مسؤول عن نفسك. لقد أفسدت

حياتك، والأمر يعود إليك في إصلاحها، ولن يقوم أي شخص آخر بفعل ذلك من أجلك - من أجل أي منكم.»

نظر السيد بندانسكي من صبي إلى آخر، وقال، «جميعكم مميزون، كلٌ بطريقته الخاصة. جميعكم لديه شيء ما ليقدمه. يجب عليكم التفكير في ما تريدون فعله، ومن ثم تنفيذه. حتى أنت يا زيرو. أنت لست عديم النفع تماماً.»

لقد اختفت الابتسامة الآن عن وجه زيرو.

سأله السيد بندانسكي، «ما الذي تريد أن تفعله في حياتك؟»

كان فم زيرو مغلقاً بشدة. وعندما حملق في السيد بندانسكي، بدت عيناه السوداوان وكأنهما اتسعتا.

سأل السيد بندانسكي، «ماذا لديك بشأن ذلك؟ ما الذي تريد أن تفعله؟»

«أحب أن أحفر حفراً.»

13

سرعان ما كان ستانلي قد عاد إلى الخارج عند البحيرة، يغرس جاروفه في التراب. لقد كان إكس ري مصيباً: الحفرة الثالثة كانت هي الأصعب. وكذلك كانت الحفرة الرابعة، والحفرة الخامسة، والحفرة السادسة، والـ....

غرس جاروفه في التراب.

بعد فترة من الزمن فقد تتبع أيام الأسبوع، وكم عدد الحفر التي حفرها، فقد كانت تبدو جميعها كما لو كانت حفرة واحدة كبيرة، وقد تستغرق سنة ونصف لحفرها. وقد قدَّر أنه فقد ما لا يقل عن خمسة أرطال. وافترض أنه في غضون سنة ونصف سيكون إما في حالة بدنية رائعة أو ميتاً.

غرس جاروفه في التراب.

وفكر، لا يمكن أن يكون الطقس دائماً حاراً إلى هذه الدرجة، فلا بد أن يصبح أكثر برودة في كانون الأول/ ديسمبر. ربما تجمدوا عندئذ.

غرس جاروفه في التراب.

لقد أصبح جلده أقسى، ولم يعد من المؤلم جداً حمل الجاروف.

أثناء شربه من مطرته، نظر إلى السماء. ظهرت غيمة في وقت مبكر من النهار. لقد كانت الغيمة الأولى التي كان بإمكانه أن يتذكر رؤيتها منذ مجيئه إلى مخيم غرين ليك.

لقد كان والأولاد الآخرون يراقبونها طوال اليوم آملين أن تتحرك أمام الشمس. لقد كانت تقترب من الشمس بين الفينة والأخرى، ولكنها كانت تغيظهم فقط.

وصل عمق حفرته إلى مستوى الخصر. غرس جاروفه في التراب، وعندما ألقى التراب في الخارج، اعتقد أنه رأى شيئاً يلمع عندما سقط التراب على الكومة. أياً كان ذلك الشيء، فقد دفِن بسرعة.

حدّق ستانلي بالكومة لفترة وهو غير متأكد حتى ما إذا كان قد رآه. وحتى إن كان هناك شيء ما، ما الفائدة التي سيجلبها له؟ لقد وعد بأن يعطي أي شيء يعثر عليه لإكس ري. ولم يكن الأمر يستحق جهد التسلق للخروج من حفرته للتحقق من الأمر.

رفع نظره نحو الغيمة، التي كانت قريبة بما يكفي إلى أشعة الشمس، ما اضطره إلى تضييق عينيه لكي ينظر إليها.

غرس جاروفه مرة أخرى في الأرض، وجرف بعض التراب إلى الخارج، ثم رفعه فوق كومة ترابه. ولكن بدلاً من إلقائه هناك، قذف به إلى الجانب. لقد استحوذ عليه فضوله.

تسلق حفرته خارجاً منها، وأدخل أصابعه في الكومة. شعر بشيء صلب ومعدني.

سحبه، وكان أنبوباً ذهبياً، وكان، تقريباً، بطول وعرض اصبعه الأوسط في يده اليمنى. كان الأنبوب مفتوحاً من أحد الطرفين ومغلقاً من الطرف الآخر.

استخدم بضع قطرات من مائه الثمين لتنظيفه.

كان يبدو أن هناك نوعاً من التصميم على الطرف المغلق المسطح. صب بضع نقاط أخرى من الماء عليه وفركه بالطرف الداخلي من جيب بنطاله.

نظر مرة أخرى على التصميم المحفور داخل الجزء السفلي المسطح من الأنبوب. كان بإمكانه أن يرى خطوطاً لمحيط شكل قلب، مع وجود أحرف محفورة بداخله.



حاول أن يفكر بطريقة ما لعدم إعطائه لإكس ري. لقد كان بإمكانه فقط الاحتفاظ به، ولكن ذلك لن ينفعه في شيء. لقد كان يريد الحصول على يوم إجازة.

نظر إلى أكوام التراب الهائلة بالقرب من المكان الذي كان إكس ري يحفر فيه. ربما كان إكس ري قد انتهى تقريباً من العمل لهذا اليوم، والحصول على إجازة لبقية اليوم لن يحقق له الكثير من الفائدة.

ويجب على إكس ري أن يري الأنبوب أولاً للسيد سير أو للسيد بندانسكي، الذي سيتعين عليه بعد ذلك أن يريه للحارس، ولحين الانتهاء من ذلك ربما يكون إكس ري قد أنهى العمل على أي حال.

تساءل ستانلي عن محاولة أخذ الأنبوب بشكل سري مباشرة إلى الحارس. لقد كان بإمكانه أن يشرح الوضع للحارس، وقد يختلق الحارس عذراً لإعطائه بقية اليوم إجازة، وبهذا لن يرتاب إكس ري.

نظر عبر البحيرة باتجاه الكوخ الذي كان تحت شجرتي البلوط. لقد أخافه المكان، فلم يمضِ على وجوده في مخيم غرين ليك سوى أسبوعين، تقريباً، وهو لم يرَ الحارس بعد. لقد كان ذلك أمراً جيداً، فلو أنه كان بإمكانه قضاء السنة والنصف بكاملها بدون رؤية الحارس، فإن ذلك سيكون مناسباً بالنسبة له.

إضافة إلى ذلك، لم يكن يعرف ما إذا كان الحارس سوف يجد الأنبوب «مثيراً للاهتمام.» نظر إليه مرة أخرى. لقد بدا مألوفاً، واعتقد أنه قد رأى شيئاً مثل ذلك، في مكان ما من قبل، ولكنه لم يتمكن من تحديده بالضبط.

سأل زيغزاغ، «ماذا لديك هناك يا كيفهان؟»

أغلقت يد ستانلي الكبيرة حول الأنبوب. «لا شيء، مجرد آه...»
لقد كان ذلك عديم الفائدة. «أعتقد أنني ربما عثرت على شيء ما.»

«أحفورة أخرى؟»

«لا، لست متأكداً ما هو.»

قال زيغزاغ، «دعني أرى.»

وبدلاً من أن يريه لزيغزاغ، جلبه ستانلي إلى إكس ري، ولحق زيغزاغ به.

نظر إكس ري إلى الأنبوب، ثم فرك نظارته المتسخة بقميصه المتسخ، ونظر إلى الأنبوب مرة أخرى. وواحد تلو الآخر، ألقى الأولاد الآخرون مجاريفهم وأتوا ليروا.

قال سكويد، «يبدو أنها رصاصة فارغة لمسدس قديم.»

قال ستانلي، «نعم، ربما هو كذلك.» وقرر أن لا يذكر شيئاً عن التصميم المحفور. ربما لن يلاحظه أحد، وشك أن بإمكان إكس ري أن يراه.

قال ماغنت، «لا، إنه طويل ورقيق جداً إلى درجة أنه لا يمكن أن يكون رصاصة فارغة.»

قال ستانلي، «ربما أنه مجرد قطعة خردة.»

قال إكس ري، «حسناً، سوف أريه لموم، وأرى ما رأيه. من يعرف؟ ربما أحصل على بقية اليوم إجازة.»

قال ستانلي، «حفرتك قد انتهت، تقريباً.»

«نعم، وماذا بعد؟»

رفع ستانلي كتفه وخفضه. واقترح، «إذن لماذا لا تنتظر حتى الغد لتريه لموم؟ يمكنك أن تتظاهر بأنك قد عثرت عليه أول شيء

في الصباحِ. وبذلك يمكنك الحصول على اليوم كله إجازة بدلاً من مجرد ساعة أو نحوها من بعد ظهر هذا اليوم.»

ابتسم إكس ري، «تفكير رائع يا كيفمان.» وأسقط الأنبوب داخل جيبه الكبير الذي كان على الرجل اليمنى من بنطاله البرتقالي المتسخ.

عاد ستانلي إلى حفرته.

عندما أتت شاحنة نقل الماء، بدأ ستانلي بأخذ مكانه في نهاية الطابور، ولكن إكس ري قال له أن يقف خلف ماغنت، أمام زيرو.

وانتقل ستانلي مكاناً واحداً إلى الأمام في الطابور.

14

في تلك الليلة، عندما استلقى ستانلي على سريره الخشن وكريه الرائحة، حاول أن يخمن ما هي الطريقة التي كان بإمكانه أن يتصرف بها بشكل مختلف، ولكن لم يكن هناك أي شيء كان بإمكانه أن يفعله. ولمرة واحدة في حياته المشؤومة، كان في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، ولكن بالرغم من ذلك لم يحقق هذا له أي مساعدة.

سأل إكس ري في اليوم التالي في وقت الفطور، «هل أحضرته معك؟»

نظر إكس ري إليه بعينين نصف مغمضتين من وراء نظارته المتسخة، وقال بتذمر، «لا أعلم عن ماذا تتحدث.»

قال ستانلي، «أنت تعرف...»

رد إكس ري بقسوة، «لا، لا أعرف! لذا، دعني وشأني، حسناً؟ لا أريد التحدث إليك.»

لم يقل ستانلي أي كلمة أخرى.

سار السيد سير بالأولاد إلى الخارج نحو البحيرة، وهو يمضغ بذور دوار الشمس طوال الطريق، ويبصق القشور. وكان يكشط الأرض بكعب حذائه ليضع علامة على المكان الذي من المفترض أن يحفر فيه كل صبي.

داس ستانلي على الجزء الخلفي من نصل جاروفه ثاقباً الأرض الجافة الصلبة. لم يتمكن من معرفة لماذا رد عليه إكس ري بقسوة. إذا كان لا يريد أن يظهر الأنبوب، لماذا جعل ستانلي يعطيه له؟ هل كان سيحتفظ به؟ لقد كان الأنبوب ذا لون ذهبي، ولكن ستانلي لم يعتقد أنه كان ذهباً حقيقياً.

جاءت شاحنة نقل الماء بعد شروق الشمس بقليل. كان ستانلي قد أنهى آخر قطرة من الماء وخرج من حفرته. في هذا الوقت من اليوم، كان بإمكان ستانلي، في بعض الأحيان، أن يرى بعض التلال أو الجبال البعيدة على الجانب الآخر من البحيرة. لقد كانت تظهر واضحة لفترة قصيرة من الزمن فقط، وسرعان ما كانت تختفي خلف ضباب من الحرارة والتراب.

توقفت الشاحنة، واندفعت سحابة الغبار متجاوزة إياها. أخذ إكس ري مكانه في مقدمة الطابور، وقام السيد بندانسكي بملء مطرته. قال إكس ري، «شكراً يا موم.» ولم يذكر شيئاً عن الأنبوب.

ملأ السيد بندانسكي جميع المطرات، ومن ثم عاد إلى قمرة الشاحنة. كان لا يزال عليه أن يحضر ماء للمجموعة هـ. وكان بإمكان ستانلي أن يراهم وهم يحفرون على بعد مائتي ياردة.

صاح إكس ري من حفرته، «سيد بندانسكي! انتظر، سيد بندانسكي! أعتقد أنني قد وجدت شيئاً!»

لحق جميع الأولاد بالسيد بندانسكي وهو يمشي نحو حفرة إكس ري. وكان بإمكان ستانلي أن يرى الأنبوب الذهبي يبرز من بعض التراب الموجود على نهاية جاروف إكس ري.

تفحّصه السيد بندانسكي، وألقى نظرة طويلة على الجزء السفلي المسطح. «أعتقد أن الحارس سوف يُعجَب بهذا الشيء.»

سأل سكويد، «هل سيحصل إكس ري على بقية اليوم إجازة؟»

قال السيد بندانسكي، «استمروا بالحفر فقط إلى أن يقول أحدهم خلاف ذلك.» ثم ابتسم. «ولكنني لو كنت في مكانك يا ركس، فإنني لن أحفر بجهد شديد.»

راقب ستانلي سحابة الغبار تنتقل عبر البحيرة إلى كوخ تحت الأشجار.

وكان يتعين على أولاد المجموعة هـ الانتظار.

ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً لتعود الشاحنة، وخرج السيد بندانسكي من قمرة الشاحنة، وخرجت امرأة طويلة ذات شعر أحمر من الجانب الذي يجلس فيه الراكب. وبدت أطول حتى مما كانت، حيث أن ستانلي كان في الأسفل داخل حفرته. وكانت ترتدي قبعة رعاة بقر سوداء، وجزمة رعاة بقر سوداء مرصعة بحجارة زرقاء. وكانت أكمام قميصها ملفوفة إلى الأعلى، وكانت ذراعاها مغطاتين بالنمش، وكذلك كان وجهها. ومشت متوجهة مباشرة إلى إكس ري.

«هذا هو المكان الذي وجدته فيه؟»

«نعم يا سيدتي.»

«عملك الجيد سوف يُكافأ.» واستدارت إلى السيد بندانسكي.

«خذ إكس ري بالشاحنة إلى المخيم، ودعه يأخذ حماماً مزدوجاً، وأعطه بعض الملابس النظيفة. ولكنني أريدك أولاً أن تملأ مطرات الجميع.»

قال السيد بندانسكي، «لقد ملأتها قبل فترة وجيزة.»

نظرت المديرة إليه نظرة قاسية، وقالت، «عفواً.» وكان صوتها ناعماً جداً.

«لقد ملأتها للتو عندما قام ركس-»

قالت المديرة مرة أخرى، «عفواً، هل سألتك متى ملأتها آخر مرة؟»

«لا، ولكن الأمر مجرد -»

«عفواً.»

توقف السيد بندانسكي عن الكلام. وهزت المديرة إصبعها مشيرة إليه لكي يأتي إليها، وقالت، «الجو حار، وسيصبح أكثر حرارة. والآن هؤلاء الأولاد الرائعون قد عملوا بجد. ألا تعتقد أنه قد يكون من الممكن أنهم شربوا منذ أن ملأت مطراتهم؟»

لم يقل السيد بندانسكي أي شيء.

التفت المديرة إلى ستانلي، «كيفهان، هل لك أن تأتي إلى هنا، لو سمحت؟»

تفاجأ ستانلي من أنها كانت تعرف اسمه، وهو لم يرها أبداً. وحتى الوقت الذي نزلت فيه من الشاحنة لم يكن يعلم أن المدير كان امرأة.

ذهب تجاهها باضطراب.

«كنت والسيد بندانسكي نتناقش. هل شربت منذ أن ملأ السيد بندانسكي مطرتك آخر مرة؟»

لم يشأ ستانلي أن يسبب أي مشاكل للسيد بندانسكي، فقال، «لا يزال متبقياً لدي الكثير.»

«عفواً.»

توقف. «نعم لقد شربت بعض الماء.»

«شكراً لك، هل يمكنني رؤية مطرتك، من فضلك.»

قام ستانلي بإعطائها إياها. كانت أظافرها مطلية بلون أحمر داكن.

هزت المطرة بلطف، مُتيحة للماء إصدار صوت هسهسة داخل المطرة البلاستيك. وسألت، «هل تسمع صوت المساحات الفارغة؟»

قال السيد بندانسكي، «نعم.»

فقالت، «املأها إذن. وفي المرة القادمة عندما أخبرك بعمل شيء ما، أتوقع منك أن تفعله بدون معارضة أوامري. وإذا كان من المزعج جداً بالنسبة لك أن تملأ مطرة، سوف أعطيك جاروفاً. يمكنك أن تحفر حفرة، ويمكن لكيفهان أن يملأ مطرتك.» والتفت مرة أخرى إلى ستانلي. «لا أعتقد أن ذلك سيسبب لك الكثير من الإزعاج، أليس كذلك؟»

قال ستانلي، «لا.»

سألتِ السيد بندانسكي، «إذن، ماذا سيكون عليه الأمر، هل تريد أن تملأ المطرات أم تريد أن تحفر؟»

قال السيد بندانسكي، «سوف أملأ المطرات.»

«شكراً لك.»

15

ملأ السيد بندانسكي المطرات.

أحضرت المديرة مِعزقة من الجزء الخلفي للشاحنة، وغرستها داخل كومة تراب إكس ري لتعرف ما إذا كان أي شيء آخر ربما تم دفنه هناك أيضاً.

وقالت، «بعد أن توصل إكس ري، أريد منك أن تحضر معك عندما تعود ثلاث عربات يد.»

صعد إكس ري إلى الشاحنة، وعندما انطلقت الشاحنة مبتعدة، انحنى خارجاً من النافذة الواسعة ولوّح بيده.

قالت المديرة، «زيرو، أريد منك أن تتولى أمر حفرة إكس ري.» كان يبدو أنها تعلم أن زيرو كان الحفّار الأسرع.

وقالت، «آرمبيت وسكويد، ستواصلان الحفر حيث كنتما، ولكن سوف يكون لكل منكما مساعد. زيغزاغ، أنت تساعد آرمبيت. وماغنت سوف يساعد سكويد. وكيفمان، أنت سوف تعمل مع زيرو. سوف نقوم بحفر التراب مرتين. سيقوم زيرو بإخراج التراب من الحفرة، وكيفمان سيجرفه ويضعه داخل عربة اليد. وسيفعل زيغزاغ الشيء ذاته لآرمبيت، والأمر نفسه ينطبق على ماغنت

وسكويد. لا نريد أن نغفل أي شيء. وإذا وجد أي منكم شيئاً ما، سيحصل كلاكما على بقية اليوم إجازة، وعلى حمام مزدوج.

«وعندما تصبح عربات اليد ممتلئة، سيتيعن عليكم إلقاء التراب بعيداً عن هذه المنطقة، لا نريد أي أكوام من التراب تعترض الطريق.»

بقيت المديرة في الموقع لبقية اليوم، مع السيد بندانسكي والسيد سير، الذي حضر بعد حين. وكان السيد سير يغادر، بين الفينة والأخرى، ليأخذ الماء إلى المجموعات الأخرى من المخيّمين، ولكن فيما عدا ذلك كان وشاحنة نقل الماء يبقيان واقفين هناك. وكانت المديرة تعمل ما بوسعها حتى لا يشعر أي أحد من المجموعة د بالعطش أبداً.

فعل ستانلي ما طلِب منه، وتفحص بدقة كل التراب الذي كان يتم إخراجه من قِبل زيرو، وهو يجرفه إلى داخل عربة اليد، على الرغم من أنه كان يعلم أنه لن يعثر على أي شيء.

لقد كان أسهل من حفر حفرته. وعندما امتلأت عربة اليد، أخذها إلى مكان يبعد مسافة جيدة قبل أن يلقي بالتراب الذي فيها.

لم تتمكن المديرة من الوقوف البتة، بل استمرت في التجول في كل مكان تنظر من وراء أكتاف الأولاد، وتغرس مِغرفتها في أكوام التراب. وقالت لستانلي، «أنت تعمل بشكل رائع، رائع تماماً.»

وبعد فترة من الزمن، طلبت من الأولاد تبديل أماكنهم، بحيث يقوم ستانلي وزيغزاغ وماغنت بحفر الحفر، ويقوم زيرو وآرمبيت وسكويد بجرف التراب المستخرَج ووضعه داخل عربات اليد.

بعد تناول وجبة الغداء، تولى زيرو الحفر من جديد، وعاد ستانلي إلى عربة اليد. وقالت المديرة عدة مرات، «لا داعي للعجَلة. الأمر المهم هو أن لا نغفل أي شيء.»

حفر الأولاد إلى أن أصبحت كل حفرة بعمق وعرض ما يزيد عن ستة أقدام. ومع ذلك، كان من الأسهل لولدين اثنين أن يحفرا حفرة بعمق وعرض ستة أقدام مما كان عليه الأمر بالنسبة لقيام ولد واحد بحفر حفرة بعمق وعرض خمسة أقدام.

قالت المديرة، «حسناً، ذلك يكفي لهذا اليوم. لقد انتظرت كل هذه الفترة الطويلة، ويمكنني الانتظار يوماً آخر.»

أعادها السيد سير بالسيارة إلى كوخها.

قال ستانلي وهو في طريق عودته إلى المجمع، «أتساءل كيف عرفت أسماءنا جميعنا.»

قال زيغزاغ، «إنها تراقبنا طوال الوقت، فلديها ميكروفونات وكاميرات مخفية في كل مكان. في الخيم، في غرفة الحطام، في مكان الاستحمام.»

سأل ستانلي، «مكان الاستحمام؟» وتساءل ما إذا كان زيغزاغ مجرد مجنون بالشك.

قال آرمبيت، «الكاميرات متناهية الصغر، ليست أكبر من ظفر إصبع قدمك الصغير.»

كان لدى ستانلي شكوكه الخاصة بشأن ذلك. لم يكن يعتقد أنه كان بإمكانهم صنع كاميرات بذلك الصِغر. الميكروفونات، من الممكن.

لقد أدرك لماذا لم يرغب إكس ري في التحدث إليه عن الأنبوب الذهبي وقت الفطور. كان إكس ري خائفاً من أن المديرة ربما أنها تتنصت.

كان هناك شيء واحد مؤكد: لم يكونوا يحفرون فقط من أجل «بناء شخصية.» كانوا بالتأكيد يبحثون عن شيء ما.

وأياً كان ما يبحثون عنه، فإنهم كانوا يبحثون في المكان الخطأ.

حدّق ستانلي عبر البحيرة باتجاه الموقع الذي كان يحفر فيه في الأمس عندما وجد الأنبوب الذهبي. لقد حفر الحفرة في ذاكرته.

16

عندما دخل ستانلي غرفة الحطام، كان بإمكانه أن يسمع صوت إكس ري طوال الطريق عبر الغرفة.

قال إكس ري، «أتفهم ما أقوله، هل أنا على صواب أم أنا على صواب؟»

كان باقي الرفاق في الغرفة يبدون أكثر قليلاً من أكياس من اللحم والعظام، وقد ارتموا على كراس وأرائك مكسرة. وكان إكس ري مفعم بالحياة، ويضحك ويلوح بذراعيه في كل مكان وهو يتحدث. وصاح، «أنت، يا كيفهان، يا صديقي!»

شق ستانلي طريقه عبر الغرفة.

قال إكس ري، «هيه، انزلق أكثر يا سكويد، إفسح مكاناً لكيفهان.»

سقط ستانلي على الأريكة مرتطماً بها.

لقد بحث عن كاميرات مخفيه في مكان الاستحمام، ولم يرَ أي شيء، وكان يأمل أن تكون المديرة لم ترَ شيئاً كذلك.

سأل إكس ري، «ما الأمر؟ هل أنتم متعبون أيها الرفاق، أم ماذا؟» وضحك.

قال زيغزاغ ممتعضاً، «إهدأوا، هل هذا ممكن. إنني أحاول مشاهدة التلفاز.»

حملق ستانلي بحيرة في زيغزاغ الذي كان يحدِّق باهتمام شديد في شاشة التلفاز المكسورة.

في صباح اليوم التالي، رحبت المديرة بالأولاد وقت وجبة الفطور، وذهبت معهم إلى الحفر. أربعة قاموا بحفر الحفر، وثلاثة تولوا أمر عربات اليد. «إنني سعيدة أنك هنا يا إكس ري،» قالت له. «نحن بحاجة إلى عينيك حادتي النظر.»

قضى ستانلي وقتاً في دفع عربة اليد أطول من الوقت الذي قضاه في الحفر، وذلك لأنه كان حفّاراً بطيئاً. وكان يجر التراب الزائد بعيداً ، ويلقي به في حفر تم حفرها سابقاً. وكان حريصاً على عدم إلقاء أي تراب في الحفرة التي تم العثور فعلياً على الأنبوب الذهبي فيها.

كان لا يزال بإمكانه رؤية الأنبوب في عقله. كان يبدو مألوفاً، ولكنه لم يتمكن من تحديد أين رآه. لقد اعتقد أنه ربما كان غطاء قلم حبر ذهبي فاخر. ومن الممكن أن حرفي كيه بي كانا يمثلان الحرفين الأولين من اسم كاتب مشهور. وكان الكتّاب الوحيدون الذين كان بإمكانه أن يفكر بهم هم تشارلز ديكنز، ووبليام شكسبير، ومارك توين. إضافة إلى ذلك، لم يكن في الواقع يشبه الجزء العلوي لقلم حبر.

عند وقت الغداء، كانت المديرة قد بدأت تفقد صبرها، فجعلتهم يأكلون بسرعة ليتمكنوا من العودة إلى العمل. وقالت

للسيد سير، «إذا لم يكن بإمكانك جعلهم يعملون أسرع، غندئذ ستضطر إلى النزول هناك والحفر معهم.»

بعد ذلك، عمل الجميع أسرع، لا سيما عندما كان السيد سير يراقبهم. وكان ستانلي عملياً يركض عندما كان يدفع عربته. وذكَّرهم السيد سير بأنهم ليسوا فتيات الكشافة.

ولم يتركوا الحَفر إلى أن انتهت كل مجموعة من المجموعات الأخرى من الحَفر.

وفي وقت لاحق عندما استلقى ستانلي باسترخاء على كرسي غير منجَّد، وحاول التفكير بطريقة لإخبار المديرة أين تم العثور فعلياً على الأنبوب بدون إقحام نفسه أو إكس ري في مشاكل. ولم يكن يبدو أن الأمر ممكن. لقد فكر حتى في التسلل إلى الخارج في الليل وحفر تلك الحفرة لوحده. ولكن كان آخر شيء يريد عمله بعد الانتهاء من الحفر طوال النهار هو الحفر في الليل، أيضاً. إضافة إلى ذلك، كان يُقفَل على المجاريف في الليل، ربما لكي لا يمكن استخدامها كأسلحة.

دخل السيد بندانسكي غرفة الحطام. ونادى، «ستانلي،» وهو في طريقه إليه.

قال إكس ري، «إن اسمه هو كيفهان.»

قال السيد بندانسكي، «ستانلي.»

قال ستانلي، «إسمي هو كيفهان.»

قال السيد بندانسكي، «حسناً، لدي هنا رسالة لشخص اسمه ستانلي يلناتس.» وقلّب مغلف في يديه، «غير مكتوب عليه كيفهان في أي مكان.»

قال ستانلي وهو يأخذه، «آه، شكراً.»

لقد كان من والدته.

سأل سكويد، «مِن مَن الرسالة؟ والدتك؟»

وضعها ستانلي داخل الجيب الكبير لبنطاله.

فسأل آرمبيت، «ألن تقوم بقراءتها لنا؟»

قال إكس ري، «أعطوه بعض المجال. إذا كان كيفهان لا يريد قراءتها لنا، فهو غير مضطر لذلك. ربما تكون من صديقته.»

ابتسم ستانلي.

...

قرأها في وقت لاحق بعد أن ذهب الأولاد لتناول وجبة العشاء.

عزيزي ستانلي،

لقد كان من الرائع أن نسمع أخبارك. لقد جعلتني رسالتك أشعر بأنني مثل الأمهات الأخريات اللواتي يمكنهم الدفع من أجل

إرسال أولادهن إلى مخيم صيفي. أعلم أنه ليس الشيء نفسه، ولكنني فخورة بك لمحاولتك تحقيق الاستفادة القصوى من وضع سيء. من يعلم! ربما ينتج عن هذا شيء جيد.

والدك يعتقد أنه اقترب جداً من تحقيق تقدم باهر في مشروعه الخاص بالأحذية الرياضية. آمل ذلك. والمالك يهدد بطردنا بسبب الرائحة.

أشعر بالأسف حيال السيدة العجوز الصغيرة التي كانت تعيش في حذاء. لا بد أن رائحته كانت فظيعة!

مع حبنا كلينا لك،

سأل زيرو، «ما المضحك جداً؟»

تفاجأ بذلك، فقد كان يعتقد أن زيرو قد ذهب لتناول العشاء مع الآخرين.

«لا شيء، مجرد شيء كتبته والدتي.»

سأل زيرو، «ماذا قالت؟»

«لا شيء.»

قال زيرو، «آه، آسف.»

«حسناً، إن والدي يحاول ابتكار طريقة لإعادة تدوير الأحذية الرياضية القديمة، لذا، تنتشر في الشقة رائحة سيئة، وذلك لأنه دائماً يطهو هذه الأحذية الرياضية القديمة. على أي حال، قالت أمي في الرسالة إنها كانت تشعر بالأسف حيال تلك السيدة العجوز

الصغيرة التي كانت تعيش في حذاء، كما تعلم، لأنه لا بد أن الرائحة كانت سيئة جداً داخله.»

حدّق زيرو في وجهه بنظرة خالية من أي تعبير.

«أتعرف، أغنية الأطفال؟»

لم يقل زيرو أي شيء.

«هل سمعت أغنية الأطفال عن المرأة العجوز الصغيرة التي كانت تعيش في حذاء.»

«لا.»

اندهش ستانلي.

سأل زيرو، «كيف تُغنّى؟»

سأل ستانلي، «ألم تشاهد في حياتك برنامج شارع سمسم؟»

حدّق زيرو في وجهه بنظرة خالية من أي تعبير.

ذهب ستانلي لتناول العشاء. لقد شعر بأنه كان سخيفاً نوعاً ما وهو ينشد أغاني أطفال في مخيم غرين ليك.

17

واصل الأولاد، للأسبوع ونصف الأسبوع التاليين، الحفر حول المنطقة التي من المفترض أن إكس ري وجد فيها الأنبوب الذهبي. وقاموا بتوسيع حفرة إكس ري، وكذلك الحفرتين اللتين كان آرمبيت وسكويد يحفرانهما، حتى اليوم الرابع عندما التقت الحفر الثلاث وشكّلت حفرة واحدة كبيرة.

وبانقضاء الأيام، أصبحت المديرة أقل وأقل صبراً. كانت تصل في الصباح في وقت متأخر أكثر، وتغادر بعد الظهر في وقت مبكر أكثر. وفي تلك الأثناء، واصل الأولاد الحفر لفترة متأخرة أكثر وأكثر.

وقالت، بعد وصولها في وقت متأخر في صباح أحد الأيام، بعد شروق الشمس بوقت طويل، «هذه ليست أكبر مما كانت عليه عندما تركتكم في الأمس. ما الذي كنتم تفعلونه هناك في الأسفل؟»

قال سكويد، «لا شيء.»

لقد أخطأ في قول ذلك.

في تلك اللحظة بالضبط، كان آرمبيت في طريق عودته من استراحة المرحاض.

قالت، «كم هو لطف منك الانضمام إلينا، وما الذي كنت تفعله؟»

«اضطررت إلى ... تعرفين... الذهاب.»

وخزت المديرة آرمبيت بمِعزقتها، فأوقعته إلى الوراء داخل الحفرة الكبيرة. وقد خلفت المِعزقة ثلاثة ثقوب على الوجه الأمامي لقميصه، وثلاث بقع صغيرة جداً من الدم، وقالت المديرة للسيد بندانسكي، «إنك تعطي هؤلاء الأولاد الكثير جداً من الماء.»

واصلوا الحفر حتى وقت متأخر من بعد الظهر، بعد وقت طويل جداً من انتهاء باقي الفرق لذلك اليوم. كان ستانلي في أسفل الحفرة الكبيرة، مع الأولاد الستة الباقين. لقد توقفوا عن استخدام عربات اليد.

غرس جاروفه في جانب الحفرة، وجرف بعض التراب، وكان يرفعه إلى السطح عندما أصابه جاروف زيغزاغ بجانب رأسه.

سقط على الأرض.

لم يكن متأكداً ما إذا كان قد أغمي عليه أم لا. نظر إلى الأعلى ليرى رأس زيغزاغ الهائج يحدق إلى الأسفل في وجهه. وقال زيغزاغ، «أنا لا أخرج هذا التراب، إنه ترابك.»

نادى ماغنت، «هيه، موم! لقد أصيب كيفهان.»

رفع ستانلي أصابعه نحو جانب رقبته، وشعر بدمه الرطب، وبجرح كبير نوعاً ما تحت أذنه تماماً.

قام ماغنت بمساعدة ستانلي للوقوف على قدميه، ومن ثم الخروج من الحفرة. وصنع السيد سير ضمادة من قطعة من كيسه

الخاص ببذور دوار الشمس، وألصقها على جرح ستانلي. ومن ثم أخبره أن يعود إلى العمل. «إنه ليس وقت القيلولة.»

عندما عاد ستانلي إلى الحفرة، كان زيغزاغ ينتظره.

قال زيغزاغ، «ذاك ترابك. لقد أخرجته من الحفرة، وهو يغطي على ترابي.»

شعر ستانلي بدوار خفيف، وكان بإمكانه رؤية كومة صغيرة من التراب. وقد استغرق الأمر منه لحظة ليدرك أنه كان التراب الذي كان على جاروفه عندما أصيب.

قام بجرفه إلى الأعلى، ثم قام زيغزاغ بغرس جاروفه في الأرض تحت المكان الذي كان يوجد فيه «تراب ستانلي.»

18

في صباح اليوم التالي، أخذ السيد سير الأولاد مشياً إلى قسم آخر من البحيرة، وحفر كل صبي حفرته الخاصة به، بعمق خمسة أقدام وبعرض خمسة أقدام. وكان ستانلي سعيداً بالابتعاد عن الحفرة الكبيرة، فقد كان الآن، على الأقل، يعرف كم يتعين عليه أن يحفر لليوم. وكان من ما يبعث على الارتياح عدم وجود مجاريف أخرى تتأرجح مارَّة من أمام وجهه، وعدم وجود المديرة تحوم في المكان.

غرس جاروفه في التراب، ومن ثم استدار ليلقي به في الكومة. كان يتعين عليه جعل استداراته سلسة وبطيئة، إذ أنه إذا اهتز بسرعة، كان يشعر بألم شديد فوق رقبته تماماً وبالتحديد في المكان الذي أصابه جاروف زيغزاغ.

لقد كان ذلك الجزء من رأسه، بين رقبته وأذنه، متورماً. ولم تكن توجد في المخيم مرايا، ولكنه تخيل أنه كان يبدو كما لو كان لديه بيضة مسلوقة جيداً تبرز منه.

ولم يكن باقي جسده يؤلمه. لقد أصبحت عضلاته قوية، وأصبحت يداه قاسيتين وجلدهما متصلب. وكان لا يزال الحفّار الأبطأ، ولكن لم يكن على الإطلاق أبطأ بكثير من ماغنت. وفي أقل من ثلاثين دقيقة بعد عودة ماغنت إلى المخيم، بصق ستانلي داخل حفرته.

وبعد أن استحم، وضع ملابسه المتسخة في صندوقه، أخرج علبة قرطاسيته. وبقي في الخيمة ليكتب الرسالة بحيث لا يسخر منه سكويد والأولاد الآخرون لأنه كان يكتب رسالة إلى والدته.

أمي وأبي العزيزان،

المخيم شاق، بل إنه يشكّل تحدياً. لقد كنا نركض في مضامير حواجز، وكان يتعين علينا أن نسبح مسافات طويلة في البحيرة، وفي الغد نتعلم

توقف عن الكتابة عندما دخل زيرو إلى الخيمة، ومن ثم عاد إلى رسالته. لم يهتم بما كان زيرو يعتقد. لقد كان زيرو لا أحد.

تسلق الجبال. أعلم أن ذلك يبدو مخيفاً، ولكن لا تقلقا.

كان زيرو يقف بجانبه الآن، يراقبه وهو يكتب.

التفت ستانلي، وشعر برقبته تؤلمه بشدة. «لا أحب ذلك، عندما تقرأ من فوق كتفي، حسناً؟»

لم يقل زيرو أي شيء.

سأكون حذراً. لا يوجد هنا مرح وألعاب طوال الوقت، ولكنني أعتقد أنني أستفيد الكثير منه. إنه يبني الشخصية. والأولاد الآخرون

قال زيرو، «لا أعلم كيف؟»

«ماذا؟»

«هل يمكنك أن تعلمني؟»

لم يكن ستانلي يعرف ما الذي كان يتحدث عنه. «أعلمك ماذا، تسلق الجبال؟»

حدّق زيرو في وجه ستانلي بعينين ثاقبتين.

قال ستانلي، «ماذا؟» لقد كانت حرارته مرتفعة ومتعباً ومتألماً.

قال زيرو، «أريد أن أتعلم القراءة والكتابة.»

أطلق ستانلي ضحكة قصيرة. لم يكن يضحك على زيرو، لقد كان مندهشاً فقط، فقد كان طوال هذا الوقت يعتقد أن زيرو كان يقرأ من وراء كتفه. وقال، «أنا آسف، لا أعرف كيف أعلّم.»

بعد الحفر طوال اليوم، لم يكن يمتلك من القوة ما يكفي لمحاولة تعليم زيرو القراءة والكتابة. كان يحتاج إلى توفير طاقته للأشخاص الذين كان يُحسَب لهم حساب.

قال زيرو، «ليس من الضروري أن تعلمني الكتابة، فقط القراءة، ليس لدي أحد لأكتب له.»

قال ستانلي مرة أخرى، «آسف.»

لم تكن عضلاته ويداه هي فقط الأجزاء من جسده التي أصبحت قاسية على مر الأسابيع العديدة الماضية، بل إن قلبه كذلك أصبح قاسياً.

أنهى رسالته. وبالكاد كان عنده رطوبة في فمه لإغلاق المغلف. وكان يبدو أنه لم تكن هناك أهمية لكمية الماء التي كان يشربها، فقد كان دائماً يشعر بالعطش.

19

استيقظ في إحدى الليالي على صوت ضجة غريب، وقد ظن في البداية أنه ربما كان أحد أنواع الحيوانات، وأخافه ذلك. ولكن عندما جافاه النوم من الخوف، أدرك أن تلك الضجة كانت آتية من السرير الذي بجانبه.

كان سكويد يبكي.

همس ستانلي، «هل أنت بخير؟»

اهتز رأس سكويد، وتنشّق وحبس أنفاسه، وهمس، «نعم، إنني ... بخير،» وتنشّق مرة أخرى.

في الصباح سأل ستانلي سكويد ما إذا كان يشعر بأنه في حال أفضل.

سأل سكويد، «ما أنت، هل أنت أمي؟»

رفع ستانلي أحد كتفيه وخفضه.

قال سكويد، «أعاني من حساسية، حسناً؟»

قال ستانلي، «حسناً.»

«إذا فتحت فمك مرة أخرى سوف أكسر لك فكك.»

* * *

أبقى ستانلي فمه مغلقاً معظم الوقت، ولم يتكلم كثيراً إلى أي ولد من الأولاد، خشية أن يقول الشيء الخطأ. لقد كانوا ينادونه كيفهان وهكذا، ولكنه لم يتمكن من نسيان أنهم كانوا خطرين، أيضاً. لقد كانوا جميعهم هنا للسبب ذاته. وكما قال السيد سير، هذا لم يكن مخيم فتيات الكشافة.

كان ستانلي ممتناً أنه لم تكن هناك مشاكل عنصرية، فقد كان إكس ري، وآرمبيت وزيرو من ذوي البشرة السوداء. وكان هو وسكويد وزيغزاغ من ذوي البشرة البيضاء، وكان ماغنت من أصل إسباني، وعند البحيرة كان لهم جميعاً اللون البني المحمَر ذاته – لون التراب.

نظر إلى الأعلى من حفرته ليرى شاحنة نقل الماء وسحابة الغبار التي تتبعها. وكانت مطرته لا تزال ممتلئة حتى ثلاثة أرباعها تقريباً بالماء، فشربها بسرعة، ثم أخذ مكانه في الطابور، خلف ماغنت وأمام زيرو. كان الهواء سميكاً لامتلائه بالحرارة والغبار وأدخنة العادم.

ملأ السيد سير مطراتهم.

انطلقت الشاحنة. وكان ستانلي قد عاد إلى حفرته، وبيده الجاروف، عندما سمع ماغنت يصيح، «هل يريد أحدكم بذور دوار الشمس؟»

كان ماغنت يقف على مستوى الأرض ويحمل بيده كيساً من البذور. وقذف حفنة من البذور في فمه، ومضغها وابتلعها، بما في ذلك القشور وكل شيء.

صاح إكس ري، «أنا، هنا.»

كان الكيس يبدو ممتلئاً إلى نصفه تقريباً، فقام ماغنت بلفه من الأعلى، ومن ثم قذفه إلى إكس ري.

سأل آرمبيت، «كيف حصلت عليه بدون أن يراك السيد سير؟»

قال ماغنت، «لم أتمكن من منع نفسي.» ورفع كلتا يديه إلى الأعلى، وهز أصابعه، وضحك. «إن أصابعي تشبه مغناطيساً صغيراً.» وانتقل الكيس من إكس ري إلى آرمبيت إلى سكويد.

قال آرمبيت، «من الجيد بالتأكيد أكل شيء ليس من علبة.»

قذف سكويد الكيس إلى زيغزاغ.

عرف ستانلي أنه سوف يصل إليه بعده. لم يكن حتى يريده، فمن اللحظة التي صاح فيها ماغنت، «هل يريد أحدكم بذور دوار الشمس،» كان يعلم أنه ستقع مشكلة، إذ من المؤكد أن السيد سير سيعود، وعلى أي حال، فإن القشور المالحة لن تفعل أي شيء سوى جعله يشعر بالعطش.

قال زيغزاغ، «إنه في طريقه إليك يا كيفهان. بالبريد الجوي وتوصيل خاص...»

لم يكن من الواضح ما إذا كانت البذور قد تناثرت قبل أن تصل إلى ستانلي أم بعد أن أوقع الكيس. لقد بدا له أن زيغزاغ لم يلف أعلى الكيس قبل قذفه، وذلك كان سبب عدم إمساكه به.

ولكن الأمر كله حدث بسرعة كبيرة. ففي لحظة كان الكيس يحلق في الهواء، والشيء الآخر أن ستانلي عرف أن الكيس كان في حفرته والبذور متناثرة في التراب.

قال ماغنت، «أوه، أيها رجل!»

قال ستانلي، «آسف،» وهو يحاول كنس البذور وإعادتها داخل الكيس.

قال إكس ري، «لا أريد أن آكل تراباً.» لم يعرف ستانلي ماذا يفعل.

صاح زيغزاغ، «الشاحنة قادمة!»

نظر ستانلي نحو الأعلى إلى سحابة الغبار التي كانت تقترب، ومن ثم نحو الأسفل إلى البذور المتناثرة. لقد كان في المكان الخطأ في الوقت الخطأ.

ما الجديد في ذلك؟

غرس جاروفه في حفرته، وحاول قلب التراب ودفن البذور.

وأدرك في وقت لاحق أن ما كان يجب عليه فعله هو إسقاط كومة من أكوام التراب داخل حفرته، ولكن فكرة وضع تراب داخل حفرته كان أمراً لا يمكن أن يفكر به.

قال إكس ري، «مرحباً سيد سير، لقد عدتَ سريعاً جداً؟»

قال آرمبيت، «يبدو كما لو أنك كنت هنا للتو فقط.»

قال ماغنت، «الوقت يمر بسرعة كبيرة عندما تلهو.»

واصل ستانلي قلب التراب في حفرته.

قال السيد سير، «أنتم يا فتيات الكشافة تقضون وقتاً ممتعاً؟» وانتقل من حفرة إلى أخرى. وركل كومة التراب التي كانت بجانب حفرة ماغنت، ثم توجّه نحو ستانلي.

كان بإمكان ستانلي رؤية بذرتين في قاع حفرته، وعندما حاول تغطيتهما كشف إحدى زوايا الكيس.

قال السيد سير، «حسناً، ما الذي تعرفه يا كيفهان؟» وهو يقف من فوقه. «يبدو أنك وجدت شيئاً ما.»

لم يعرف ستانلي ماذا يفعل.

قال السيد سير، «أخرجه من التراب. سوف نأخذه إلى المديرة، ربما تعطيك بقية اليوم إجازة.»

تمتم ستانلي، «إنه ليس أي شيء.»

قال السيد سير، «دعني أكون أنا من يقرر ذلك.»

مدّ ستانلي نفسه إلى الأسفل وسحب كيس الخيش الفارغ، وحاول أن يعطيه إلى السيد سير، ولكنه لم يأخذه.

قال السيد سير، «إذن أخبرني يا كيفهان، كيف وصل كيس بذور دوّار الشمس الخاص بي إلى داخل حفرتك؟»

«لقد سرقته من شاحنتك.»

«هل فعلت ذلك؟»

«نعم يا سيد سير.»

«وما الذي حدث لكل بذور دوّار الشمس؟»

«لقد أكلتها.»

«لوحدك.»

«نعم يا سيد سير.»

صاح آرمبيت، «هيه، كيفهان، كيف تمكنت من عدم مشاركتنا بأي منها؟»

قال إكس ري، «إن ذلك غير ودّي، أيها الرجل.»

قال ماغنت، «ظننت أنك صديق لنا.»

نظر السيد سير من ولد إلى آخر، ثم عاد ونظر إلى ستانلي. «سوف نرى ماذا سيكون رأي المديرة في هذا. لنذهب.»

خرج ستانلي من حفرته وتبع السيد سير إلى الشاحنة، وكان لا يزال يحمل الكيس الفارغ.

لقد كان شعوراً رائعاً أن تجلس داخل الشاحنة، بعيداً عن أشعة الشمس. كان ستانلي مندهشاً من أنه كان بإمكانه الشعور بالرضا بشأن أي شيء في هذه اللحظة، ولكنه كان يشعر كذلك. لقد كان شعوراً رائعاً أن تجلس على مقعد مريح كتغيير. وأثناء قفز الشاحنة فوق التراب، كان قادراً على الشعور بالامتنان للهواء الذي كان يهب من خلال النافذة المفتوحة على وجهه الساخن والمتعرِّق.

20

لقد كان شعوراً مريحاً أن تمشي في ظل شجرتي البلوط. وتساءل ستانلي ما إذا كان شخص متهم يشعر هكذا وهو في طريقه إلى الكرسي الكهربائي - يقدِّر كل الأشياء الرائعة في الحياة للمرة الأخيرة.

كان يتعين عليهما المشي حول حفر للوصول إلى باب الكوخ. وقد اندهش ستانلي لرؤية الكثير منها حول الكوخ. لقد كان يتوقع أن المديرة لم تكن ترغب أن يقوم المخيمون بالحفر في أماكن قريبة جداً إلى منزلها. ولكن العديد من الحفر كانت هناك تماماً مقابل جدار الكوخ. وكانت الحفر قريبة من بعضها البعض هنا، أيضاً، وكانت ذات أشكال وأحجام مختلفة.

طرق السيد سير الباب. وكان ستانلي لا يزال يحمل الكيس الفارغ.

قالت المديرة وهي تفتح الباب، «نعم؟»

قال السيد سير، «حدثت هناك مشكلة صغيرة عند البحيرة. كيفمان سيخبرك بالأمر كله.»

حدّقت المديرة في وجه السيد سير للحظة، ثم تحول تحديقها نحو ستانلي. لم يشعر بأي شيء الآن سوى الخوف.

قالت المديرة، «أدخل، إنك تجعل البرودة تخرج.»

لقد كان يوجد تكييف داخل كوخها. وكان التلفاز يعمل. فالتقطت جهاز التحكم وأطفأته.

جلست على كرسي قماشي. وكانت عارية القدمين وترتدي بنطالاً قصيراً. وكانت ساقاها منمشتين كما كان وجهها وذراعاها.

«حسناً، ما الذي يجب عليك أن تخبرني به؟»

أخذ ستانلي نفساً عميقاً ليتمكن من الصمود. «عندما كان السيد سير يقوم بملء المطرات، تسللت إلى الشاحنة وسرقت كيس بذور دوّار الشمس الخاص به.»

«فهمت.» والتفت إلى السيد سير، «ألهذا السبب أحضرته إلى هنا؟»

«نعم، ولكنني أعتقد أنه يكذب. أعتقد أن شخصاً آخر قد سرق الكيس، وكيفهان يتستر على إكس ري أو على شخص ما. لقد كان كيساً وزنه عشرون باونداً، ويزعم أنه قد أكل ما فيه لوحده.» وأخذ الكيس من ستانلي وأعطاه للمديرة.

قالت المديرة مرة أخرى، «فهمت.»

قال ستانلي، «الكيس لم يكن مملوءاً، وقد أسقطت الكثير منه. يمكنك التحقق من حفرتي.»

«في تلك الغرفة، يا كيفهان، هناك حقيبة صغيرة عليها زهور. هلّا أحضرتها لي، من فضلك؟» وأشارت إلى أحد الأبواب.

نظر ستانلي إلى الباب، ثم إلى المديرة، ثم إلى الباب مرة أخرى، وسار نحوه ببطء.

لقد كانت غرفة لتغيير الملابس، وفيها مغسلة ومرآة. وبجانب المغسلة رأى الحقيبة، بيضاء وعليها أزهار زهرية اللون.

أحضرها وعاد بها إلى المديرة، فوضعتها على طاولة القهوة الزجاجية أمامها. قامت بفك لسان القفل وفتحت الحقيبة.

لقد كانت حقيبة أدوات تجميل. كانت لدى والدة ستانلي واحدة مثلها. ورأى العديد من زجاجات طلاء الأظافر، ومزيل طلاء الأظافر، وقلمي حمرة شفاه، وزجاجات ومساحيق أخرى.

رفعت المديرة زجاجة صغيرة فيها طلاء أظافر بلون أحمر غامق، «هل ترى هذه يا كيفهان؟»

أومأ برأسه.

«هذا طلاء أظافري الخاص . هل ترى اللون الغامق الغني؟ لا يمكنك شراء ذلك من متجر. يجب علي أن أصنعه بنفسي.»

لم تكن لدى ستانلي أي فكرة عن سبب عرضها له عليه، وتساءل لماذا تحتاج المديرة بأي حال إلى وضع طلاء أظافر أو مساحيق تجميل.

«هل تريد أن تعرف مكوناتي السرية؟»

رفع أحد كتفيه وخفضه.

فتحت المديرة الزجاجة. «إنه سم أفعى جرسية.» وبفرشاة رسم صغيرة بدأت بوضعه على أظافر يدها اليسرى. «إنه غير مؤذ البتة... عندما يصبح جافاً.»

انتهت من يدها اليسرى، وأخذت تلوح بها في الهواء لبضع ثوان، ومن ثم بدأت بطلاء أظافر يدها اليمنى. «يكون ساماً فقط عندما يكون رطباً.»

انتهت من طلاء أظافرها، ومن ثم وقفت. مدّت نفسها ولمست وجه ستانلي بأظافرها، ومررت أظافرها الحادة الرطبة على خده بلطف شديد. أحس بوخز خفيف على جلده.

بالكاد لمس ظفر إصبعها الخنصر الجرح الذي كان خلف أذنه، وجعلته وخزة حادة من الألم يقفز إلى الوراء.

استدارت المديرة لتواجه السيد سير، الذي كان يجلس بجانب الموقد.

«إذن، تعتقد أنه سرق بذور دوّار الشمس الخاصة بك؟»

«لا، يقول إنه سرقها، ولكن أعتقد أنه كان –»

مشت نحوه وصفعته على وجهه.

حدّق السيد سير في وجهها. لقد أصبحت هناك ثلاث علامات حمراء طويلة تشوه الجانب الأيسر من وجهه. لم يعرف ستانلي ما إذا كان طلاء أظافرها أم دمه هو الذي سبَّب اللون الأحمر.

استغرق الأمر لحظة ليدخل السم. وفجأة صرخ السيد سير، وقبض على وجهه بكلتا يديه. وترك نفسه يقع ويتدحرج من فوق مصطبة الموقد وعلى البساط.

وتكلمت المديرة بهدوء، «أنا لا أهتم على الأخص بشأن بذور دوّار الشمس الخاصة بك.»

تأوه السيد سير.

وقالت المديرة، «إذا كانَ لا بد أن تعرف، فإنني كنت أفضل الأمر عندما كنت تدخن.»

وللحظة، بدا كما لو أن ألم السيد سير قد تبدد. أخذ عدة أنفاس عميقة طويلة، ومن ثم هز رأسه بعنف، وأطلق صيحة حادة، أسوأ من سابقتها.

التفت المديرة إلى ستانلي، «أقترح أن تعود إلى حفرتك الآن.»

كان ستانلي يهمّ بالذهاب، ولكن السيد سير كان ممدداً في الطريق. لقد كان بإمكان ستانلي أن يرى عضلات وجهه تقفز وترتعش، وكان جسده يتلوى من الألم.

خطا ستانلي بحذر من فوقه. «هل سـ -؟»

قالت المديرة، «عفواً».

كان ستانلي خائفاً جداً من أن يتكلم.

قالت المديرة، «لن يموت، لسوء حظك.»

21

لقد كانت المسافة طويلة سيراً على الأقدام للعودة إلى حفرته. نظر ستانلي من خلال الضباب المكوّن من الحرارة والتراب إلى الأولاد الآخرين وهم يخفضون ويرفعون مجاريفهم. وكانت المجموعة د هي الأبعد.

لقد أدرك مرة أخرى أنه سوف يحفر لوقت أطول بعد أن يغادر الجميع. لقد كان يأمل أن ينتهي قبل أن يتعافى السيد سير. لم يشأ أن يكون وحده هناك في الخارج مع السيد سير.

لقد قالت المديرة، لن يموت، لسوء حظك.

أثناء سيره عبر الأرض المقفرة المهجورة، فكر ستانلي بجده الأكبر - ليس سارق الخنازير، وإنما ابن سارق الخنازير، الجد الذي سرقته كيت بارلو المقبِّلة.

حاول أن يتخيل كيف كان شعوره بعد أن تركته مقطوع السبيل في الصحراء. ربما لم يكن الأمر مختلفاً كلياً كثيراً عن الطريقة التي كان يشعر بها الآن هو نفسه. لقد تركت كيت بارلو جدّه الأكبر ليواجه الصحراء القاحلة الحارّة. والمديرة تركت ستانلي يواجه السيد سير.

بطريقة أو بأخرى، تمكن جده الأكبر من البقاء حياً لمدة سبعة عشر يوماً قبل أن يتم إنقاذه من قِبل اثنين من صيادي الأفاعي الجرسية. لقد كان مختل العقل عندما وجدوه.

وعندما سُئل كيف عاش لهذه الفترة الطويلة، قال إنه «وجد مأوى فوق إبهام الرب.»

وقد أمضى ما يقرب من الشهر في إحدى المستشفيات، وانتهى به الأمر بالزواج من إحدى الممرضات. ولم يعرف أحد قط ما الذي قصده بـ إبهام الرب، بمن فيهم هو نفسه.

سمع ستانلي صوت ارتعاش. توقف في منتصف خطوته، وإحدى قدميه لا تزال مرفوعة في الهواء. كانت هناك أفعى جرسية ملتفه بشكل حلزوني تحت قدمه. وكان ذيلها موجهاً نحو الأعلى، ويصدر صوت صلصلة.

أبعد ستانلي قدمه إلى الوراء، ثم استدار وركض. لم تلحق الأفعى الجرسية به. لقد أصدرت صوت صلصلة بذيلها تحذيراً له للبقاء بعيداً.

همس ستانلي وقلبه يخفق بقوة، «شكراً للتحذير.»

إن الأفعى الجرسية يمكن أن تكون أخطر بكثير لو لم يكن لها صوت صلصلة.

صاح آرمبيت، «هيه، كيفمان! أنت لا تزال على قيد الحياة.»

سأل إكس ري، «ماذا قالت المديرة؟»

سأل ماغنت، «ماذا قلت لها؟»

قال ستانلي، «قلت لها إنني سرقت البذور.»

قال ماغنت، «عمل جيد.»

سأل زيغزاغ، «ماذا فعلَت؟»

هز ستانلي أحد كتفيه بلامبالاة. «لا شيء. غضبت من السيد سير لإزعاجه لها.»

لم يشعر أنه كان يرغب في الخوض في التفاصيل. فإذا لم يتحدث عن الأمر، عندئذ ربما يكون كما لو أنه لم يحدث.

توجه نحو حفرته، وأصيب بدهشة كبيرة عندما وجد أنه قد تم إنهاء حفرها، تقريباً. حدق فيها وهو مذهول. لم يكن هناك تفسير لذلك.

أو ربما هناك تفسير. ابتسم، وأدرك أنه لكونه تحمّل مسؤولية كيس بذور دوّار الشمس، فقد قام بقية الأولاد بحفر حفرته.

قال، «هيه، أشكركم.»

قال إكس ري، «لا تنظر إلي.»

نظر ستانلي، بارتباك، حوله - بدءاً من ماغنت إلى آرمبيت إلى زيغزاغ إلى سكويد. لم ينسب أي منهم الفضل لنفسه في ذلك.

عندئذ التفت إلى زيرو، الذي كانت يحفر بصمت في حفرته منذ عودة ستانلي. لقد كانت حفرة زيرو أصغر من حفر الآخرين جميعهم.

22

كان ستانلي أول من أنهى الحفر. وبصق داخل حفرته، ومن ثم استحم وارتدى مجموعة ملابسه الأكثر نظافة. لقد مضى ثلاثة أيام منذ أن تم غسيل الملابس، لذا، فحتى مجموعة ملابسه النظيفة كانت قذرة ورائحتها كريهة. وفي الغد سوف تصبح هذه هي ملابسه الخاصة بالعمل، وسيتم غسل المجموعة الأخرى من ملابسه.

لم يتمكن من التفكير بأي سبب يبرر حفر زيرو حفرته له. حتى أن زيرو لم يحصل على أي من بذور دوّار الشمس.

قال آرمبيت، «أعتقد أنه يحب حفر الحفر.»

قال زيغزاغ، «إنه خُلد. أعتقد أنه يأكل تراباً.»

أوضح إكس ري، «الخلد لا يأكل تراباً. الدود هو الذي يأكل تراباً.»

سأل سكويد، «هيه، زيرو؟ هل أنت خلد أم دودة؟»

لم يقل زيرو أي شيء.

ستانلي لم يشكر حتى أبداً. ولكنه جلس الآن على سريره ينتظر زيرو حتى يعود من غرفة الاستحمام.

قال، «شكراً،» عندما دخل زيرو من خلال فتحة الخيمة.

حدّق زيرو في وجهه، ثم ذهب إلى الصناديق، حيث وضع ملابسه القذرة ومنشفته.

سأل ستانلي، «لماذا ساعدتني؟»

التفت زيرو، وقال، «أنت لم تسرق بذور دوّار الشمس.»

قال ستانلي، «ولا أنت كذلك.»

حدق زيرو في وجهه، وبدت عيناه كما لو كانتا تتسعان، وكان يبدو كما لو أن زيرو كان ينظر، تقريباً، من خلاله تماماً. وقال، «أنت لم تسرق الحذاء الرياضي.»

لم يقل ستانلي أي شيء.

راقب زيرو وهو يخرج من الخيمة. لو كان لدى أي شخص إكس ري، لكان زيرو هو ذلك الشخص.

صاح، «إنتظر،» ثم خرج مسرعاً وراءه.

توقف زيرو خارج الخيمة، وكان ستانلي على وشك الارتطام به.

قدّم ستانلي عرضه، «سأحاول تعليمك القراءة إن أردت. لا أعرف ما إذا كنت أعرف كيف أعلمك، ولكنني لست متعباً جداً هذا اليوم، طالما أنك حفرت قدراً كبيراً من حفرتي.»

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه زيرو.

عادا إلى الخيمة حيث كان من الأقل احتمالاً تعرضهما للإزعاج. أخرج ستانلي علبه قرطاسيته وقلماً من صندوقه، وجلسا على الأرض.

سأل ستانلي، «هل تعرف الأحرف الأبجدية؟»

للحظة ظن أنه رأى ومضة تحدٍ في عيني زيرو، إلا أنها غابت بعد ذلك.

قال زيرو، «أعتقد أنني أعرف بعضها، A, B, C, D.»

قال ستانلي، «استمر.»

نظرت عينا زيرو إلى الأعلى، «E...»

قال ستانلي، «F.»

قال زيرو، «G» وأخرج بعض الهواء من طرف فمه. «H... I... K، P»

قال ستانلي، «H، I، J، K، L.»

قال زيرو، «ذلك صحيح، لقد سمعتها من قبل، إلا أنني لم أحفظها بدقة.»

سرد الأبجدية لزيرو، ثم أعادها زيرو بدون أي خطأ.

ليس سيئاً بالنسبة لطفل لم يشاهد أبداً برنامج شارع سمسم!

قال زيرو، «لقد سمعتها في مكان ما،» وهو يحاول أن يتصرف كما لو كان الأمر طبيعياً، ولكن ابتسامته العريضة كشفته.

كانت الخطوة التالية أكثر صعوبة، إذ كان يتعين على ستانلي التفكير بطريقة يعلمه فيها التعرّف على كل حرف. أعطى زيرو ورقة وأخذ ورقة لنفسه. «أعتقد أننا سوف نبدأ بحرف A»

كتب حرف A، ثم قام زيرو بنسخه على ورقته. لم تكن الورقة مسطّرة، ما جعل الأمر أكثر صعوبة، ولكن حرف A الذي كتبه زيرو لم يكن سيئاً، كل ما في الأمر أنه كان كبيراً قليلاً. وأخبره ستانلي بأنه يتعين عليه الكتابة بخط أصغر، وإلا سوف ينتهي الورق الذي لديهم بسرعة كبيرة. كتبه زيرو بخط أصغر.

قال ستانلي، «في الواقع هناك طريقتان لكتابة كل حرف،» وهو مدرك أن هذا سيكون أصعب حتى مما كان يتوقع. «ذلك هو حرف A كبير. ولكنك في الغالب سترى حرف a صغيراً. وستجد الأحرف الكبيرة فقط في بداية الكلمة، وفقط إذا كانت في بداية جملة، أو إذا كانت اسم علم، مثل أي اسم.»

أومأ زيرو برأسه كما لو كان قد فهم، ولكن ستانلي كان يعرف أنه لم يجعل الأمر مفهوماً جداً.

قام بكتابة الحرف الصغير، وقام زيرو بنسخه.

قال زيرو، «إذن هناك اثنان وخمسون.»

لم يعرف ستانلي عن ماذا كان يتحدث.

«بدلاً من ستة وعشرين حرفاً، هناك في الواقع اثنان وخمسون.»

نظر ستانلي إليه، مذهولاً. وسأل، «أعتقد أن ذلك صحيح. كيف حسبت ذلك؟»

لم يقل زيرو أي شيء.

«هل جمعت؟»

لم يقل زيرو أي شيء.

«هل ضربت؟»

قال زيرو، «ذلك فقط هو عددها.»

رفع ستانلي أحد كتفيه وخفضه. ولم يعرف حتى كيف عرف زيرو أنه كان هناك ستة وعشرون حرفاً أصلاً. هل قام بعدها وهو يسردها؟

وجعل زيرو يكتب بضعة أحرف A كبيرة وصغيرة، ثم انتقل إلى حرف B كبير. لقد أدرك أن ذلك سوف يستغرق وقتاً طويلاً.

واقترح زيرو، «يمكنك أن تعلمني عشرة أحرف في اليوم، خمسة كبيرة وخمسة صغيرة. وبعد خمسة أيام سأكون قد تعلمتها جميعها. باستثناء في اليوم الأخير، سأضطر إلى تعلّم اثني عشر حرفاً، ستة كبيرة وستة صغيرة.»

مرة أخرى، حدّق ستانلي في وجهه، مندهشاً من أنه كان قادراً على حساب كل ذلك.

لا بد أن زيرو اعتقد أنه كان يحدق في وجهه لسبب آخر، لأنه قال، «سوف أحفر جزءاً من حفرتك كل يوم. يمكنني أن أحفر لما يقرب من ساعة، ومن ثم يمكنك أن تعلمني لمدة ساعة، وبما أنني حفّار أسرع، على أي حال، فإنه سيتم إنجاز حفرتينا في الوقت ذاته، تقريباً. ولن أضطر إلى انتظارك.»

وافق ستانلي، «حسناً.»

وبينما كان زيرو يقوم بنسخ أحرف B، سأله ستانلي كيف حسب أن الأمر سوف يستغرق خمسة أيام. «هل ضربت؟ هل قسمت؟»

قال زيرو، «ذلك فقط ما هو عليه الأمر.»

قال ستانلي، «إنها عمليات رياضية جيدة.»

قال زيرو، «أنا لست غبياً. أعرف أن الجميع يعتقدون أنني كذلك. أنا فقط لا أحب أن أجيب عن أسئلتهم.»

في وقت لاحق من تلك الليلة، عندما استلقى على سريره، أعاد ستانلي النظر في الصفقة التي عقدها مع زيرو. إن الحصول على استراحة كل يوم سيكون أمراً مريحاً، ولكنه عرف أن إكس ري لن يعجبه ذلك. وتساءل ما إذا كانت هناك طريقة ما تجعل زيرو يوافق على حفر جزء من حفرة إكس ري، أيضاً. ولكن، مرة أخرى، ما الذي يجبره عل فعل ذلك؟ أنا الشخص الذي يقوم بتعليم زيرو، وسأحتاج إلى استراحة لتكون لدي الطاقة لتعليمه. وأنا الذي تحملت مسؤولية بذور دوّار الشمس، وأنا الشخص الذي غضب منه السيد سير.

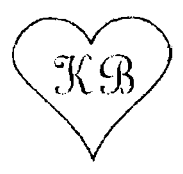
أغمض عينيه، وظهرت داخل رأسه صور من كوخ المديرة: أظافرها الحمراء، السيد سير وهو يتلوى على الأرض، حقيبة أدوات تجميلها المزينة بالزهور.

فتح عينيه.

وفجأة أدرك أين رأى الأنبوب الذهبي من قبل.

لقد رآه في حمام والدته، ورآه مرة ثانية في كوخ المديرة. لقد كان نصف علبة قلم أحمر شفاه.

كيه بي!



كيه بي!

شعر بصدمة من شدة الذهول.

وشكّل فمه بصمت اسم كيت بارلو، عندما تساءل ما إذا كان يخص حقاً الخارجة عن القانون المقبِّلة.

23

قبل مائة وعشرة أعوام، كانت غرين ليك أكبر بحيرة في تكساس، وكانت مليئة بماء بارد صاف، وكانت تتلألأ مثل زمردة عملاقة في الشمس. وكانت جميلة بشكل خاص في الربيع، عندما كانت أشجار الدراق، التي كانت تصطف على خط الساحل، تزهر ببراعم زهرية ووردية اللون.

لقد كانت هناك دائماً نزهة لأهل البلدة في الرابع من تموز/ يوليو. كانوا يلعبون الألعاب ويرقصون ويسبحون في البحيرة ليظلوا يشعرون بالبرودة. وكان يتم منح جوائز لأفضل فطيرة دراق وأفضل مربى دراق.

وكان يتم منح جائزة خاصة للآنسة كاثرين بارلو في كل سنة على دراقها المتبّل الرائع، ولم يحاول أحد حتى أن يصنع دراقاً متبلاً، لأنهم كانوا يعرفون أنه لن يكون هناك أي دراق ألذ من دراقها.

وفي كل صيف كانت الآنسة كاثرين تقوم بقطاف الدراق في بوشلات (مكاييل حبوب)، وحفظه في مرطبانات مع قرفة وقرنفل وجوزة الطيب وغيرها من البهارات التي كانت تحافظ على سرِّيتها. وكان الدراق المحفوظ في المرطبانات يدوم طوال الشتاء. ربما كان سيبقى لفترة أطول بكثير من ذلك، ولكنه كان يؤكل دائماً قبل نهاية الشتاء.

يقال إن غرين ليك كانت «جنة على الأرض» وإن دراق الآنسة كاثرين المتبّل كان «طعام الملائكة.»

وكانت كاثرين بارلو المدرِّسة الوحيدة في البلدة، وكانت تدرِّس داخل مبنى مدرسة قديم مكوّن من غرفة واحدة. لقد كان قديماً حتى في ذلك الحين، فقد كان السقف يدلف، والنوافذ لا تفتح، والباب معلقاً بشكل مائل على مفصلاته المتقوسة.

لقد كانت معلمة رائعة، مليئة بالمعلومات ومفعمة بالحيوية. وكان الأولاد يحبونها.

وكانت تعطي دروساً مسائية للبالغين، وكان كثير من البالغين يحبونها، أيضاً. لقد كانت جميلة جداً. وكانت حصصها الدراسية مليئة دائماً بشبان كانوا مهتمين بالمعلمة أكثر مما كانوا مهتمين بالتعليم.

ولكن كل ما كانوا يحصلون عليه دائماً كان التعليم.

وقد كان أحد هؤلاء الشبان هو تراوت واكر. وكان اسمه الحقيقي هو تشارلز واكر، ولكن الجميع كانوا ينادونه تراوت (أحد أنواع السمك) لأنه كانت لقدميه رائحة مثل رائحة سمكتين ميتتين.

لم تكن هذه هي غلطة تراوت بالكامل، فقد كان يعاني من فطر يصيب الأقدام غير قابل للشفاء. وفي الواقع أنه كان هو ذات فطر الأقدام الذي أصاب لاعب الكرة المشهور كلايد ليفنغستون بعد مائة وعشرة أعوام. ولكن كلايد ليفنغستون كان، على الأقل، يستحم كل يوم.

وكان تراوت يفتخر قائلاً، «إنني استحم صباح كل يوم أحد، سواء كنت بحاجة لذلك أم لا.»

وقد توقع الجميع، تقريباً، في بلدة غرين ليك أن تتزوج الآنسة كاثرين تراوت واكر، فقد كان ابن أغنى رجل في البلدة. وكانت عائلته تمتلك معظم أشجار الدراق، وكل الأرض الواقعة على الجانب الشرقي من البحيرة.

وغالباً ما كان تراوت يظهر في المدرسة المسائية، ولكنه لم يكن ينتبه أبداً، فقد كان يتحدث في الصف، وكان يبدي عدم احترام لمن حوله من الطلاب. لقد كان يسبب الكثير من الضجة وغبياً.

كان الكثير من الرجال في البلدة غير متعلمين، ولم يكن ذلك يزعج الآنسة كاثرين. لقد كانت تعرف أنهم كانوا يقضون معظم حياتهم في العمل في المزارع ومزارع تربية المواشي ولم يتلقوا الكثير من التعليم. ولذلك السبب كانت هي موجودة هناك - لتعليمهم. ولكن تراوت لم يكن يريد أن يتعلم، وكان يبدو أنه فخور بغبائه.

وسألها ذات مساء بعد الحصة الدراسية، «ما رأيك في التنزه على ظهر مركبي الجديد يوم السبت هذا؟»

قالت الآنسة كاثرين، «لا، شكراً لك.»

قال، «لدينا قارب جديد، ولست حتى بحاجة للتجديف فيه.»

قالت الآنسة كاثرين، «نعم، أعلم ذلك.»

لقد رأى الجميع في البلدة، وسمعوا عن قارب عائلة واكر الجديد. لقد كان يحدث ضجة عالية رهيبة، ويُخرج دخاناً أسود كريهاً فوق البحيرة الجميلة.

كان تراوت يحصل دائماً على كل شيء كان يريده. ووجد من الصعب تصديق أن الآنسة كاثرين قد رفضت عرضه، فوجّه إصبعه نحوها وقال، «لا أحد أبداً يقول 'لا' لتشارلز واكر!».

قالت كاثرين بارلو، «أعتقد أنني فعلت ذلك للتو.»

24

كان ستانلي نصف نائم عندما وقف في الطابور للحصول على وجبة الفطور، ولكن رؤية السيد سير أيقظته. لقد كان الجانب الأيسر من وجه السيد سير قد تورّم إلى حجم نصف شمامة. وكانت هناك ثلاثة خطوط بارزة ذات لون أرجواني داكن تمتد على خده حيث خدشته المديرة.

وكان من الواضح أن الأولاد الآخرين في خيمة ستانلي قد رأوا السيد سير، أيضاً، ولكن كان لديهم الحس السليم ما يكفي لعدم قول أي شيء. وضع ستانلي علبة عصير كرتونية وملعقة بلاستيكية على صينيته. وأبقى نظره نحو الأسفل، بالكاد كان يتنفس عندما غرف السيد سير بعض الطعام الشبيه بعصيدة الشوفان في وعائه.

أحضر صينيته إلى الطاولة. ومن ورائه، قال أحد الأولاد من إحدى الخيم الأخرى، «هيه، ما الذي حدث لوجهك؟»

كان هناك صوت ارتطام.

التفت ستانلي ليرى السيد سير يمسك برأس الصبي مقابل طنجرة عصيدة الشوفان. «هل هناك شيء خطأ في وجهي؟»

حاول الصبي أن يتكلم، ولكنه لم يستطع، لقد كان السيد سير يقبض على حنجرته.

وسأل السيد سير، «هل يرى أي منكم أي خطأ في وجهي؟» وهو لا يزال يخنق الصبي.

لم يقل أحد أي شيء.

ترك السيد سير الصبي، فارتطم رأسه بالطاولة عندما سقط على الأرض.

وقف السير سير من فوقه، وسأل، «كيف يبدو وجهي لك الآن؟»

خرج صوت غرغرة من فم الصبي، ومن ثم تمكّن من لفظ كلمة «رائع،» وهو يلهث.

«إنني وسيم، ألا تعتقد ذلك؟»

«نعم يا سيد سير.»

في الخارج عند البحيرة، سأل الأولاد ستانلي عما كان يعرفه عن وجه السيد سير، ولكنه هز كتفيه بلا اكتراث وحفر حفرته. إذا لم يتحدث عن الأمر فربما أنه سينتهي.

لقد عمل بجد وبسرعة قدر استطاعته، ولم يحاول أن يعمل ببطء. لقد كان يريد فقط الابتعاد عن البحيرة وعن السيد سير في أسرع وقت ممكن. إضافة إلى ذلك، كان يعرف أنه كان سيحصل على فترة استراحة.

كان زيرو قد قال، «عندما تكون مستعداً، فقط أخبرني بذلك.»

في المرة الأولى التي أتت فيها شاحنة نقل الماء، كان السيد بندانسكي هو من يقودها. وفي المرة الثانية كان السيد سير هو الذي يقودها.

لم يقل أحد أي شيء سوى، «شكراً لك يا سيد سير،» عندما كان يملأ كل مطرة. ولم يتجرأ أي أحد حتى على النظر إلى وجهه المفزع.

وبينما كان ستانلي ينتظر، مرر لسانه على سقف فمه وداخل خدّيه. لقد كان فمه جافاً وعطشاناً كما كانت البحيرة. لقد انعكست الشمس الساطعة عن المرآة الجانبية للشاحنة، واضطر ستانلي إلى حماية عينيه بيده.

قال ماغنت، «شكراً لك يا سيد سير،» وهو يأخذ مطرته منه.

سأل السيد سير، «هل أنت عطشان يا كيفهان؟»

قال ستانلي، «نعم يا سيد سير،» وهو يسلّم مطرته له.

فتح السيد سير فوهة الخرطوم، وتدفق الماء من الخزان، ولكنه لم يدخل في مطرة ستانلي. وبدلاً من ذلك، حمل المطرة بجانب مجرى الماء.

شاهد ستانلي الماء وهو يتناثر على التراب، حيث كان يتم امتصاصه بسرعة من قِبل الأرض العطشى.

ترك السيد سير الماء يتدفق لمدة ثلاثين ثانية تقريباً، ثم أوقف تدفقه. وسأل، «هل تريد المزيد؟»

لم يقل ستانلي أي شيء.

فتح السيد سير الماء مرة أخرى، ومرة ثانية شاهد ستانلي الماء وهو ينسكب على التراب.

«هاك، لا بد أن ذلك كثير.» وأعطى ستانلي مطرته الفارغة.

حدق ستانلي في البقع الداكنة التي على الأرض، والتي تقلصت بسرعة أمام عينيه.

وقال، «شكراً لك يا سيد سير.»

25

كان هناك طبيب في بلدة غرين ليك، قبل مائة وعشرة أعوام. وكان اسمه الدكتور هوثورن، وعندما كان الناس يمرضون، كانوا يذهبون لزيارة دوك هوثورن. ولكنهم كانوا يزورون كذلك سام، بائع البصل.

كان سام ينادي، «بصل! بصل طازج حلو» عندما كان وحمارته، ماري لو، يسيران جيئة وذهاباً على الطرق الترابية في غرين ليك. وكانت ماري لو تجر عربة مليئة بالبصل.

لقد كان حقل البصل الخاص بـ سام يقع في مكان ما على الطرف الآخر من البحيرة. وكان يقوم، مرة أو مرتين في الأسبوع، بالتجديف في القارب عبر البحيرة وقطف دفعة جديدة لملء العربة. كان لدى سام ذراعان قويان كبيران، ولكن بالرغم من ذلك كان التجديف عبر البحيرة يستغرق منه اليوم كله، ويوماً آخر للعودة. وكان في معظم الوقت يترك ماري لو في حظيرة، كانت عائلة واكر قد سمحت له باستخدامها بدون مقابل، ولكن في بعض الأحيان كان يأخذ ماري لو معه في القارب.

كان سام يزعم أن ماري لو كانت تبلغ من العمر خمسين عاماً، وهو سن كان، ولا يزال، يعتبر كبيراً بشكل غير عادي بالنسبة لحمار.

كان سام يقول، «إنها لا تأكل شيئاً سوى البصل النيء،» وهو يحمل بصلة بيضاء بين أصابعه الداكنة. «إنها من خضار الطبيعة السحرية. إذا لم يأكل أي شخص سوى بصل نيء، فمن الممكن أن يعيش حتى يصل إلى عمر مائتي عام.»

لم يكن عمر سام يتجاوز العشرين عاماً، لذا، لا أحد كان متأكداً تماماً من أن ماري لو كانت فعلاً كبيرة في السن كما قال عنها. كيف له أن يعرف؟

ومع ذلك، فإن أحداً لم يتناقش مع سام، وعندما كانوا يمرضون، كانوا لا يذهبون فقط إلى دوك هوثورن، وإنما كذلك إلى سام.

وكان سام يعطي دائماً النصيحة ذاتها: «تناول الكثير من البصل.»

كان يقول إن البصل كان جيداً لعملية الهضم وللكبد والمعدة والرئتين والقلب والدماغ. «إذا لم تصدقني، أنظر فقط إلى ماري لو العجوز هنا. إنها لم تُصَب يوماً بمرض أبداً في حياتها.»

وكان لديه كذلك الكثير من مختلف المراهم والكريمات والشراب والمعاجين التي كانت جميعها مصنوعة من عصير البصل، ومن أجزاء مختلفة من نبات البصل. هذا الجزء كان يشفي من الربو، وذلك الجزء كان للثآليل والبثور، وجزء آخر كان علاجاً لالتهاب المفاصل.

وكان لديه حتى مرهماً خاصاً زعم أنه يعالج الصلع. «قومي فقط بفرك رأس زوجك كل ليلة عندما يكون نائماً، سيدة كولينغود، وسرعان ما سيكون شعره كثيفاً وطويلاً كما هو ذيل ماري لو.»

لم يكن دوك هوثورن مستاء من سام، فقد كان سكان غرين ليك يخافون من المخاطرة. وكانوا يأخذون دواء عادياً من دوك هوثورن، وخلطات البصل من سام. وبعد أن كانوا يتعافون من مرضهم، لم يكن بإمكان أي منهم التأكد، ولا حتى دوك هوثورن، من أي من العلاجين هو الذي حقق الشفاء.

لقد كان دوك هوثورن أصلعاً تماماً، تقريباً، وغالباً ما كانت تنبعث من رأسه في الصباح رائحة البصل.

عندما كانت كاثرين بارلو تشتري بصلاً، كانت دائماً تشتري بصلة أو اثنتين زيادة، وتدع ماري لو تأكلهما من يدها.

وسألها سام في أحد الأيام عندما كانت تطعم ماري لو، «هل هناك شيء ما ليس على ما يرام؟ تبدين شاردة الذهن.»

قالت الآنسة كاثرين، «أوه، إنه الطقس فقط. يبدو أن هناك سحباً ممطرة قادمة.»

قال سام، «أنا وماري لو نحب المطر.»

قالت الآنسة كاثرين، «أوه، إنني أحب الطقس صافياً.» وهي تفرك شعر الحمارة الخشن الموجود أعلى رأسها. «كل ما في الأمر أن السقف يدلف في مبنى المدرسة.»

قال سام، «يمكنني إصلاحه.»

قالت كاثرين مازحة، «ما الذي تنوي أن تفعله؟ تملأ الثقوب بمعجون البصل؟»

ضحك سام.، وقال لها، «أنا جيد في استخدام يدي. لقد بنيت قاربي، ولو حدث فيه تسريب، سأكون في ورطة كبيرة.»

لم تستطع كاثرين إلا أن تلاحظ يديه القاسيتين القويتين.

عقدا صفقة معاً، فقد وافق على إصلاح السقف الذي يدلف مقابل الحصول على ستة مرطبانات من الدراق المتبّل.

استغرق سام أسبوعاً في إصلاح السقف، وذلك لأنه لم يكن بإمكانه العمل سوى بعد الظهر، بعد أن ينتهي دوام المدرسة وقبل أن تبدأ الدروس المسائية. لم يكن مسموحاً لسام حضور الدروس لأنه كان زنجياً، ولكنهم كانوا يسمحون له بإصلاح المبنى.

وكانت الآنسة كاثرين عادة تبقى في مبنى المدرسة لتصحيح الأوراق وما شابه، أثناء قيام سام بإصلاح السقف. وكانت تستمتع بأي محادثة قصيرة كانا قادرين على إجرائها، ويصيحان بصوت مرتفع ويُسكتان بعضهما البعض. لقد تفاجأت من اهتمامه بالشعر، فعندما كان يأخذ فترة استراحة، كانت أحياناً تقرأ له قصيدة. وفي أكثر من مناسبة، كانت تبدأ بقراءة قصيدة لـ بو أو لونغفيلو لتسمعه وهو ينهيها لها، من ذاكرته.

لقد كانت حزينة عندما انتهى إصلاح السقف.

فسألها، «هل هناك شيء خطأ؟»

قالت، «لا، لقد قمت بعمل رائع. كل ما في الأمر هو أن النوافذ لا تفتح. أود والأطفال أن نستمتع بالنسيم بين الحين والآخر.»

قال سام، «يمكنني إصلاحها.»

أعطته مرطبانين آخرين من الدراق، وأصلح سام النوافذ.

لقد كان التحدث إليه أسهل عندما كان يصلح النوافذ. لقد أخبرها عن حقل البصل السري الخاص به والواقع على الطرف الآخر من البحيرة، «حيث ينمو البصل على مدار السنة، والماء يتدفق نحو الأعلى.»

عندما تم إصلاح النوافذ، اشتكت من أن طاولتها كانت متقلقلة.

قال سام، «يمكنني أن أصلحها.»

وفي المرة التالية التي رأته فيها، ذكرت أن «الباب غير معلّق بشكل مستقيم،» وكان يتعين عليها قضاء بعد ظهر يوم آخر معه أثناء قيامه بإصلاح الباب.

وبحلول نهاية الفصل الدراسي الأول، كان سام البصل قد حوّل مبنى المدرسة المتهاوي إلى جوهرة مباني مطلي حديثاً ومتقن الصنع بحيث أن البلدة كلها كانت فخورة به. وكان الناس الذي يمرون بجانبه يتوقفون ويبدون إعجابهم به. «ذلك مبنى مدرستنا. إنه يُظهِر كم نقدِّر التعليم هنا في غرين ليك.»

الشخص الوحيد الذي لم يكن سعيداً بذلك كانت الآنسة كاثرين. لقد انتهت لديها الأشياء التي كانت بحاجة إلى إصلاح.

جلست إلى طاولتها بعد ظهر أحد الأيام، تستمع إلى صوت طقطقة المطر على السقف. لم تتسرب أي مياه إلى داخل غرفة الصف، باستثناء بعض القطرات التي سقطت من عينيها.

صاح سام، في الشارع، «بصل! بصل حلو ساخن!».

ركضت إليه، أرادت أن تلقي بذراعيها حوله، ولكنها لم تتمكن من دفع نفسها إلى فعل ذلك، وبدلاً من ذلك احتضنت رقبة ماري لو.

سألها، «هل هناك شيء ليس على ما يرام؟»

قالت، «أوه يا سام، قلبي يتحطم.»

قال سام، «يمكنني إصلاحه.»

التفت إليه.

أمسك بيديها الاثنتين وقبّلها.

وبسبب المطر، لم يكن هناك أي شخص آخر في الشارع. وحتى لو كان هناك أحد، فإن كاثرين وسام ما كانا سيلاحظانه. لقد كانا تائهين في عالمهما.

ولكن، في تلك اللحظة، خرجت هاتي باركر من المتجر العام. لم يرياها، ولكنها رأتهما. ووجهت إصبعها المرتعش نحوهما، وهمست، «سوف يعاقبكما الرب!»

26

لم تكن هناك هواتف، ولكن الخبر انتشر بسرعة في كافة أنحاء البلدة الصغيرة. وبحلول نهاية اليوم، كان الجميع في غرين ليك قد سمعوا أن معلمة المدرسة قد قبّلت قاطف البصل.

ولم يظهر أي طفل في المدرسة في صباح اليوم التالي. وجلست الآنسة كاثرين لوحدها في الصف، وتساءلت ما إذا كانت قد فقدت تتبعها لأيام الأسبوع. ربما كان السبت. ما كان ذلك ليفاجأها. لقد كان عقلها وقلبها في دوار منذ أن قبّلها سام.

سمعت ضجة خارج الباب، وفجأة أتى حشد من الرجال والنساء مقتحمين مبنى المدرسة. لقد كان تراوت واكر هو من يقودهم.

صاح تراوت، «ها هي! المرأة الشيطانة!»

كان الحشد يقلبون المقاعد ويمزقون لوحات الإعلانات.

وصرخ تراوت، «لقد كانت تسمّم عقول أطفالكم بكتبها.»

وبدأوا بتجميع الكتب في أكوام في منتصف الغرفة.

صرخت الآنسة كاثرين، «فكروا بما تفعلونه!»

أمسك بها أحدهم ومزّق ثوبها، ولكنها تمكنت من الخروج من المبنى، وهرعت إلى مكتب الشريف.

كان الشريف رافعاً قدميه فوق مكتبه، وكان يشرب من زجاجة ويسكي، وقال، «صباحك، آنسة كاثرين.»

قالت وهي تلهث لتلتقط أنفاسها، «إنهم يدمرون مبنى المدرسة. سوف يحرقونها بكاملها إذا لم يوقفهم أحد!»

قال الشريف ببطء، «هدئي نفسك يا جميلة للحظة وأخبريني ما الذي تتحدثين عنه.» ونهض عن مكتبه، وتوجه نحوها.

«لقد قام تراوت واكر –»

قال الشريف، «لا تبدأي بقول أي شيء سيء عن تشارلز واكر.»

قالت كاثرين بإلحاح، «ليس لدينا الكثير من الوقت! يجب عليك أن توقفهم.»

قال الشريف، «أنت حقاً جميلة.»

حدقت كاثرين في وجهه بفزع.

قال الشريف، «قبّليني.»

صفعته على وجهه.

ضحك. «لقد قبلت قاطف البصل، لماذا لا تقبلينني؟»

حاولت صفعه مرة أخرى، ولكنه أمسك بيدها.

حاولت التخلص منه، وصرخت، «أنت ثمل!».

«أنا أكون ثملاً دائماً قبل تنفيذ أي إعدام.»

«إعدام؟ من -»

«من المخالف للقانون أن يقوم زنجي بتقبيل امرأة بيضاء.»

قالت كاثرين، «حسناً، إذن عليك أن تعدمني أنا أيضاً. لأنني بادلته التقبيل.»

فأوضح لها الشريف، «ليس مخالفاً للقانون أن تقبّلينه أنت، فقط أن يقبّلك هو.»

قالت مؤكدة، «نحن جميعاً متساوون في نظر الرب.»

ضحك الشريف. «إذن إذا كان سام وأنا متساويين، لماذا لا تقبّلينني؟» وضحك مرة أخرى. «سأعقد معك صفقة. قبلة حلوة واحدة، ولن أعدم عشيقك، سوف أطرده من البلدة فقط.»

خلصت الآنسة كاثرين يدها منه، وعندما هرعت إلى الباب، سمعت الشريف يقول، «القانون سيعاقب سام، والرب سيعاقبك.»

خرجت مرة أخرى إلى الشارع، ورأت الدخان يتصاعد من مبنى المدرسة. ركضت إلى الأرض المحاذية للبحيرة حيث كان سام يربط ماري لو إلى عربة البصل.

«الحمد للرب أنني وجدتك،» تنهدت وعانقته. «يجب علينا الخروج من هنا. الآن!»

«ماذا -».

قالت، «لا بد أن أحدهم رآنا ونحن نقبّل بعضنا في الأمس. لقد أضرموا النار في مبنى المدرسة. وقال الشريف إنه سيعدمك!»

تردد سام للحظة، كما لو كان غير قادر على تصديق ذلك. لم يكن يريد أن يصدقه. «هيا يا ماري لو.»

قالت كاثرين، «علينا أن نترك ماري لو هنا.»

حدق سام للحظة في وجهها. وكانت عيناه مغرورقتين بالدموع. «حسناً.»

كان قارب سام في الماء، مربوطاً إلى شجرة بواسطة حبل طويل. قام بفك الحبل، وخاضا في الماء وصعدا على ظهره. وجدفت ذراعاه القويتان مبتعدتين بهما عن الشاطئ.

ولكن ذراعيه القويتين لم تكونا بقوة قارب تراوت واكر ذي المحرك. فقد كانا قد اجتازا مسافة أكثر قليلاً من منتصف الطريق عبر البحيرة عندما سمعت الآنسة كاثرين صوت هدير المحرك المرتفع. ثم رأت الدخان الأسود البشع...

هذه هي الحقائق:

اصطدم قارب واكر بقارب سام وحطمه. وتم إطلاق النار على سام وقتله في الماء. وتم إنقاذ كاثرين بارلو رغماً عنها. وعندما عادوا إلى الشاطئ، رأت جثة ماري لو ممددة على الأرض. لقد تم قتل الحمارة بإطلاق النار على رأسها.

كل ذلك حدث قبل مائة وعشرة أعوام. ومنذ ذلك الحين، لم تسقط نقطة مطر واحدة على غرين ليك.

قرر أنت: من الذي عاقبه الرب؟

بعد مقتل سام بثلاثة أيام، أطلقت كاثرين النار على الشريف عندما كان جالساً في كرسيه يحتسي فنجاناً من القهوة. وبعناية، قامت بعد ذلك بوضع طبقة من أحمر الشفاه الأحمر الرطب وقبّلته القبلة التي كان قد طلبها.

وعلى مدى العشرين سنة التالية كانت كيت بارلو المقبّلة واحدة من أكثر الخارجين عن القانون إثارة للرعب في الغرب كله.

27

غرس ستانلي جاروفه في الأرض. لقد كان عمق حفرته في الوسط حوالى ثلاثة أقدام ونصف القدم. كان يصدر صوت نخير وهو يرفع بعض التراب، ومن ثم يرميه جانباً. كانت الشمس تسطع فوق الرؤوس مباشرة، تقريباً.

نظر إلى مطرته وهي ملقاة بجانب حفرته. كان يعرف أنها كانت نصف ممتلئة، ولكنه لم يشرب منها بعد. كان يتعين عليه أن يشرب بكميات ضئيلة، لأنه لم يكن يعرف من سيكون سائق شاحنة نقل الماء في المرة التالية التي كانت ستأتي فيها.

مرت ثلاثة أيام منذ أن خدشت المديرة السيد سير. وفي كل مرة كان السيد سير يوصل فيها الماء، كان يصب الماء الخاص بستانلي على الأرض مباشرة.

ولحسن الحظ أن السيد بندانسكي كان يوصل الماء مرات أكثر مما يوصله السيد سير. وكان من الواضح أن السيد بندانسكي كان على علم بما كان يفعله السيد سير، وذلك لأنه كان يعطي ستانلي كمية أكثر قليلاً. كان يملأ مطرة ستانلي، ومن ثم يدع ستانلي يشرب جرعة طويلة، ثم يملأها له حتى فوهتها.

وما كان يساعد أيضاً أن زيرو كان يحفر بعضاً من حفرة ستانلي. وعلى الرغم من ذلك، كما توقع ستانلي، لم يرق للأولاد

الآخرين أن يروا ستانلي يجلس هناك بينما كانوا هم يعملون. وكانوا يقولون أشياء مثل، «من الذي مات وجعلك ملكاً؟» أو «لا بد أنه أمر لطيف أن يكون لديك عبدك الخاص.»

وعندما كان يحاول أن يوضح أنه هو من تحمّل مسؤولية بذور دوّار الشمس، كان الأولاد الأخرون يقولون إنها كانت غلطته لأنه كان هو الذي أسقطها على الأرض. وكان ماغنت يقول، «لقد خاطرت بحياتي من أجل تلك البذور. وكل ما حصلت عليه كان حفنة متسخة منها.»

وقد حاول ستانلي كذلك أن يوضح أنه كان بحاجة لتوفير طاقته بحيث يمكنه تعليم زيرو القراءة، إلا أن الأولاد الآخرين كانوا يسخرون منه.

وكان إكس ري يقول، «القصة القديمة ذاتها، أليس كذلك يا آرمبيت. الولد الأبيض يجلس بتكاسل في حين يقوم الولد الأسود بكل العمل. أليس هذا صحيحاً يا كيفهان؟»

أجاب ستانلي، «لا، ذلك ليس صحيحاً.»

ووافق إكس ري، «لا، ليس صحيحاً. ليس صحيحاً على الإطلاق.»

أخرج ستانلي ملء جاروف آخر من التراب، وكان يعرف أن إكس ري ما كان ليتكلم هكذا لو أنه كان هو من يعلّم زيرو القراءة. وعندئذ كان إكس ري سيتحدث عن مدى أهمية حصوله على راحة، صحيح؟ بحيث يمكنه أن يكون معلماً أفضل، صحيح؟

وكان ذلك صحيحاً. كان بحاجة لتوفير قوته بحيث يمكنه أن يكون معلماً أفضل، على الرغم من أن زيرو كان متعلماً سريعاً. في الواقع، كان ستانلي يتمنى، أحياناً، لو أن المديرة كانت تراقبهم، بكاميراتها وميكروفوناتها السرية، بحيث تعلم أن زيرو لم يكن غبياً كما كان الجميع يعتقدون.

لقد تمكّن من أن يرى، عبر البحيرة، سحابة الغبار القادم. أخذ جرعة ماء من مطرته، ثم انتظر ليرى من كان يقود الشاحنة.

أصبح الورم الذي على وجه السيد سير أخف، ولكنه كان لا يزال منتفخاً قليلاً. لقد كانت هناك ثلاث علامات خدش ممتدة على خده. علامتان منها تلاشتا، ولكن لا بد أن الخدش الذي في الوسط كان هو الأعمق، لأنه كان لا يزال موجوداً. لقد كان عبارة عن خط أرجواني متعرج يمتد من أسفل عينه إلى أسفل فمه، مثل وشم ندبة.

انتظر ستانلي في الطابور، ثم أعطاه مطرته.

رفعها السيد سير إلى أذنه وهزّها. وابتسم من صوت الصلصلة.

تأمل ستانلي أن لا يفرغها.

وأصيب بدهشة عندما حمل السيد سير المطرة تحت تيار الماء وملأها.

وقال، «انتظر هنا.»

مر السيد سير بجانب ستانلي، وهو لا يزال يحمل مطرته، ثم ذهب إلى جانب الشاحنة ودخل إلى القمرة، حيث لا يمكن رؤيته.

سأل زيرو، «ما الذي يفعله هناك؟»

قال ستانلي، «أتمنى لو كنت أعرف.»

بعد فترة قصيرة، خرج السيد سير من الشاحنة وأعطى ستانلي مطرته. وكانت لا تزال ممتلئة.

«شكراً لك يا سيد سير.»

ابتسم السيد سير في وجهه، وقال، «ما الذي تنتظره؟ إشرب.» وقذف بعضاً من بذور دوّار الشمس في فمه، ومضغها، ثم بصق القشور.

كان ستانلي خائفاً من شربها. وكان يكره أن يفكر أي نوع من المواد الفاسدة كان السيد سير قد وضعها فيها.

أعاد المطرة إلى حفرته. ولفترة طويلة من الوقت، تركها بجانب حفرته أثناء استمراره بالحفر. بعد ذلك، عندما شعر بعطش شديد لدرجة أنه كان من الصعب أن يتحمل أكثر من ذلك، فك الغطاء، وقلب المطرة، وسكبها كلها على التراب. لقد كان يخشى أنه لو انتظر ثانية أخرى، فربما كان سيأخذ جرعة منها.

بعد أن قام ستانلي بتدريس زيرو الأحرف الأبجدية الستة الأخيرة، علّمه كتابة اسمه.

«حرف Z كبير- e - r - o.»

كتب زيرو الأحرف أثناء قيام ستانلي بإملائها. وقال، «زيرو،» وهو ينظر إلى ورقته. لقد كانت ابتسامته كبيرة جداً بالنسبة لوجهه.

راقبه ستانلي وهو يكتبه مرة تلو المرة.

زيرو زيرو زيرو زيرو زيرو زيرو زيرو زيرو ... (Zero)

بطريقة أو بأخرى، جعله ذلك يشعر بحزن. لم يتمكن من منع نفسه من التفكير بأن زيرو (الصفر) مائة مرة يبقى لا شيء.

قال زيرو أثنا توجههما إلى غرفة الحطام لتناول وجبة العشاء، «أتعلم أن زيرو ليس هو اسمي الحقيقي.»

قال ستانلي، «حسناً، نعم. أعتقد أنني عرفت ذلك.» لم يكن أبداً متأكداً حقاً.

«الجميع كانوا دائماً ينادونني زيرو، حتى قبل أن آتي إلى هنا.»

«أوه، حسناً.»

«إن اسمي الحقيقي هو هيكتور.»

كرر ستانلي، «هيكتور.»

«هيكتور زيروني.»

28

بعد عشرين عاماً، عادت كيت بارلو إلى غرين ليك. لقد كانت هي المكان الذي لن يجدها فيه أحد أبداً - مدينة أشباح على بحيرة أشباح.

لقد ماتت كل أشجار الدراق، ولكن كانت هناك بضع شجرات بلوط صغيرة لا زالت تنمو بالقرب من الكوخ المهجور القديم. لقد كان الكوخ على الشاطئ الشرقي للبحيرة. والآن كانت حافة البحيرة تبعد مسافة تزيد عن خمسة أميال، وكانت عبارة عن ما هو أكثر قليلاً من بركة مليئة بمياه قذرة.

كانت تعيش في الكوخ. وفي بعض الأحيان كان بإمكانها سماع صوت سام يتردد عبر الفراغ. «بصل! بصل طازج حلو.»

كانت تعرف أنها كانت مجنونة، وكانت تعرف أنها كانت مجنونة على مدى العشرين سنة الماضية.

كانت تقول، «أوه يا سام،» وهي تتحدث في الفراغ الشاسع. «أعلم أن الجو حار، ولكنني أشعر ببرد شديد. يداي باردتان، وقدماي باردتان، ووجهي بارد، وقلبي بارد.»

وكانت، في بعض الأحيان، تسمعه وهو يقول، «يمكنني إصلاح ذلك،» وكانت تشعر بذراعه الدافئة على كتفيها.

كان قد مرّ ما يقرب من ثلاثة أشهر على وجودها في الكوخ عندما استيقظت في صباح أحد الأيام على شخص يفتح باب الكوخ بركله بقدمه. فتحت عينيها لترى مؤخرة ضبابية لبندقية على بعد إنشين من أنفها.

كان بإمكانها أن تشمّ رائحة قدمي تراوت واكر القذرتين.

قال تراوت، «لديك بالضبط عشر ثوان لتخبريني أين أخفيت غنائمك، وإلا سوف أفجر رأسك.»

تثاءبت.

كانت ترافق تراوت امرأة ذات شعر أحمر، كان بإمكان كيت أن تراها وهي تفتش الكوخ، وتفرغ الأدراج، وترمي الأشياء من فوق الرفوف الخزانات.

أتت المرأة إليها، وسألت، «أين هي؟»

سألت كيت، «لندا ميلر، هل هذه أنت؟»

كانت ليندا ميلر في الصف الرابع عندما كانت كيت لا تزال معلمة. لقد كان فتاة ذات وجه جميل ومنمش، وشعر أحمر جميل. والآن كان وجهها ملطخاً، وكان شعرها قذراً وأشعث.

قال تراوت، «إنها ليندا واكر الآن.»

قالت كيت، «أوه ليندا، أنا آسفة.»

وخز تراوت حنجرتها بالبندقية. «أين الغنائم؟»

قالت كيت، «لا توجد غنائم.»

صاح تراوت، «لا تهزأي بي! لقد سرقت كل بنك من هنا إلى هيوستن.»

قالت ليندا، «من الأفضل لك أن تخبريه، إننا يائسان.»

سألت كيت، «لقد تزوجته من أجل نقوده، أليس كذلك؟»

أومأت ليندا برأسها. «ولكنها ذهبت كلها. لقد جفت مع البحيرة. أشجار الدراق، والماشية. لقد بقيت أفكر: لا بد أن تمطر قريباً، ولا يمكن أن يستمر الجفاف إلى الأبد. ولكن استمرت حرارة الجو بالارتفاع أكثر وأكثر وأكثر...» كانت عيناها مثبتتين على الجاروف الذي كان مستنداً على الموقد. وأكّدت، «لقد دفنتها!»

قالت كيت، «لا أعلم ما الذي تتحدثين عنه.»

كان هناك صوت دوي انفجار قوي عندما أطلق تراوت النار من بندقيته فوق رأسها تماماً. وتحطمت النافذة التي كانت وراءها. وسأل، «أين دفنتها؟»

قالت كيت، «هيا، قم بقتلي يا تراوت. لكنني أتمنى حقيقة أن تكون محباً للحفر، لأنك سوف تكون مضطراً لأن تحفر لفترة طويلة. إنها أرض قاحلة شاسعة جداً هناك في الخارج. يمكنك أنت وأولادك وأولادهم أن تحفروا على مدى السنوات المائة التالية ولن تجدوها أبداً.»

أمسكت ليندا بشعر كيت وهزت رأسها إلى الوراء، وقالت، «أوه، لن نقتلك، ولكن بحلول الوقت الذي سنكون قد أنهينا الأمر معك، سوف تتمنين لو أنك كنت ميتة.»

قالت كيت، «كنت أتمنى لو كنت ميتة على مدى العشرين سنة الماضية.»

سحباها من السرير، وقذفا بها إلى الخارج. كانت ترتدي بيجاما حرير زرقاء، وبقيت جزمتها السوداء، المرصعة بأحجار فيروزية اللون، بجانب سريرها.

ربطا ساقيها معاً بشكل فضفاض لتتمكن من المشي، ولكن لا تتمكن من الركض. وجعلاها تمشي حافية القدمين على الأض الساخنة.

ولم يدعاها تتوقف عن المشي.

قال تراوت، «ليس قبل أن تأخذينا إلى مكان الأموال.»

وكانت ليندا تضرب كيت على ساقيها من الخلف بواسطة الجاروف. «سوف تأخذينا إليها عاجلاً أو آجلاً. لذا، ربما تودين كذلك أن تجعلي ذلك عاجلاً.»

كانت تسير باتجاه ثم في الاتجاه الآخر، إلى أن أصبحت قدماها سوداوين ومتقرحتين. وكلما توقفت، كانت ليندا تضربها بالجاروف.

وقال تراوت محذّراً، «إنني أفقد صبري.»

شعرت بضربة الجاروف في ظهرها، فوقعت على التراب القاسي.

قالت ليندا بلهجة آمرة، «إنهضي!»

كافحت كيت للوقوف على قدميها.

قال تراوت، «إننا متساهلان معك اليوم، وسيصبح الأمر أسوأ وأسوأ بالنسبة لك إلى أن تأخذينا إلى الأموال.»

صاحت ليندا، «إنتبه!»

قفزت سحلية تجاههم. كان بإمكان كيت أن ترى عينيها الحمراوين الكبيرتين.

حاولت ليندا أن تضربها بالجاروف، وأطلق تراوت النار عليها، ولكن أخطأ كلاهما الهدف.

استقرت السحلية على كاحل كيت العاري. وعضت أسنانها السوداء الحادة ساقها. ولعق لسانها الأبيض قطرات الدم التي سالت من الجرح.

ابتسمت كيت. لم يعد هناك أي شيء يفعلانه بها. وقالت، «إبدآ بالحفر.»

صرخت ليندا بصوت حاد، «أين هي؟»

وسأل تراوت، «أين دفنتيها؟»

ماتت كيت بارلو وهي تضحك.

الجزء الثاني

الحفرة الأخيرة


Twitter: @alqareah

29

كان هناك تغيير في الطقس.

إلى الأسوأ.

أصبح الهواء رطباً بشكل لا يطاق. وكان ستانلي يتصبب عرقاً. وكانت هناك حبات من الرطوبة تنحدر على مقبض جاروفه. وبدا، تقريباً، كما لو أن الحرارة قد أصبحت شديدة جداً لدرجة أن الهواء نفسه كان يتصبب عرقاً.

دوى صوت قصف رعد قوي عبر البحيرة الفارغة.

وكانت هناك عاصفة على مسافة بعيدة إلى الغرب، وراء الجبال. وكان بإمكان ستانلي أن يعد ثلاثين ثانية بين وميض البرق وقصف الرعد. تلك هي المسافة التي كانت تبعدها العاصفة، فالصوت ينتقل مسافة كبيرة عبر الأرض القاحلة القفراء.

في العادة، لم يكن بإمكان ستانلي أن يرى الجبال في مثل هذا الوقت من اليوم. وكان الوقت الوحيد الذي كانت تظهر فيه هو عند ارتفاع الشمس تماماً، قبل أن يصبح الهواء ضبابياً. ولكن السماء كانت، الآن، قاتمة جداً بعيداً باتجاه الغرب، وفي كل مرة كان البرق يومض، كان الشكل المظلم للجبال يظهر لفترة قصيرة.

صاح آرمبيت، «هيا، أمطري. هبّي في هذا الاتجاه!»

قال سكويد، «ربما ستمطر بغزارة بحيث تملأ البحيرة كلها. يمكننا الذهاب للسباحة.»

قال إكس ري، «أربعون يوماً وأربعون ليلة. أعتقد أنه من الأفضل لنا أن نبدأ ببناء سفينة لنا، ونأخذ اثنين من كل حيوان، أليس كذلك؟»

قال زيغزاغ، «نعم. حيتان جرسيتان وعقربان وسحليتان مرقطتان ببقع صفراء.»

لقد جعلت الرطوبة، أو ربما الكهرباء التي كانت في الهواء، رأس زيغزاغ يبدو حتى أكثر غرابة. لقد كان شعره الأشقر المجعَّد يقف بشكل مستقيم تقريباً.

أضاء الأفق بشبكة ضخمة من البرق. في ذلك الجزء من الثانية، ظن ستانلي أنه رأى تشكيلاً صخرياً غير عادي على قمة أحد الجبال. وبدت القمة بالنسبة له مثل قبضة عملاق تماماً، مع الإبهام بارزاً نحو الأعلى.

ثم اختفت.

ولم يكن ستانلي متأكداً مما إذا كان قد رآها أم لا.

«لقد وجدت مأوى فوق إبهام الرب.»

من المفترض أن ذلك هو ما قاله جد جده بعد أن سرقته كيت بارلو وتركته مقطوع السبيل في الصحراء.

ولم يعرف أحد أبداً ما الذي قصده بذلك. لقد كان في حالة هذيان عندما قال ذلك.

كان ستانلي قد سأل والده، «ولكن كيف تمكّن من العيش لمدة ثلاثة أسابيع بدون طعام أو ماء؟»

أجاب والده، «لا أعرف، لم أكن قد ولِدت بعد. ولم يكن والدي قد ولِد بعد. لقد كانت جدتي، والدة جدتك، ممرضة في المستشفى التي كانوا يعالجونه فيها. لقد كان يتحدث دائماً عن كيف كانت تربت على جبهته بقطعة قماش مبللة باردة. وقال إن ذلك كان هو السبب الذي جعله يقع في حبها. كان يعتقد أنها كانت ملاكاً.»

«ملاكاً حقيقياً؟»

لم يكن والده يعرف.

«وماذا عن بعد ما تحسّن؟ هل قال ما الذي كان يعنيه بـ إبهام الرب، أو كيف نجا؟»

«لا، إلا أنه كان يلوم والده سارق الخنازير السيء.»

تحركت العاصفة بعيداً نحو الغرب، مع أي أمل بهطول المطر. ولكن صورة القبضة والإبهام بقيت في رأس ستانلي. على الرغم من أنه بدلاً من أن يكون وميض البرق خلف الإبهام، كان البرق، في ذهن ستانلي، يخرج من الإبهام، كما لو كان إبهام الرب.

30

كان اليوم التالي هو يوم ميلاد زيغزاغ. أو هكذا قال هو. استلقى زيغزاغ في سريره عندما توجّه الجميع إلى الخارج. «سأخلد إلى النوم، لأنه يوم ميلادي.»

ومن ثم، بعد فترة قصيرة، اقتحم طابور وجبة الفطور، ووقف أمام سكويد بالضبط، فأخبره سكويد أن يذهب إلى آخر الطابور. قال زيغزاغ، هيه، إنه يوم ميلادي،» وبقي حيث هو.

قال ماغنت، الذي كان يقف خلف سكويد، «إنه ليس يوم ميلادك.»

قال زيغزاغ، «بل هو كذلك، 8 تموز/ يوليو.»

كان ستانلي وراء ماغنت، ولم يكن يعرف أي يوم من الأسبوع كان هذا اليوم، ناهيك عن التاريخ. من الممكن أنه كان 8 تموز/ يوليو، ولكن كيف كان لزيغزاغ أن يعرف ذلك؟

حاول أن يحسب كم مر على وجوده في مخيم غرين ليك، إذا كان التاريخ في الواقع هو 8 تموز/ يوليو. وقال بصوت مرتفع، «أتيت إلى هنا في 24 أيار/ مايو، إذن هذا يعني أنني قضيت هنا...»

قال زيرو، «ستة وأربعين يوماً.»

كان ستانلي لا يزال يحاول تذكُّر كم يوماً كان في كل من شهري أيار/مايو وحزيران/يونيو. نظر إلى زيرو. لقد تعلّم ألا يرتاب فيما يقول عندما كان الأمر يتعلق بالرياضيات.

ستة وأربعون يوماً. لقد كانت تبدو كما لو أنها ألف يوم. لم يتمكن من حفر حفرة في ذلك اليوم الأول، ولم يحفر حفرة بعد اليوم. وذلك يعني أنه قد حفر أربعاً وأربعين حفرة - إذا كان اليوم هو فعلاً 8 تموز/يوليو.

سأل زيغزاغ السيد سير، «هل يمكنني الحصول على علبة عصير إضافية؟ إنه يوم ميلادي.»

ووسط ذهول الجميع، أعطاه السير سير واحدة.

غرز ستانلي جاروفه في التراب. الحفرة رقم 45. وقال لنفسه، «الحفرة الخامسة والأربعين هي الأصعب.»

ولكن ذلك لم يكن في الواقع صحيحاً، وكان هو يعلم ذلك. لقد أصبح أقوى بكثير مما كان عليه عندما وصل أول مرة. لقد تكيّف جسده إلى حد ما مع الحرارة والظروف القاسية.

لم يعد السيد سير يحرمه من الماء. فبعد أن عوّد نفسه على كمية أقل من الماء لمدة أسبوع أو نحو ذلك، كان ستانلي يشعر الآن كما لو كان قد حصل على كل الماء الذي يمكن أن يريده.

وبالطبع ما ساعد في الأمر هو أن زيرو كان يحفرله حفرته كل يوم، ولكن ذلك لم يكن رائعاً كما كان الجميع يعتقد. وكان دائماً

يشعر بحرج أثناء قيام زيرو بحفر حفرته، غير متأكد مما يجب عليه أن يفعل مع نفسه. وغالباً ما كان يقف بدون أن يفعل أي شيء لفترة قصيرة، قبل الجلوس لوحده على الأرض الصلبة، والشمس تلسعه. لقد كان ذلك أفضل من الحفر. ولكن ليس أفضل بكثير.

عندما كانت الشمس ترتفع بعد ساعتين، كان ستانلي يبحث عن «إبهام الرب.» لقد كانت الجبال تبدو أكثر قليلاً من ظلال معتمة في الأفق.

ظن أنه كان بإمكانه أن يحدد المكان الذي كان يبدو أنه يبرز إلى الأعلى على قمة أحد الجبال، ولكن لم يبدُ ذلك مؤثراً جداً. وبعد وقت قصير، لم تعد الجبال مرئية، واختفت وراء وهج الشمس عاكسة الهواء المغبّر.

وأدرك أنه كان من الممكن أنه موجود في مكان ما بالقرب من المكان الذي سرقت فيه كيت بارلو والد جده. وإذا كان ذلك الذي وجده هو فعلاً أنبوب قلم حمرة شفاهها، عندئذ لا بد أن تكون قد عاشت في مكان ما هنا.

أخذ زيرو دوره قبل استراحة الغداء. وصعد ستانلي من حفرته، ونزل ستانلي إليها.

قال زيغزاغ، «هيه، كيفهان، يجب أن يكون لديك سوط، فإذا لم يحفر عبدك بسرعة كافية، يمكنك أن تضرب به ظهره.»

قال ستانلي، «إنه ليس عبدي، لقد عقدنا اتفاقاً، وذلك هو كل ما في الأمر.»

قال زيغزاغ، «صفقة جيدة بالنسبة لك.»

«لقد كانت فكرة زيرو، وليست فكرتي.»

قال إكس ري، وهو قادم نحوه، «ألا تعلم يا زيغ؟ إن كيفهان يقدّم خدمة كبيرة لزيرو. إن زيرو يحب حفر الحفر.»

قال سكويد، «إنه بالتأكيد شخص لطيف ليسمح لزيرو أن يحفر له حفرته.»

قال آرمبيت، «حسناً، وماذا عني؟ أنا أيضاً أحب أن أحفر حفراً. هل يمكنني أن أفعل ذلك لك يا كيفهان، بعد أن ينتهي زيرو؟»

ضحك باقي الأولاد.

قال زيغزاغ، «لا، أنا أريد أن أفعل ذلك، إنه يوم ميلادي.»

بذل ستانلي قصارى جهده لتجاهلهم.

استمر زيغزاغ بذلك، «هيا يا كيفهان، كن صديقاً، واسمح لي بحفر حفرتك.»

ابتسم ستانلي، كما لو كان الأمر كله مزحة كبيرة. وعندما وصل السيد بندانسكي بالماء والغداء، عرض زيغزاغ مكانه في الطابور على ستانلي. «طالما أنك أفضل مني بكثير.»

بقي ستانلي في مكانه.«لم أقل إنني أفـــ»

قال إكس ري، «إنك تهينه يا زيغ، لماذا يجب على كيفهان أن يأخذ مكانك في حين أنه يستحق أن يكون في المقدمة؟ إنه أفضل منا جميعاً. ألست كذلك يا كيفهان؟»

قال ستانلي، «لا.»

قال إكس ري، «بالتأكيد أنت أفضل. تعال الآن إلى مقدمة الطابور حيث ينبغي أن تكون.»

قال ستانلي، «ذلك جيد.»

قال إكس ري، «لا، ليس جيداً. تعال إلى هنا.»

تردد ستانلي، ثم انتقل إلى مقدمة الطابور.

قال السيد بندانسكي، «حسناً، هذه سابقة،» أثناء قدومه من جانب الشاحنة. وقام بملء مطرة ستانلي وأعطاه وجبة الغداء الموضوعة داخل كيس.

كان ستانلي سعيداً بالإفلات منهم. وجلس بين حفرته وحفرة زيرو. لقد كان سعيداً لأن زيرو سيقوم بحفر حفرته بقية اليوم، فربما يدعه باقي الأولاد وشأنه. ربما يجب عليه أن لا يسمح لزيرو بحفر حفرته له بعد الآن. ولكنه كان بحاجة لتوفير طاقته ليكون معلماً جيداً.

قضم شطيرته التي كانت تحتوي على نوع من مزيج اللحم والجبن الذي كان يأتي داخل علبة. لقد كان كل شيء، تقريباً، يأتي داخل علب في غرين ليك. وكانت شاحنة التموين تأتي مرة واحدة في الشهر. رفع نظره ليرى زيغزاغ وسكويد يتجهان نحوه.

قال زيغزاغ، «سوف أعطيك كعكتي إذا سمحت لي بحفر حفرتك.»

ضحك سكويد.

قال زيغزاغ، «هاك، خذ كعكتي،» وهو يقدمها له.

قال ستانلي، «لا، شكراً.»

قال زيغزاغ، «هيا، خذ كعكتي،» وهو يلصقها في وجهه.

قال ستانلي، «دعوني وشأني.»

قال زيغزاغ، «أرجوك، كل كعكتي،» وهو يحملها تحت أنف ستانلي.

ضحك سكويد.

دفعها ستانلي بعيداً عنه.

دفعه زيغزاغ بالمقابل، «لا تدفعني!»

«لم أفعل...» ونهض ستانلي. نظر حوله. كان السيد بندانسكي يملأ مطرة زيرو.

دفعه زيغزاغ مرة أخرى. «قلت،'لا تدفعني.'»

تراجع ستانلي خطوة إلى الوراء، متجنباً بحذر حفرة زيرو.

استمر زيغزاغ بإزعاجه، ودفع ستانلي وقال، «توقف عن الدفع!»

قال آرمبيت، «توقف عن مضايقته،» عندما انضم وماغنت وإكس ري إليهم.

رد إكس ري، «لماذا عليه أن يتوقف؟ كيفهان أضخم ويمكنه أن يتدبّر أمره بنفسه.»

قال ستانلي، «لاأريد إثارة أي مشاكل.»

دفعه زيغزاغ بقوة، وقال، «كُل كعكتي.»

كان ستانلي سعيداً لرؤية السيد بندانسكي يأتي نحوهم، مع زيرو.

قال آرمبيت، «مرحباً، يا موم. إننا نتسلى.»

قال السيد بندانسكي، «لقد رأيت ما كان يجري.» والتفت إلى ستانلي، وقال، «هيا يا ستانلي، ردّ له ضربته، أنت أكبر حجماً.»

حدق ستانلي في وجه السيد بندانسكي باندهاش.

قال السيد بندانسكي، «أعط المتنمر درساً.»

ضرب زيغزاغ ستانلي على كتفه بكفه المفتوح.

وقال متحدياً، «أعطني درساً.»

قام ستانلي بمحاولة ضعيفة للكم زيغزاغ، ثم شعر بسلسلة من اللكمات على رأسه ورقبته. كان زيغزاغ يمسك بياقته بإحدى يديه، وكان يضربه باليد الأخرى.

تمزقت الياقة وسقط ستانلي على التراب.

صاح السيد بندانسكي، «ذلك يكفي!»

لم يكن ذلك كافياً بالنسبة لزيغزاغ، فقفز فوق ستانلي.

صرخ السيد بندانسكي، «توقف!»

كان طرف وجه ستانلي مضغوطاً بشكل مسطح على التراب. لقد كان يحاول أن يحمي نفسه، ولكن قبضات زيغزاغ ضربت بعنف ذراعيه وسحقت وجهه داخل التراب.

كل ما كان بإمكانه أن يفعله هو الانتظار حتى ينتهي الأمر.

بعدئذ، وفجأة، نهض زيغزاغ عنه، وتمكن ستانلي من النظر إلى أعلى، ورأى أن زيرو كان قد لف ذراعه حول رقبة زيغزاغ الطويلة.

أصدر زيغزاغ صوت شردقة عندما كان يحاول جاهداً رفع ذراع زيرو عن رقبته.

صاح السيد بندانسكي، «سوف تقتله!»

استمر زيرو في الضغط.

تدخل آرمبيت بينهما، محرراً زيغزاغ من مسكَة زيرو الخانقة.

سقط الأولاد الثلاثة على الأرض في اتجاهات مختلفة.

وأطلق السيد بندانسكي النار من مسدسه في الهواء.

. . .

أتى المرشدون الآخرون راكضين من المكتب أو من الخيم أو من الخارج عند البحيرة. وكانت مسدساتهم مسحوبة من جِرابِها، ولكنهم أعادوها إليها عندما رأوا أن المشكلة قد انتهت.

خرجت المديرة من كوخها.

أخبرها السيد بندانسكي، «لقد كانت هناك أعمال شغب. كاد زيرو أن يخنق ريكي.»

نظرت المديرة إلى زيغزاغ، الذي كان لا يزال يمدّد ويدلّك رقبته، ومن ثم حوّلت انتباهها إلى ستانلي، الذي كانت حالته، من الواضح، هي الحالة الأسوأ. «ما الذي حدث لك؟»

«لا شيء، لم تكن أعمال شغب.»

قال آرمبيت، «كان زيغي يضرب كيفمان، ثم بدأ زيرو بخنق زيغزاغ، وقمت أنا بسحب زيرو عن زيغزاغ. لقد انتهى ذلك كله قبل أن يطلق موم النار من مسدسه.»

قال إكس ري، «لقد شعروا بالحرّ قليلاً، وأنت تعلمين كيف يكون ذلك. في الشمس طوال اليوم، يشعر الناس بالحرّ، أليس كذلك؟ ولكن كل شيء قد هدأ الآن.»

قالت المديرة، «فهمت.» والتفتت إلى زيغزاغ، «ما الأمر؟ ألم تحصل على كلب صغير بمناسبة يوم ميلادك؟»

قال إكس ري، «لقد شعر زيغ بشيء من الحرّ. طوال اليوم في الخارج تحت الشمس. أنت تعلمين كيف يكون ذلك. يبدأ الدم بالغليان.»

سألت المديرة، «هل ذلك هو ما حدث يا زيغزاغ؟»

قل زيغزاغ، «نعم، كما قال إكس ري، العمل بمشقة في الشمس الحارقة، بينما يجلس كيفمان باسترخاء لا يفعل شيئاً. لقد جعل دمي يغلي.»

قالت المديرة، «عفواً؟ كيفمان يحفر حفره، مثل كل شخص آخر.»

هز زيغزاغ كتفيه باستهجان، «أحياناً.»

«عفواً؟»

قال سكويد، «يقوم زيرو بحفر جزء من حفرة كيفمان كل يوم.»

نظرت المديرة من سكويد إلى ستانلي إلى زيرو.

قال ستانلي، «إنني أعلمه القراءة والكتابة. إنه نوع من المقايضة. لا تزال الحفرة تحفَر، إذن ما الذي يهم من يحفرها؟»

قالت المديرة، «عفواً؟»

سأل ستانلي، «أليس من الأهم له أن يتعلم القراءة؟ ألا يبني ذلك الشخصية أكثر من حفر الحفر؟»

قالت المديرة، «تلك هي شخصيته، ماذا عن شخصيتك؟»

رفع ستانلي أحد كتفيه وخفضه.

التفت المديرة إلى زيرو، «حسناً يا زيرو، ما الذي تعلمته حتى الآن؟»

لم يقل زيرو شيئاً.

سألته المديرة، «هل كنت تحفر حفرة كيفهان بدون مقابل؟»

قال السيد بندانسكي، «إنه يحب حفر الحفر.»

قالت المديرة، «أخبرني، ما الذي تعلمته في الأمس. من المؤكد أنك تتذكر ذلك.»

لم يقل زيرو شيئاً.

ضحك السيد بندانسكي، والتقط جاروفاً وقال، «ربما تحاول كذلك أن تعلم هذا الجاروف القراءة! إن لديه عقلاً أكثر من زيرو.»

قال زيرو، «الصوت 'at'.»

كررت المديرة، «الصوت 'at'. حسناً إذن، أخبرني، كيف تهجيء c– a –t؟»

حملق زيرو بارتباك.

كان ستانلي يعرف أنه كان يعرف الإجابة، ولكن زيرو كان لا يحب الإجابة عن أسئلة.

قال زيرو، «Cat (قطة).»

صفق السيد بندانسكي بيديه، «برافو! برافو! إن هذا الصبي عبقري!»

سألت المديرة، «F –a – t؟»

فكّر زيرو للحظة.

ستانلي لم يكن قد علمه الصوت «f» بعد.

همس زيرو، «إف، إف – آت. Fat (سمين).»

سألت المديرة، «ماذا عن h - a – t؟»

ستانلي لم يكن قد علمه الصوت «h» أيضاً.

ركّز زيرو، ثم قال، «Chat.»

ضحك جميع المرشدين.

قال السيد بندانسكي، «إنه عبقري، حسناً! إنه غبي جداً، إنه حتى لا يعرف أنه غبي.»

لم يعرف ستانلي لماذا بدا السيد بندانسكي متحاملاً على زيرو. لو أن السيد بندانسكي فقط فكر بالأمر، لأدرك أنه كان من المنطقي بالنسبة لزيرو أن يعتقد أن الحرف «h» يعطي الصوت «ch».

قالت المديرة، «حسناً، من الآن فصاعداً، لا أريد أن يقوم أحد بحفر حفرة أحد آخر. ولا دروس قراءة بعد اليوم.»

قال زيرو، «لن أقوم بحفر حفرة أخرى.»

قالت المديرة، «جيد.» والتفتت إلى ستانلي، «هل تعرف لماذا تحفر حفراً؟ لأن ذلك جيد لك. إنه يعلمك درساً. وعندما يقوم زيرو بحفر حفرتك لك، عندئذ أنت لا تتعلم درسك، أليس كذلك؟»

تمتم ستانلي، «أظن ذلك،» على الرغم من أنه كان يعرف أنهم لم يكونوا يحفرون لمجرد تعلم درس. لقد كانت تبحث عن شيء ما، شيء كان يخص كيت بارلو المقبِّلة.

سأل، «لماذا لا يمكنني أن أحفر حفرتي، ولكن أواصل تعليم زيرو القراءة؟ ما الضير في ذلك؟»

قالت المديرة، «سأخبرك ما الضير في ذلك. إنه يؤدي إلى إثارة مشاكل. كاد زيرو أن يقتل زيغزاغ.»

قال السيد بندانسكي، «إن ذلك يسبب له توتراً. أعلم أن نيتك حسنة يا ستانلي، ولكن واجه الأمر، زيرو أغبى من أن يتعلم القراءة، وذلك ما جعل دمه يغلي، وليس الشمس. »

قال زيرو، «لن أقوم بحفر حفرة أخرى.»

أعطى السيد بندانسكي الجاروف. «هاك، خذه يا زيرو. لن تحسن القيام بأي شيء آخر أبداً.»

أخذ زيرو الجاروف.

ثم أرجحه كما يفعل بمضرب البيسبول.

ارتطم النصل الحديدي بوجه بندانسكي. التوت ركبتاه أسفل منه، وكان قد فقد وعيه قبل أن يرتطم بالأرض.

سحب المرشدون جميعهم مسدساتهم.

رفع زيرو الجاروف أمامه، كما لو كان سيحاول صدّ الرصاصات. وقال، «أكره حفر الحفر.» ثم تراجع إلى الوراء ببطء.

قالت المديرة، «لا تطلقوا النار عليه، لا يمكنه أن يذهب إلى أي مكان. إن آخر شيء نريده هو فتح تحقيق.»

واصل زيرو التراجع إلى الوراء، متجاوزاً مجموعة من الحفر التي كان يحفرها الأولاد، ثم ابتعد أكثر وأكثر في البحيرة.

قالت المديرة، «سوف يضطر إلى الرجوع من أجل الماء.»

لاحظ ستانلي مطرة زيرو ملقاة على الأرض بالقرب من حفرته.

قام اثنان من المرشدين بمساعدة السيد بندانسكي على النهوض والدخول إلى الشاحنة.

نظر ستانلي بعيداً نحو زيرو، ولكنه كان قد اختفى في الضباب.

أمرت المديرة المرشدين بالتناوب على حراسة غرفة الاستحمام وغرف الحطام، طوال النهار وطوال الليل. كان مطلوب

منهم أن لا يسمحوا لزيرو بشرب أي ماء. وعندما يعود، كان يجب إحضاره مباشرة إليها.

تفحصت أظافرها، وقالت، «لقد حان الوقت تقريباً لأقوم بطلاء أظافري من جديد.»

وقبل أن تغادر، قالت للأعضاء الستة الباقين من المجموعة د إنها لا زالت تتوقع وجود سبع حفر.

31

غرس ستانلي جاروفة بغضب في التراب. لقد كان غاضباً من الجميع - السيد بندانسكي، والمديرة، وزيغزاغ، وإكس زي، وجد جده سارق الخنازير الفاسد القذر السيء. ولكنه كان غاضباً أكثر شيء من نفسه.

لقد كان يعرف أنه لم يكن ينبغي له أبداً أن يسمح لزيرو بحفر جزء من حفرته له. ومع ذلك كان من الممكن أن يعلمه القراءة. فلو أن زيرو كان بإمكانه أن يحفر طوال النهار ومع ذلك تبقى لديه القوة ليتعلم، فإنه كان ينبغي أن يكون هو قادراً على الحفر طوال النهار وأن تبقى لديه القوة للتعليم، على الرغم من ذلك.

وفكر أن ما كان يتعين عليه فعله هو الخروج وتعقّب زيرو.

ولكنه لم يفعل.

لم يساعده أحد في حفر حفرة زيرو، ولم يتوقع هو منهم ذلك. لقد كان زيرو يساعده في حفر حفرته، والآن هو مجبر على حفر حفرة زيرو.

بقي في الخارج عند البحيرة، يحفر أثناء الجزء الأشد حرارة من النهار، ولفترة طويلة بعد أن يكون الجميع قد ذهبوا إلى الداخل. وظل يترقب عودة زيرو، ولكن زيرو لم يعد.

لقد كان من السهل اللحاق بزيرو، إذ لم يكن هناك أحد يمنعه من ذلك. وظل يفكر أن ذلك ما كان يتعين عليه فعله.

ربما كان بإمكانها التسلق إلى قمة إبهام الرب.

إن لم تكن بعيدة جداً، وإن كانت هي حقاً المكان ذاته الذي وجد فيه والد جده مأوى، وإن كان الماء، بعد مائة عام أو نحو ذلك، لا يزال هناك.

لم يكن ذلك يبدو مرجحاً، ليس عندما جفت بحيرة بكاملها.

وفكر في نفسه أنه حتى لو وجدا مأوى فوق الإبهام الكبير، فإنه لا يزال سيتعين عليهما العودة إلى هنا، في نهاية المطاف. وعندئذ سيضطر كلاهما إلى مواجهة المديرة، وأصابعها التي أصبحت كأفعى جرسية.

وبدلاً من ذلك، خطرت له فكرة أفضل، على الرغم من أنه لم يكن قد استكمل تفاصيلها الكاملة بعد. لقد فكر أنه ربما كان بإمكانه أن يعقد اتفاقاً مع المديرة، بأن يخبرها أين وجد الأنبوب الذهبي إذا كانت لن تخدش زيرو.

لم يكن متأكداً كيف كان سيعقد هذا الاتفاق بدون أن يوقع نفسه في ورطة أعمق. ربما ستقول، أخبرني أين وجدته أو سأخدشك أنت أيضاً. إضافة إلى ذلك، فإن ذلك قد يعني إيقاع إكس ري في ورطة، أيضاً. وربما ستخدشه هو أيضاً.

وسيكون لدى إكس ري فرصة للإنتقام منه طوال الستة عشر أشهر التالية.

غرس جاروفه في التراب.

وبحلول صباح اليوم التالي، لم يكن زيرو قد عاد بعد. ورأى ستانلي أحد المرشدين يجلس حارساً بجانب حنفية الماء خارج حائط مكان الاستحمام.

كانت المنطقة حول عيني السيد بندانسكي سوداء، وتوجد ضمادة على أنفه. وقد سمعه ستانلي وهو يقول، «كنت دائماً أعرف أنه كان غبياً.»

كان مطلوباً من ستانلي أن يحفر حفرة واحدة فقط في اليوم التالي. وأثناء قيامه بالحفر، كان يواصل ترقب عودة زيرو، ولكنه لم يره أبداً. ومرة أخرى، فكّر بالخروج إلى البحيرة للبحث عنه، ولكنه بدأ يدرك أن الأوان قد فات.

لقد كان أمله الوحيد أن يكون زيرو قد وجد إبهام الرب لوحده. ولم يكن ذلك مستحيلاً، فقد وجده والد جده. ولسبب ما شعر والد جده بحاجة ملحة للتسلق إلى قمة ذلك الجبل. ربما سيشعر زيرو بالحاجة الملحة ذاتها.

إذا كان هو الجبل ذاته، وإذا كان لا يزال يوجد ماء هناك.

حاول أن يقنع نفسه بأن الأمر لم يكن مستحيلاً. لقد كانت هناك عاصفة قبل بضعة أيام فقط. ربما كان الإبهام الكبير هو في الواقع نوع من أبراج المياه الطبيعية التي كانت تتلقى المطر وتخزنها.

لم يكن مستحيلاً.

عاد إلى خيمته ليجد المديرة والسيد سير والسيد بندانسكي جميعهم بانتظاره. سألته المديرة، «هل رأيت زيرو؟»

«لا.»

«لا أثر له نهائياً؟»

«لا.»

«هل لديك أي فكرة إلى أين ذهب؟»

«لا.»

قال السيد سير، «أنت تعرف أنك لا تقدم له أي معروف إذا كنت تكذب. لا يمكنه أن يبقى على قيد الحياة هناك لأكثر من يوم أو يومين.»

«لا أعرف أين هو.»

حدّق الثلاثة في وجه ستانلي كما لو كانوا يحاولون اكتشاف ما إذا كان يقول الحقيقة. كان وجه بندانسكي متورماً، وكان بالكاد يستطيع فتح عينيه. لقد كانتا مجرد شقين.

وسألت المديرة السيد بندانسكي، «هل أنت متأكد من أنه ليست له عائلة؟»

قال السيد بندانسكي لها، «إنه تحت وصاية الحكومة. لقد كان يعيش في الشوارع عندما تم القبض عليه.»

«هل هناك من يمكن أن يوجه أسئلة؟ بعض الأخصائيين الاجتماعيين الذين يهتمون بشأنه؟»

قال السيد بندانسكي، «ليس لديه أحد. لقد كان هو لا أحد.»

فكرت المديرة للحظة. «حسناً، أريد منك أن تتلف جميع سجلاته.»

أومأ بندانسكي برأسه.

قالت المديرة، «لم يكن هنا أبداً.»

أومأ السيد سير برأسه.

وسألت السيد بندانسكي، «هل يمكنك الوصول إلى ملفات الحكومة من حاسوبنا؟ لا أريد أي شخص من مكتب المدعي العام أن يعرف أنه كان هنا.»

قال السيد بندانسكي، «لا أعتقد أن بإمكاني حذفه تماماً من كافة ملفات الحكومة. هناك العديد من الإحالات المتعددة. ولكن يمكنني تدبّر الأمر بحيث يكون من الصعب جداً لأي شخص أن يجد أي ملف له على الإطلاق. كما قلت، على أي حال، لن ينظر أي أحد أبداً. لا أحد يهتم بشأن هيكتور زيروني.»

قالت المديرة، «جيد.»

32

بعد يومين، تم تسجيل صبي جديد في المجموعة د. كان اسمه بريان، ولكن إكس ري أسماه تويتش (ارتعاش)، لأنه كان دائماً يرتعش. وتم تخصيص سرير زيرو وصندوقه لتويتش.

الشواغر لا تدوم لفترة طويلة في مخيم غرين ليك.

تم اعتقال تويتش لسرقته سيارة، وكان يدعي أنه كان بإمكانه اقتحام أي سيارة، وتعطيل جهاز الإنذار فيها، ويقوم بتشغيلها بواسطة وصل الأسلاك الساخنة، كل ذلك في أقل من دقيقة.

وقال لهم، «لم أكن أخطط أبداً، كما تعلمون، لسرقة سيارة، ولكن في بعض الأحيان، كما تعلمون، أمر بجانب سيارة رائعة حقاً، تقف في منطقة مهجورة، كما تعلمون، أبدأ بالارتعاش. وإذا كنتم تعتقدون أنني أرتعش الآن، كان يجب أن تروني عندما أكون في المكان الذي توجد فيه سيارة. والشيء التالي الذي أعرفه هو أنني أكون خلف المِقود.»

استلقى ستانلي على الجانب الذي يوجد فيه خده المخدوش. وقد خطر له أن سريره لم يعد ذا رائحة سيئة. وتساءل ما إذا كانت الرائحة قد اختفت أم أنه قد اعتاد عليها فقط.

قال تويتش، «هيه، كيفهان. هل يجب علينا حقاً أن ننهض في الساعة 4:30؟»

قال له ستانلي، «سوف تعتاد على ذلك. إنه الجزء الأكثر برودة من اليوم.»

حاول أن لا يفكر بزيرو. لقد فات الأوان، فإما أنه قد نجح في الوصول إلى الإبهام الكبير، أو ...

من ناحية أخرى، لم يكن أكثر ما يقلقه هو أن يكون الأوان قد فات، بل أكثر ما كان يقلقه، وما كان يزعجه باستمرار، هو الخوف من أنه لم يكن قد فات الأوان.

ماذا لو كان زيرو لا يزال على قيد الحياة، يزحف بيأس عبر التراب باحثاً عن ماء؟

لقد حاول جاهداً إبعاد هذه الصورة عن ذهنه.

في صباح اليوم التالي، في الخارج عند البحيرة، سمع ستانلي السيد سير وهو يخبر تويتش بالمتطلبات اللازمة لحفرته: «... بعرض وعمق جاروفك.»

ارتعش تويتش. كانت أصابعه تضرب بالعصا الخشبية لجاروفه، وكانت رقبته تتحرك من جانب إلى آخر.

قال السيد سير له، «لن ترتعش كثيراً بعد الحفر طوال اليوم. لن تكون لديك القوة لهزّ خنصرك.» وقذف بعض بذور دوّار الشمس في فمه، ومضغها بمهارة، ثم بصق القشور. «إن هذا ليس مخيماً لفتيات الكشافة.»

بعد شروق الشمس بوقت قصير، أتت شاحنة نقل الماء. وقف ستانلي في الطابور خلف ماغنت، وأمام تويتش.

ماذا لو لم يكن قد فات الأوان؟

راقب السيد سير وهو يملأ مطرة إكس ري. وبقيت في ذهنه صورة زيرو وهو يزحف على التراب الجاف الحار.

ولكن ما الذي كان بإمكانه أن يفعله بشأن ذلك؟ حتى وإن كان زيرو، بطريقة أو بأخرى، على قيد الحياة بعد أكثر من أربعة أيام، كيف لستانلي أن يجده؟ سيستغرق الأمر أياماً. وسيحتاج إلى سيارة.

أو لشاحنة صغيرة. لشاحنة صغيرة مزودة بخزان ماء في الجزء الخلفي.

تساءل ستانلي ما إذا كان السيد سير قد ترك المفاتيح في قفل تشغيل السيارة.

رجع ببطء إلى الوراء عن الطابور، ثم قام بالدوران ليصل إلى جانب الشاحنة. نظر من خلال النافذة، لقد كانت المفاتيح هناك، تتدلى من قفل التشغيل.

شعر ستانلي أن أصابعه بدأت ترتعش.

أخذ نفساً عميقاً ليُهدِّئ نفسه، ويحاول التفكير بوضوح، فهو لم يقم بقيادة سيارة أبداً من قبل.

ولكن إلى أي مدى يمكن أن يكون ذلك صعباً؟

وقال لنفسه، هذا جنون حقاً. وكلما كان يفكر بالأمر، كان يعرف أنه كان يتعين عليه أن يفعله بسرعة، قبل أن يلاحظ السيد سير.

وقال لنفسه، لقد فات الأوان. لا يمكن أن يكون زيرو على قيد الحياة.

ولكن ماذا لو لم يكن قد فات الأوان؟

أخذ نفساً عميقاً آخر. وقال لنفسه، فكر بالأمر. ولكن لم يكن هناك وقت للتفكير. اندفع نحو الشاحنة وفتح الباب وصعد بسرعة إلى الداخل.

صاح السيد سير، «هيه!»

أدار المفتاح وداس على دواسة البنزين. دار المحرك.

لم تتحرك الشاحنة.

داس على الدواسة حتى لمست الأرض، فأصدر المحرك صوت هدير، ولكن الشاحنة بقيت بلا حراك.

جاء السيد سير راكضاً نحو جانب الشاحنة، وكان الباب لا يزال مفتوحاً.

صاح تويتش، «أدخل ناقل الحركة في مكانه.»

كان ناقل الحركة على الأرض بجانب المقعد. سحب ستانلي ذراع نقل السرعة إلى الوراء إلى أن أشار السهم إلى الحرف D، الذي يعني قيادة (Drive).

اندفعت الشاحنة إلى الأمام، واندفع ستانلي إلى الوراء مرتطماً بالكرسي وهو يقبض بإحكام على عجلة القيادة عندما بدأت الشاحنة تتسارع. كانت قدمه ضاغطة على الدواسة حتى الأرض.

انطلقت الشاحنة أسرع وأسرع عبر قاع البحيرة الجاف، وقفزت فوق كومة من التراب. وفجأة اندفع ستانلي بعنف إلى الأمام، ومن ثم على الفور إلى الوراء عندما انفجر كيس الهواء في وجهه. وسقط من الباب المفتوح على الأرض. لقد قاد الشاحنة مباشرة إلى داخل إحدى الحفر.

كان ممدداً على التراب يحدّق في الشاحنة، التي علقت منكفئة على جانبها داخل الأرض. تنهد. ولم يكن بإمكانه هذه المرة إلقاء اللوم على جد جده سارق الخنازير الفاسد القذر السيء. هذه المرة كان ذلك خطأه هو، مائة بالمائة. ربما أنه فعل للتو أغبى شيء فعله في حياته القصيرة البائسة.

تمكّن من النهوض، وكان يشعر بالألم، إلا أنه لم يكن يعتقد أنه قد تعرض لأي كسر في العظام. نظر إلى السيد سير، الذي بقي حيث كان، وهو يحدّق بستانلي.

ركض، وكانت مطرته مربوطة حول عنقه، وكانت ترتطم بصدره أثناء ركضه، وفي كل مرة كانت ترتطم به، كانت تذكره بأنها كانت فارغة، فارغة، فارغة.

33

أبطأ سرعته وأصبح يمشي. وعلى حد معرفته، لم يكن أحد يطارده. كان بإمكانه سماع أصوات آتية من الخلف، بجانب الشاحنة، ولكنه لم يتمكن من معرفة الكلمات. وكان، بين الفينة والأخرى، يسمع صوت دوران المحرك، ولكن الشاحنة لم تكن ستذهب إلى أي مكان في أي وقت قريب.

توجّه نحو ما اعتقد أنه كان اتجاه الإبهام الكبير. لم يكن بإمكانه رؤيته من خلال الضباب.

لقد ساعد المشي على تهدئته، وأتاح له التفكير بوضوح. لقد كان يشك في أنه كان بإمكانه النجاح في الوصول إلى الإبهام الكبير، وبدون ماء في مطرته. لم يشأ أن يخاطر بحياته على أمل أنه قد يجد مأوى هناك. كان سيضطر إلى العودة إلى المخيم، وكان يعرف ذلك. ولكنه لم يكن في عجلة من أمره. سيكون من الأفضل العودة في وقت لاحق، بعد أن تكون قد سنحت الفرصة للجميع ليهدأوا. وطالما أنه أصبح بعيداً إلى هذا الحد، فربما أنه قام بالبحث عن زيرو، أيضاً.

قرر أن يمشي قدر استطاعته، إلى أن يصبح أضعف بكثير من أن يذهب إلى أي مكان أبعد، وعندئذ سوف يستدير ويعود أدراجه.

ابتسم عندما أدرك أن ذلك لم يكن سينجح تماماً. سوف يقطع نصف الطريق فقط – نصف الطريق بقدر ما كان يعتقد أن بإمكانه

الذهاب، بحيث تبقى لديه القوة للعودة. وبعد ذلك، سيضطر إلى عقد اتفاق مع المديرة، يخبرها أين وجد أنبوب قلم حمرة شفاه كيت بارلو، ويطلب الرحمة.

لقد تفاجأ بالمسافة الشاسعة التي كانت تمتد على مداها الحفر. لم يعد يتمكن حتى من رؤية مجمع المخيم، ولكنه كان لا يزال يمر بحفر. وعندما كان يعتقد أنه قد اجتاز الحفرة الأخيرة، كان يمر عبر مجموعة أخرى منها، بعد مسافة أبعد قليلاً.

وعودة إلى المجمع، حيث كانوا يحفرون بترتيب منهجي، صفاً بجانب صف، مع ترك مساحة لشاحنة نقل الماء. ولكن هنا لم يكن يوجد نظام. كان الأمر يبدو كما لو أن المديرة كانت، بين الفينة والأخرى، في نوبة إحباط، تختار بقعة بشكل عشوائي، وتقول، «ماذا بحق الجحيم، أحفروا هنا.» لقد كان الأمر مثل محاولة تخمين الأرقام الفائزة في اليانصيب.

وجد ستانلي نفسه ينظر داخل كل حفرة كان يمر بها. ولم يعترف لنفسه ما الذي كان يبحث عنه.

بعد أن انقضى من الوقت أكثر من ساعة، اعتقد أنه كان متأكداً من أنه قد مرّ بآخر حفرة، ولكن، بعد ذلك، رأى بعيداً إلى اليسار مجموعة أخرى منها. لم يكن قد رأى في الواقع الحفر، وإنما رأى أكوام التراب التي كانت تحيط بها.

صعد فوق الأكوام ونظر داخل أول حفرة. توقف قلبه.

كانت توجد في القاع عائلة من السحالي المرقطة ببقع صفراء. وكانت عيونها الكبيرة الحمراء تنظر إلى الأعلى باتجاهه.

قفز إلى الوراء فوق الكومة، ثم ركض.

لم يكن يعرف ما إذا كانت تطارده، واعتقد أنه قد رأى قفزة واحدة من الحفرة.

استمر بالركض إلى أن لم يعد بإمكانه الركض أبعد، ثم انهار. لم تكن قد لحقت به.

جلس هناك لفترة قصيرة والتقط أنفاسه. وعندما عاد للوقوف على قدميه، ظن أنه قد لاحظ شيئاً ما على الأرض، ربما على بعد خمسين ياردة. لم يكن يبدو شيئاً ذا أهمية، ربما مجرد حجر كبير، ولكن في أرض مقفرة، يبدو أي شيء بسيط غير عادي.

سار ببطء نحوه، فقد جعلته المواجهة مع السحالي حذراً جداً.

واتضح أنه كان كيساً فارغاً من أكياس بذور دوّار الشمس. وتساءل ما إذا كان هو ذات الكيس الذي سرقه ماغنت من السيد سير، على الرغم من أن ذلك كان يبدو بعيد الاحتمال.

قام بقلب داخله إلى الخارج، ووجد بذرة واحدة عالقة بالخيش.

الغداء.

34

كانت الشمس تسطع، تقريباً، فوق الرأس مباشرة. وأدرك أنه لن يتمكن من السير أكثر من ساعة واحدة أخرى، وربما ساعتين، قبل أن يكون مضطراً للعودة.

لقد بدا الأمر غير مجدٍ. لقد كان يشعر بالحر ومتعباً وجائعاً، والأهم من ذلك كله، عطشاً. ربما كان يتعين عليه العودة الآن، فربما أنه قد قطع فعلياً نصف المسافة وهو لا يعرف.

بعد ذلك، وأثناء النظر من حوله، رأى بركة من الماء على بعد أقل من مائة ياردة من المكان الذي كان يقف فيه. أغمض عينيه وفتحهما ليتأكد من أنه لم يكن يتخيلها. وكانت لا تزال البركة موجودة هناك.

هرع نحوها، وهرعت هي بعيداً عنه، فكانت تتحرك عندما كان يتحرك، وتقف عندما كان يقف.

لم يكن هناك أي ماء، لقد كان سراباً سببته موجات الحرارة الومضة التي كانت تتصاعد من الأرض الجافة.

واصل المسير، وكان لا يزال يحمل معه كيس بذور دوّار الشمس الفارغ. ولم يكن يعرف ما إذا كان سيجد شيئاً ما ليضعه في داخله.

بعد فترة من الزمن، ظن أنه كان بإمكانه تمييز شكل الجبال من خلال الضباب. في البداية، لم يكن متأكداً ما إذا كان هذا نوعاً آخر من السراب، ولكن كلما سار لمسافة أبعد، كانت تظهر أوضح للعيان. وكان بإمكانه أن يرى أمامه مباشرة، تقريباً، ما كان يبدو مثل قبضة يد وإبهامها يبرز إلى الأعلى.

لم يكن يعرف كم كان يبعد. خمسة أميال؟ خمسون ميلاً؟ أمر واحد كان مؤكداً. لقد قطع أكثر من نصف المسافة.

واصل المسير نحوه، على الرغم من أنه لم يكن يعرف لماذا. كان يعرف أنه كان سيضطر إلى الالتفاف والعودة قبل أن يصل إلى هناك. ولكن في كل مرة كان ينظر إليه، كان يبدو أنه يشجعه، مظهِراً له إشارة الإبهام المرفوع.

وعندما واصل السير، أصبح على بينة من شيء ضخم فوق البحيرة، ولم يكن بإمكانه معرفة ما كان، أو حتى ما إذا كان طبيعياً أو من صنع البشر. لقد كان يبدو نوعاً ما مثل شجرة ساقطة، على الرغم من أنه لم يكن من المحتمل أن تنمو شجرة هنا. ومن المرجح أكثر أنه كان سلسلة من التراب أو الحجارة.

ذلك الشيء، أياً كان، لم يكن في الطريق إلى الإبهام الكبير، وإنما بعيداً إلى اليمين. لقد حاول أن يقرر ما إذا كان عليه الذهاب إليه أم الاستمرار بالمسير نحو الإبهام الكبير. أو ربما الالتفاف والعودة.

وقرر أنه لم تكن هناك جدوى من التوجّه نحو الإبهام الكبير، فهو لن ينجح في ذلك. لقد كان يعرف أن الأمر كله كان مثل ملاحقة القمر. ولكن كان بإمكانه النجاح في الوصول إلى الشي الغامض.

لقد قام بتغيير الاتجاهات، وكان يشك في أنه كان أي شيء، ولكن حقيقة أنه كان هناك شيء ما في وسط هذا اللاشيء، جعل من الصعب بالنسبة له تجاوزه. وقرر أن يجعل هذا الشيء نقطة منتصف الطريق بالنسبة له، وكان يأمل أن لا يكون قد ابتعد كثيراً بالفعل.

ضحك بينه وبين نفسه عندما رأى ماذا كان. لقد كان قارباً - أو جزءاً من قارب على أي حال. وقد صدمه ذلك لكونه من الغريب أن يرى المرء قارباً في وسط هذه الأرض القفرة الجافة والقاحلة. ولكن في النتيجة، فطن للأمر، كانت هذه الأرض ذات مرة بحيرة.

كان القارب مقلوباً رأساً على عقب، ونصفه مدفوناً في التراب.

فكر بتجهم، ربما أن شخصاً ما قد غرق هنا - في البقعة ذاتها التي كان من الممكن أن يموت فيها من العطش.

كان اسم القارب مكتوباً بطلاء على الجزء الخلفي. لقد كانت الأحرف الحمراء، المقلوبة رأساً على عقب، مقشرة وباهتة، ولكن كان لا يزال بإمكان ستانلي قراءة الاسم، ماري لو.

كان يوجد عند أحد جانبي القارب كومة من التراب، ومن ثم نفق يؤدي إلى الأسفل تحت القارب. كان يبدو النفق كبيراً إلى درجة تسمح بمرور حيوان، لا بأس بحجمه، زاحفاً من خلاله..

سمع ضجة، شيئاً ما كان يتحرك تحت القارب.

كان في طريقه إلى الخروج.

صاح ستانلي، «هيه!» آملاً أن يخيفه للعودة إلى الداخل. لقد كان فمه جافاً جداً، وكان من الصعب الصراخ بصوت مرتفع جداً.

«هيه،» أجاب الشيء بضعف.

ثم امتدت يد داكنة اللون وكم برتقالي إلى خارج النفق.

35

كان وجه زيرو يبدو مثل يقطينة فانوس جاك التي تم تركها لأيام عديدة بعد الهالوين - نصف متعفنة، وعينين غارقتين وابتسامة متدلية. وسأل، «هل ذلك ماء؟» كان صوته ضعيفاً وأجشاً. وكانت شفتاه باهتتين جداً لدرجة أنهما كانتا بيضاوين، تقريباً. وبدا لسانه يتحرك بتثاقل عبثاً داخل فمه وهو يتكلم، كما لو كان يقف في طريق الكلام.

قال ستانلي، «إنها فارغة.» وحدّق في وجه زيرو وهو غير مصدق تماماً أنه كان حقيقة. «لقد حاولت أن أحضر لك شاحنة الماء كلها، ولكن،» ابتسم بخجل، «أسقطتها في حفرة عندما قمت بقيادتها. لا أستطيع أن أصدق أنك ...»

قال زيرو، «ولا أنا.»

«هيا، يجب علينا العودة إلى المخيم.»

هز زيرو رأسه، «لن أعود.»

«يجب عليك أن تعود. يجب أن نعود كلانا.»

سأل زيرو، «هل تريد بعض السبلوش؟»

«ماذا؟»

حمى زيرو عينيه بذراعه، وقال، «إن الجو أبرد تحت القارب.»

راقب ستانلي زيرو وهو يزحف إلى الوراء في حفرته. لقد كان بقاؤه على قيد الحياة معجزة، ولكن ستانلي عرف أنه كان لا بد له من إعادته إلى المخيم في أسرع وقت، حتى لو اضطر إلى حمله.

زحف وراءه، وكان قادراً على ضغط جسمه داخل الحفرة، وما كان أبداً ليتناسب حجمه مع الحفرة عندما أتى لأول مرة إلى مخيم غرين ليك. لقد فقد الكثير من وزنه.

عندما سحب نفسه خلال الحفرة، ارتطمت ساقه بشيء حاد وقاس. لقد كان جاروفاً. وللحظة تساءل ستانلي كيف وصل إلى هنا، ولكنه تذكر بعد ذلك أن زيرو كان قد أخذه معه بعد ضرب السيد بندانسكي.

لقد كان الجو أكثر برودة تحت القارب، الذي كان نصف مدفون في التراب. وكان هناك ما يكفي من الشقوق والثقوب في قاع القارب، الذي أصبح الآن هو السقف، لتوفير الضوء والتهوية. كان بإمكانه أن يرى مرطبانات فارغة متناثرة في كل مكان.

حمل زيرو أحد المرطبانات في يده وأصدر صوت نخير وهو يحاول فتح الغطاء.

«ما هذا؟»

«سبلوش!» كان صوته مجهداً حيث أنه كان يحاول فتح المرطبان. «هذا هو ما أسميه. لقد كانت مدفونة تحت القارب.»

لم يكن قد تمكّن بعد من فتح الغطاء. «لقد وجدت ستة عشر مرطباناً. هنا، أعطني الجاروف.»

لم يكن لدى ستانلي الكثير من المساحة ليتحرك. مدّ نفسه إلى الوراء، وأمسك بالنهاية الخشبية للجاروف، وأعطاها لزيرو، من جهة النصل.

قال زيرو، «في بعض الأحيان تكون مضطراً لـ ...،» ثم ضرب المرطبان على نصل الجاروف، ما أدى إلى كسر فوهة المرطبان كلها. وبسرعة رفع المرطبان إلى فمه ولعق السبلوش عن الحواف الخشنة قبل أن ينسكب.

حذّر ستانلي، «انتبه.»

التقط زيرو الغطاء المكسّر، ولعق السبلوش عنه، أيضاً. ثم أعطى المرطبان المكسور لستانلي.

«إشرب بعضاً منه.»

أمسكه ستانلي بيده وحدق فيه للحظة. لقد كان خائفاً من الزجاج المكسور، وكان كذلك خائفاً من السبلوش، فقد كان يبدو مثل الوحل. ومهما كان ذلك، كان ستانلي يدرك أنه لا بد قد كان في القارب عندما غرق، وكان ذلك يعني أن عمره ربما أكثر من مائة عام. ومن يعلم كم نوع من البكتيريا يمكن أن تعيش فيه.

قال زيرو مشجعاً إياه، «إنه جيد.»

وتساءل ما إذا كان زيرو قد سمع عن البكتيريا. رفع المرطبان إلى فمه، وبحذر، أخذ رشفة.

كان دافئاً، وفوّاراً، وحلو المذاق، ومنعشاً. لقد شعر به كما لو كان في الجنة وهو يتدفق على فمه الجاف، وينزل إلى حنجرته العطشى. واعتقد أنه ربما كان نوعاً من الفواكه الخاصة بوقت ما، ربما دراق.

ابتسم زيرو في وجهه. «لقد أخبرتك بأنه كان جيداً.»

لم يكن ستانلي يريد أن يشرب منه كثيراً، ولكنه كان جيداً جداً لدرجة لا يمكن مقاومته. وقاما بتمرير المرطبان بينهما ذهاباً وإياباً إلى أن أصبح فارغاً. وسأل، «كم عدد المرطبانات المتبقية؟»

قال زيرو، «لا شيء.»

تدلى فم ستانلي، وقال، «الآن يجب علي أن أعيدك.»

قال زيرو، «لن أحفر المزيد من الحفر.»

وعده ستانلي، «لن يجعلوك تحفر. ربما سيرسلونك إلى إحدى المستشفيات، مثل بارف باغ.»

قال زيرو، «بارف باغ داس على أفعى جرسية.»

وتذكر ستانلي كيف كان على وشك أن يفعل الشيء ذاته. «أعتقد أنه لم يسمع الصلصلة.»

قال زيرو، «لقد فعل ذلك عن قصد.»

«أتعتقد ذلك؟»

لقد خلع حذاءه وجواربه أولاً.

ارتعش ستانلي عندما حاول أن يتخيل ذلك.

سأل زيرو، «ما هي مار- يا لهو - و (Mar-ya Luh-oh-oo)؟»

«ماذا؟»

ركّز زيرو بشدة، «مار يا، لهو و.»

«ليس لدي أي فكرة.»

قال زيرو، «سأريك.» وزحف إلى الوراء ليخرج من تحت القارب.

تبعه ستانلي. وبالعودة إلى الخارج، كان يتعين عليه حماية عينيه من الضوء الساطع.

مشى زيرو إلى مؤخرة القارب وأشار إلى الأحرف المقلوبة رأساً على عقب. «مار- يا لهو -و.»

ابتسم ستانلي، «ماري لو. إنه اسم القارب.»

كرر زيرو، «ماري لو،» وهو يحلل الأحرف. «كنت أعتقد أن 'y' تعطي الصوت 'yuh'.»

قال ستانلي، «هي كذلك، ولكن ليس عندما تأتي في آخر الكلمة. ففي بعض الأحيان يكون 'y' حرف علّة، وأحياناً يكون حرفاً ساكناً.»

وفجأة أخذ زيرو يتأوه. أمسك ببطنه وانحنى.

«هل أنت على ما يرام؟»

سقط زيرو على الأرض، وتمدد على جنبه وركبتاه منثنيتان نحو صدره. وواصل التأوه.

كان ستانلي يراقبه عاجزاً عن فعل أي شيء. وتساءل ما إذا كان ذلك بسبب السبلوش. نظر إلى الوراء نحو مخيم غرين ليك. على الأقل اعتقد أنه كان اتجاه مخيم غرين ليك. لم يكن متأكداً تماماً.

توقف زيرو عن التأوه، وبدأ جسده ينفرد ببطء.

قال ستانلي، «سوف أعيدك.»

تمكّن زيرو من الجلوس بشكل مستقيم، وأخذ عدة أنفاس عميقة.

طمأنه ستانلي قائلاً، «أنظر، لدي خطة بحيث لا تقع في مشكلة. أتذْكر عندما وجدت الأنبوب الذهبي. أتذْكر أنني أعطيته لإكس ري، وأصاب المديرة جنون فجعلتنا نحفر في المكان الذي اعتقدت أن إكس ري وجده فيه. أعتقد أنني إذا أخبرت المديرة أين وجدته حقاً، أعتقد أنها لن تعاقبنا.»

قال زيرو، «لن أعود.»

قال ستانلي، «ليس لديك أي مكان آخر لتذهب إليه.»

لم يقل زيرو شيئاً.

قال ستانلي، «ستموت هنا.»

«إذن سأموت هنا.»

لم يعرف ستانلي ماذا يفعل. لقد أتى لينقذ زيرو، وبدلاً من ذلك شرب آخر ما تبقى من سبلوشه. نظر بعيداً في المدى الشاسع.

«أريدك أن تنظر إلى شيء.»

«أنا لن -»

«أريدك فقط أن تنظر إلى ذلك الجبل هناك. أترى ذلك الجبل الذي يبرز منه شيء ما؟»

«نعم، أعتقد ذلك.»

«ماذا يشبه بالنسبة لك؟ هل يبدو مثل أي شيء؟»

لم يقل زيرو شيئاً.

ولكنه تفحص الجبل، وتحولت يده اليمنى ببطء إلى شكل قبضة، ورفع إبهامه. وانتقلت عيناه من الجبل إلى يده، ومن ثم عادت إلى الجبل.

36

وضعا أربعة من المرطبانات المكسورة داخل كيس الخيش، فقد يكونان قادرين على استخدامها. حمل ستانلي الكيس، وحمل زيرو الجاروف.

قال ستانلي، «يجب أن أحذرك. أنا لست الشخص الأكثر حظاً في العالم.»

لم يكن زيرو قلقاً. وقال، «عندما تكون قد قضيت كل حياتك وأنت تعيش داخل حفرة، فإن الطريق الوحيد الذي يمكنك الذهاب فيه هو نحو الأعلى.»

أعطى كل منهما الآخر إشارة الإبهام المرفوع، ثم توجها إلى الخارج.

لقد كان الجزء الأكثر حرارة من النهار. وكانت لا تزال مطرة ستانلي الفارغة، الفارغة، الفارغة مربوطة حول عنقه. عاد بتفكيره إلى شاحنة نقل الماء، وتمنى لو أنه كان، على الأقل، قد توقف وملأ مطرته قبل أن يهرب.

لم يكونا قد ابتعدا كثيراً قبل أن يتعرض زيرو لنوبة أخرى. قبض بشدة على معدته تاركاً نفسه يسقط على الأرض.

لم يكن بإمكان ستانلي فعل أي شيء سوى الانتظار حتى تنتهي. لقد أنقذ السبلوش حياة زيرو، ولكنه يدمره الآن من الداخل. وتساءل كم سيمر من الوقت قبل أن يشعر هو، أيضاً، بالآثار.

نظر إلى الإبهام الكبير. لم يبدُ أقرب أبداً مما كان عليه عندما بدآ المسير.

أخذ زيرو نفساً عميقاً وتمكن من الجلوس منتصباً.

سأله ستانلي، «هل يمكنك السير؟»

قال زيرو، «أعطني ثانية فقط.» وأخذ نفساً آخر، وبعد ذلك، وبالاستعانة بالجاروف، سحب نفسه إلى الوراء ووقف على قدميه. ورفع لستانلي إشارة الإبهام المرفوع وواصلا المسير.

في بعض الأحيان، كان ستانلي يحاول المشي لفترة طويلة بدون النظر إلى الإبهام الكبير. وكان يقوم بتكوين لقطات ذهنية لما كان يبدو عليه، ومن ثم ينتظر ربما لعشر دقائق قبل النظر إليه مرة أخرى، ليرى ما إذا كان يبدو أقرب.

ولكنه لم يبدُ كذلك أبداً. لقد كان مثل اللحاق بالقمر.

وأدرك أنهما في حال وصلا إليه في أي وقت، فإنه لا يزال يتعين عليهما تسلقه.

قال زيرو، «إنني أتساءل من كانت.»

«من؟»

قال زيرو، «ماري لو.»

ابتسم ستانلي، «أعتقد أنها كانت شخصاً حقيقياً على بحيرة حقيقية. من الصعب التخيل.»

قال زيرو، «أراهن أنها كانت جميلة. لا بد أن أحدهم قد أحبها حباً شديداً ليسمي قاربه باسمها.»

قال ستانلي، «نعم، أراهن أنها كانت تبدو رائعة بلباس السباحة وهي جالسة في القارب بينما يقوم صديقها بالتجديف.»

كان زيرو يستعين بالجاروف كما لو كان رجلاً ثالثة، إذا لم تكن رِجلان كافيتين لإبقائه واقفاً. وقال بعد فترة من الوقت، «لا بد لي من التوقف وأخذ قسط من الراحة.»

نظر ستانلي إلى الإبهام الكبير. ما زال لا يبدو أقرب. لقد كان يخشى من أنه إذا توقف زيرو، فربما أنه لن يتمكن من البدء مرة أخرى أبداً. وقال، «لقد وصلنا هناك، تقريباً.»

وتساءل أيهما أقرب: مخيم غرين ليك أم جبل الإبهام الكبير؟

«إنني مضطر فعلياً للجلوس.»

«حاول فقط أن تعرف ما إذا كان بإمكانك المشي قليلاً ـــ»

انهار زيرو. وبقي الجاروف واقفاً لجزء من الثانية بعد ذلك، بشكل متوازن تماماً على طرف النصل، ومن ثم وقع إلى جانبه.

ركع زيرو على ركبتيه، وانثنى واضعاً رأسه على الأرض. كان بإمكان ستانلي أن يسمع صوت تأوه منخفض جداً يصدر منه. نظر إلى الجاروف ولم يتمكن من منع نفسه من التفكير بأنه قد يحتاجه لحفر قبر. حفرة زيرو الأخيرة.

وفكر، ومن سيحفر قبراً لي؟

ولكن زيرو نهض، ملوحاً مرة أخرى بإشارة الإبهام المرفوع.

وقال بوهن، «أعطني بعض الكلمات.»

استغرق ستانلي بضع ثوان ليدرك ما الذي كان يعنيه، ثم ابتسم وقال، «أركض (R - u - n)»

قام زيرو بتهجئتها لنفسه، «أر-كض (Rr-un)، أركض، أركض.»

«جيد. مرح (F-u-n).»

«مممرح (Fffun).»

يبدو أن التهجئة قد ساعدت زيرو، لقد منحته شيئاً للتركيز عليه إضافة إلى ألمه وضعفه.

كما شتتت انتباه ستانلي. وفي المرة التالية التي نظر فيها إلى الأعلى إلى الإبهام الكبير، وكان يبدو أقرب فعلياً.

تركا تهجئة الكلمات عندما أصبح الكلام مؤلماً أكثر. لقد كانت حنجرة ستانلي جافة، وكان ضعيفاً ومنهكاً، ومع ذلك بقدر ما كان يشعر بألم، كان يعرف أن زيرو كان يشعر أسوأ بعشرة أضعاف. وطوال ما كان زيرو قادراً على الاستمرار بالسير، كان بإمكانه الاستمرار هو أيضاً.

وفكّر، وكان يأمل أن لا يكون قد تناول بكتيريا سيئة. لم يتمكن زيرو من فتح الغطاء. ربما أن الجراثيم السيئة لم تتمكن من

الدخول، أيضاً. ربما أن البكتيريا كانت فقط في المرطبانات التي كانت تفتَح بسهولة، تلك التي كان يحملها الآن في كيسه.

وأكثر ما أثار خوف ستانلي بشأن الموت، لم يكن موته الفعلي. لقد ظن أنه كان بإمكانه التعامل مع الألم. ولن يكون أسوأ بكثير مما كان يشعر به الآن. في الواقع، ربما سيكون في لحظة موته ضعيفاً جداً ليشعر بالألم. سيكون الموت راحة. إن أكثر ما كان يقلقه هو فكرة أن والديه لن يعرفا ما حدث له، ولن يعرفا ما إذا كان ميتاً أم حياً. لقد كره تخيل كيف سيكون الأمر بالنسبة لوالدته ووالده، يوماً بعد يوم، شهراً بعد شهر، بدون أن يعرفا شيئاً، ويعيشا على أمل زائف. وسيكون الأمر قد انتهى، بالنسبة له على الأقل. وبالنسبة لوالديه، الألم لن ينتهي أبداً.

وتساءل ما إذا كانت المديرة سوف ترسل فريق بحث للبحث عنه. لم يكن ذلك يبدو مرجحاً، فهي لم ترسل أحداً للبحث عن زيرو. ولكن لم يكن أحد يهتم بشأن زيرو. لقد قاموا ببساطة بتدمير ملفاته.

ولكن ستانلي لديه عائلة، ولا يمكنها أن تدعي أنه لم يكن هناك أبداً. وتساءل ما الذي سوف تخبرهم به، ومتى؟

سأل زيرو، «ماذا تعتقد أنه يوجد هناك في الأعلى؟»

نظر ستانلي إلى قمة الإبهام الكبير. وقال، «أوه، ربما مطعم إيطالي.»

تمكن زيرو من الضحك.

قال ستانلي، «أعتقد أنني سأطلب بيتزا بيبروني، وبيرة خلاصة الجذور.»

قال زيرو، «أريد بوظة صنديه، مع مكسرات وكريما مخفوقة وموز وفدج ساخن.»

كانت الشمس أمامهما مباشرة، تقريباً. وكان الإبهام يشير نحوها.

وصلا إلى نهاية البحيرة. وكانت هناك منحدرات صخرية بيضاء ترتفع أمامهما.

وخلافاً لما هو عليه الشاطئ الشرقي، حيث كان يقع مخيم غرين ليك، لم يكن الشاطئ الغربي ينحدر تدريجياً. لقد كان كما لو أنهما كانا يمشيان عبر القاع المسطح لمقلاة عملاقة، والآن كان يتعين عليهما، بطريقة ما، أن يتسلقا للخروج منه.

لم يعد بإمكانهما رؤية الإبهام الكبير، حيث حجبت المنحدرات الرؤية عنهما. كما حجبت المنحدرات الشمس، أيضاً.

تأوه زيرو وقبض على معدته بقوة، ولكنه بقي واقفاً. وهمس، «أنا على ما يرام.»

رأى ستانلي ثلماً، بعرض حوالى قدم وعمق ستة إنشات، يمتد من المنحدر. وكان على طرفي الثلم سلسلة من الحواف الناتئة. وقال، «لنحاول هناك.»

كان يبدو أن هناك مسافة تسلق تبلغ خمسين قدماً، نحو الأعلى بشكل مباشر.

بقي ستانلي متمكناً من حمل كيس المرطبانات بيده اليسرى بينما كان ينتقل ببطء من حافة إلى حافة عابراً الثلم جيئة وذهاباً. وكان في بعض الأحيان يضطر إلى الاستعانة بجانب الثلم للمساعدة، وذلك ليتمكن من الانتقال إلى الحافة التالية.

تمكّن زيرو بصعوبة من البقاء معه. وكان جسده النحيل يرتعش بشكل فظيع أثناء صعوده الجدار الحجري.

كانت بعض الحواف عريضة بما يكفي للجلوس عليها. وحواف أخرى كانت تبرز إلى الخارج أكثر من بضع إنشات- فقط بما يكفي لخطوة سريعة. توقف ستانلي بعد قطعه تقريباً ثلثي المسافة نحو الأعلى، على حافة عريضة نوعاً ما. وصعد زيرو إلى جانبه.

سأل ستانلي، «هل أنت بخير؟»

رفع زيرو إشارة الإبهام المرفوع. وفعل ستانلي الشيء ذاته.

نظر فوقه، ولم يكن متأكداً كيف سيصل إلى الحافة التالية، فقد كانت على بعد ثلاثة أو أربعة أقدام فوق رأسه، ولم يرَ أي مرتكز لوضع قدمه. وكان خائفاً من النظر إلى الأسفل.

قال زيرو، «إرفعني، ومن ثم سأسحبك إلى الأعلى بالجاروف.»

قال ستانلي، «لن تكون قادراً على سحبي إلى الأعلى.»

قال زيرو، «نعم، سأكون قادراً على ذلك.»

شبك ستانلي يديه معاً على شكل كوب، وداس زيرو على أصابعه المتشابكة. لقد كان قادراً على رفع زيرو عالياً بما يكفي ليمسك بلوح صخري بارز. وواصل ستانلي مساعدته من الأسفل بينما كان زيرو يشد نفسه ليصعد على الحافة.

وعندما كان زيرو يثبت نفسه هناك في الأعلى، ربط ستانلي الكيس بالجاروف من خلال فتح ثقب في الخيش، ورفعه إلى زيرو.

أمسك زيرو أولاً بالكيس، ومن ثم بالجاروف. ووضع الجاروف بحيث يكون نصف النصل مثبتاً بلوح صخري، والعصا الخشبية متدلية إلى الأسفل نحو ستانلي. وقال، «حسناً.»

كان ستانلي يشك في أن هذا سينجح، فقد كان رفعه لزيرو، الذي كان يبلغ نصف وزنه، شيئاً بالنسبة له، وشيئاً آخر تماماً بالنسبة لزيرو أن يحاول سحبه إلى الأعلى.

أمسك ستانلي بالجاروف وهو يتسلق الجدار الصخري، مستخدماً جانبي الثلم لمساعدته في الثبات. وكانت يداه تنتقلان واحدة فوق الأخرى صعوداً على عصا الجاروف.

وشعر بيد زيرو تطبق على معصمه.

ترك إحدى يديه تفلت العصا، وأمسك بأعلى الحافة.

استجمع قواه، ولفترة وجيزة بدا كما لو كان يتحدى الجاذبية عندما أخذ خطوة سريعة نحو الأعلى على الحائط، بمساعدة زيرو، وشد نفسه بقية المسافة فوق الحافة. التقط أنفاسه. وما كان من الممكن بأي حال أن يفعل ذلك قبل بضعة أشهر.

لاحظ بقعة دم كبيرة على معصمه. وقد استغرق الأمر منه برهة ليدرك أنه كان دم زيرو.

لقد أصيب زيرو بشقوق عميقة في كلتا يديه، فقد كان متمسكاً بالنصل الحديدي للجاروف ليبقيه في مكانه عندما كان ستانلي يصعد.

رفع زيرو يديه إلى فمه، وشفط دمه.

وكان أحد المرطبانات الزجاجية قد انكسر داخل الكيس. وقررا أن يحتفظا بالقطع الزجاجية. ربما يحتاجان إلى صنع سكينة أو شيء ما.

أخذا فترة راحة قصيرة، ثم واصلا الصعود. وكان تسلقاً سهلاً بقية المسافة.

عندما وصلا إلى أرض مسطحة، نظر ستانلي إلى الأعلى ليرى الشمس، كرة نارية على قمة الإبهام الكبير. لقد كان الرب يلف كرة سلة.

وسرعان ما كانا يسيران في الظل الرفيع الطويل للإبهام.

37

قال ستانلي، «لقد وصلنا تقريباً.» كان بإمكانه أن يرى قاعدة الجبل.

الآن، بما أنهما كانا فعلاً قد وصلا تقريباً، أخافه ذلك. لقد كان الإبهام الكبير هو أمله الوحيد. إن لم يكن هناك ماء، ولا مأوى، فلن يكون لديهما شيء، ولا حتى الأمل.

لم يكن هناك مكان محدد تنتهي فيه الأرض المسطحة ويبدأ فيه الجبل. كانت الأرض تصبح منحدرة أكثر وأكثر، وبعد ذلك، لم يكن هناك شك في أنهما كانا يتجهان نحو أعلى الجبل.

لم يعد ستانلي يرى الإبهام الكبير، فقد كان انحدار الجبل يعترض الطريق.

لقد أصبح الطريق شديد الانحدار إلى درجة لا تسمح بالمشي بشكل مستقيم. وبدلاً من ذلك، كانا يمشيان جيئة وذهاباً بشكل متعرج، ليزيد ارتفاعهما بزيادات طفيفة في كل مرة كانا يغيران الاتجاهات.

كانت هناك رقع عشبية تتناثر على سفح الجبل. وسارا من رقعة إلى أخرى باستخدام الأعشاب كمرتكزات أقدام. وكلما ارتفعا أكثر، كانت الأعشاب تصبح أكثر كثافة. وكان لكثير منها أشواك، وكان يتعين عليهما أن يكونا حذرين أثناء المشي خلالها.

كان ستانلي يود لو يتوقفا ويرتاحا، ولكنه كان يخشى أن لا يتمكنا أبداً من البدء من جديد. وطالما أن زيرو كان قادراً على الاستمرار، فإنه كان بإمكانه هو، أيضاً، الاستمرار. إضافة إلى ذلك، كان يعلم أنه لم يكن متبقياً لديهما الكثير من ضوء النهار.

عندما أصبحت السماء داكنة، بدأت الحشرات تظهر فوق الرُّقع العشبية، وحام حولهما سرب من البعوض، وقد جذبها عرقهما. ولم يكن لدى ستانلي ولا زيرو القوة على محاولة ضربها.

سأل ستانلي، «كيف حالك؟»

رفع زيرو إشارة الإبهام المرفوع، ثم قال، «لو هبطت بعوضة علي، فإنها ستطرحني أرضاً.»

أعطاه ستانلي بعض الكلمات. وهجأ كلمة، «B– u– g– s (حشرات).»

ركّز زيرو بشدة، ثم قال، «Boogs (بوغز).»

ضحك ستانلي.

ارتسمت أيضاً ابتسامة عريضة على وجه زيرو المريض والمرهق. وقال، «Bugs (حشرات).»

قال ستانلي، «جيد. تذكّر، أنها تكون 'u' قصيرة إذا لم يكن هناك حرف 'e' في النهاية. حسناً، إليك كلمة صعبة، ما رأيك في كلمة l-u -n-c-h؟»

«Luh— Luh-un–» وفجأة، أصدر زيرو صوت تألم مرتفع وهي ينثني على نفسه ويقبض على معدته. واهتز جسده النحيل بعنف، وتقيأ مفرغاً معدته من السبلوش.

وانحنى على ركبتيه، وأخذ عدة أنفاس عميقة. ثم وقف مستقيماً وواصل السير.

وبقي سرب البعوض في الخلف، مفضلاً محتويات معدة زيرو على العرق الذي كان يغطي وجهي الصبيين.

لم يعطه ستانلي المزيد من الكلمات، معتقداً أنه كان بحاجة إلى توفير طاقته. ولكن بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة، قال زيرو، «Lunch (غداء).»

وكلما تسلقا إلى منطقة أعلى، كانت الرُّقع العشبية تصبح أكثر كثافة، وكان يتعين عليهما أن يكونا حذرين أن لا تشتبك أقدامهما في النباتات المتسلقة الشائكة. وأدرك ستانلي فجأة شيئاً ما. لم تكن هناك أي أعشاب ضارة عند البحيرة.

وقال، «أعشاب ضارة وحشرات. لا بد أن يكون هناك ماء في مكان ما في المنطقة. لا بد أننا نقترب.»

ارتسمت على وجه زيرو ابتسامة عريضة تشبه ابتسامة المهرج. وأظهر بسرعة إشارة الإبهام المرفوع، ثم سقط.

لم ينهض، فانحنى ستانلي من فوقه، وحثّه قائلاً، «هيا يا زيرو، إننا نقترب. هيا يا هيكتور. أعشاب ضارة وحشرات. أعشاب ضارة وبوغز.»

قام ستانلي بهزّه، وقال، «لقد طلبت للتو الفدج صانديه الساخن الذي تريده. إنهم يعدّونه الآن.»

لم يقل زيرو شيئاً.

38

أمسك ستانلي بذراعي زيرو وسحبه بشكل عمودي، ثم انحنى إلى الأسفل وترك زيرو يسقط على كتفه الأيمن، ووقف رافعاً جسد زيرو المنهك عن الأرض. ترك وراءه الجاروف وكيس المرطبانات بينهما واصل الصعود على الجبل. كانت ساقا زيرو تتدليان أمامه.

لم يكن بإمكان ستانلي رؤية قدميه، ما جعل من الصعب المشي خلال الرقع العشبية والنباتات المتسلقة المتشابكة. كان يركِّز على خطوة واحدة في كل مرة، وكان يرفع ويخفض كل قدم بحذر. لقد كان يفكر فقط في كل خطوة، وليس في المهمة المستحيلة التي كانت تنتظره.

تسلق أعلى وأعلى، وكانت قوته تأتي من مكان ما عميقاً في داخله، كما كان يبدو أنها كانت تأتي من الخارج، أيضاً. بعد التركيز على الإبهام الكبير لفترة طويلة، كان يبدو كما لو أن الصخرة كانت قد امتصت طاقته، والآن كانت بمثابة مغناطيس عملاق يجذبه نحوه.

بعد فترة من الزمن، كان بإمكانه شمّ رائحة كريهة. في البداية اعتقد أنها كانت تنبعث من زيرو، ولكن اتضح أنها كانت في الهواء، وتنتشر بكثافة في كل مكان حوله.

لاحظ كذلك أن الأرض لم تعد حادة الانحدار. وعندما أصبحت الأرض مستوية، كان يرتفع فوق رأسه جرف منحدر بالكاد تمكن رؤيته في ضوء القمر، وكان يبدو أنه يصبح أكبر مع كل خطوة كان يخطوها.

ولم يعد يشبه الإبهام.

وعرف أنه لن يكون أبداً قادراً على تسلقه.

أصبحت الرائحة أقوى من حوله. لقد كانت رائحة اليأس المريرة.

وحتى لو تمكن بطريقة ما من تسلق جبل الإبهام الكبير، فإنه كان يعلم أنه لن يجد ماء. كيف يمكن أن يكون هناك ماء على قمة صخرة عملاقة؟ إن الأعشاب الضارة والحشرات لا تبقى على قيد الحياة إلا بسبب عاصفة مطرية عرَضية، كتلك التي رآها من المخيم.

ومع ذلك، استمر في التوجّه نحوها. لقد كان يريد، على الأقل، الوصول إلى الإبهام.

لم ينجح في ذلك أبداً.

انزلقت قدماه من تحته، وارتطم رأس زيرو بظهر كتفه عندما وقع وتدحرج داخل مجرى مائي موحل صغير.

وأثناء انبطاحه على وجهه في الحفرة الموحلة، لم يكن يعرف ما إذا كان سينهض مرة أخرى. ولم يكن يعرف ما إذا كان يتعين عليه حتى أن يحاول. هل قطع كل هذا الطريق فقط لكي ... إنك بحاجة إلى ماء لتصنع وحلاً!

زحف على طول المجرى باتجاه بدا الأكثر وحلاً. وأصبحت الأرض أكثر لزوجة. وكان الوحل يتناثر عندما كان يضرب الأرض.

وبالاستعانة بكلتا يديه، حفر حفرة في التربة الرطبة. لقد كان الظلام شديداً جداً بحيث كان من الصعب الرؤية، ولكنه اعتقد أنه كان بإمكانه الإحساس ببركة صغيرة من الماء في قاع الحفرة. أدخل رأسه في الحفرة ولعق التراب.

حفر أعمق، وأثناء قيامه بذلك، بدا أن المزيد من الماء كان يملأ الحفرة. لم يتمكن من رؤيته، ولكن كان بإمكانه تحسسه – أولاً بأصابعه، ومن ثم بلسانه.

حفر إلى أن أصبحت لديه حفرة عميقة بقدر طول ذراعه. كان هناك ما يكفي من الماء ليغرفه بيديه ويسقط قطرات منه على وجه زيرو.

بقيت عينا زيرو مغلقتين. ولكن لسانه كان بارزاً من بين شفتيه، يبحث عن القطرات.

قام ستانلي بجرّ زيرو ليصبح أقرب إلى الحفرة، وحفر ثم غرف المزيد من الماء وتركه يقطر من يده في فم زيرو.

وباستمراره بتوسيع حفرته، أتت يداه على شيء مستدير وأملس. لقد كان أملساً جداً ومستديراً جداً لأن يكون صخرة.

مسح التراب عنه، وأدرك أنه كان بصلة.

أخذ قضمة منها بدون تقشيرها، واندفع العصير اللاذع الحار إلى داخل فمه. كان بإمكانه الشعور به كل المسافة صعوداً إلى عينيه.

وعندما ابتلعه، شعر بدفئه ينتقل إلى الأسفل نحو حنجرته وإلى معدته.

أكل النصف فقط، وأعطى النصف الآخر لزيرو.

«خذ، كل هذه.»

همس زيرو، «ما هذه؟»

«قدح صنديه حار.»

39

استيقظ ستانلي في مرج، ونظر نحو الأعلى إلى البرج الصخري العملاق. لقد كان مكوناً من طبقات ومخططاً بظلال مختلفة من الأحمر والبرتقالي المحروق والبني والبني المصفَر. ولا بد أن طوله كان يصل إلى أكثر من مائة قدم.

بقي ستانلي مستلقياً لفترة وهو ينظر إليه فقط. ولم يكن لديه القوة لينهض. كان يشعر كما لو أن داخل فمه وحنجرته مغلفاً بالرمال.

ولا عجب في ذلك، فعندما تدحرج رأى حفرة الماء، وقد كانت بعمق قدمين ونصف القدم، وبعرض يزيد عن ثلاثة أقدام. وفي القاع كان يوجد ما لا يزيد عن إنشين من الماء ذي اللون البني جداً.

كانت يداه وأصابعه متقرحة من الحفر، لا سيما تحت أظافره، فقد كان يجرف بعض الماء المتسخ إلى داخل فمه، وكان بعد ذلك يهزها محاولاً تصفيتها بأسنانه.

تأوه زيرو.

بدأ ستانلي يقول شيئاً له، ولكن لم تخرج كلمة من فمه، وكان يتعين عليه أن يحاول مرة ثانية. «كيف حالك؟» لقد كان الكلام يسبب ألماً.

قال زيرو بهدوء، «ليس جيداً.» وبجهد شديد، تدحرج ورفع نفسه على ركبتيه، وزحف إلى حفرة الماء. خفض رأسه داخلها، ولعق بعض الماء. ثم رجع وهو يرتعش، وأمسك بركبتيه إلى صدره، وتدحرج على جنبه. كان جسده ينتفض بعنف.

فكر ستانلي بالعودة إلى أسفل الجبل للبحث عن الجاروف بحيث يمكنه جعل حفرة الماء أعمق. وكان بإمكانهما استخدام المرطبانات كأكواب للشرب.

ولكنه لم يكن يعتقد أنه كان لديه القوة لنزول الجبل، ناهيك عن تدبّر أمر الصعود مرة أخرى، ولم يكن يعرف أين يبحث.

حاول جاهداً الوقوف على قدميه. لقد كان في حقل من الأزهار البيضاء المخضرّة، وكان يبدو أنه يمتد طوال المسافة حول الإبهام الكبير.

أخذ نفساً عميقاً، ثم مشى الياردات الخمسين الأخيرة إلى الجرف العملاق ولمسه.

لمستك، ها أنت.

ثم عاد إلى زيرو وحفرة الماء. وفي طريقه، قطف واحدة من الأزهار. واكتشف أنها، في الواقع، لم تكن زهرة كبيرة، وإنما كانت كل زهرة، في الحقيقة، هي عبارة عن مجموعة من زهرات صغيرة جداً تشكّل كرة مستديرة. رفعها إلى فمه، ولكنه اضطر إلى بصقها.

كان بإمكانه أن يرى جزءاً من الأثر الذي صنعه في الليلة الماضية، عندما حمل زيرو وصعد به الجبل. وأدرك أنه إذا كان عليه

أن يتجه عائداً إلى الأسفل ويبحث عن الجاروف، فينبغي عليه أن يفعل ذلك سريعاً، طالما كان الأثر لا يزال حديثاً. ولكنه لم يكن يريد أن يترك زيرو، فقد كان يخشى من أن يموت زيرو أثناء غيابه.

كان زيرو لا يزال مستلقياً وهو منثنٍ على نفسه على جانبه، وقال بتأوه، «يجب على أن أخبرك شيئاً.»

قال ستانلي، «لا تتحدث، وفر قوتك.»

أصرّ زيرو، «لا، اسمعني.» ثم أغمض عينيه وملامح وجهه تتلوى من الألم.

همس ستانلي، «إنني أسمعك.»

قال زيرو، «لقد أخذت حذاءك.»

لم يعرف ستانلي ما الذي كان يتحدث عنه. لقد كان حذاؤه في قدميه. «لا بأس في ذلك، استرح الآن فقط.»

قال زيرو، «إنه كله خطأي.»

قال ستانلي، «إنه ليس خطأ أحد.»

قال زيرو، «لم أكن أعرف.»

قال ستانلي، «لا بأس. استرح فقط.»

أغلق زيرو عينيه، ولكنه بعد ذلك قال مرة أخرى، «لم أكن أعرف عن الحذاء.»

«أي حذاء؟»

«من الملجأ.»

استغرق ستانلي لحظة ليستوعب. «حذاء كلايد ليفنغستون؟»

قال زيرو، «أنا آسف.»

حدّق ستانلي في وجهه. لقد كان ذلك مستحيلاً. زيرو كان يهذي.

يبدو أن «اعتراف» زيرو قد جلب له بعض الراحة، فقد استرخت العضلات في وجهه. وعندما غط في النوم، أخذ ستانلي يغني له بهدوء الأغنية التي كانت في عائلته لأجيال.

«يا ليت، يا ليت،» تنهد نقار الخشب
«العواء على الشجرة كان أهدأ قليلا.»
عندما يتنظر الذئب في الأسفل، جائعاً ووحيداً،
يعوى نحو القمر مووون (moo-oo-oon)
«يا ليت، يا ليت.»

40

عندما وجد ستانلي البصلة في الليلة السابقة، لم يتساءل كيف حدث وأن وصلت إلى هناك. لقد أكلها بامتنان. ولكن الآن، عندما جلس يحدّق في الإبهام الكبير والمرج المليء بالأزهار، لم يتمكن من منع نفسه من التساؤل بشأنها.

إذا كانت توجد بصلة برية واحدة، فإن من الممكن أن يكون هناك المزيد.

شبّك أصابعه وحاول إزالة الألم. ثم انحنى وانتزع زهرة أخرى، وهذه المرة سحب النبتة بكاملها، بما في ذلك الجذر.

كان سام ينادي، «بصل! بصل حلو وساخن وطازج،» بينما كانت ماري لو تجر العربة في الشارع الرئيس. «ثمانية سنتات للدزينة.»

لقد كان صباح أحد أيام الربيع الجميلة، وكانت السماء متلونة باللونين الأزرق الشاحب والوردي - مثل لوني البحيرة وأشجار الدراق المصطفة على طول شاطئها.

كانت السيدة غلاديس تينيسون قد ارتدت للتو ملابس نومها والرداء عندما أتت تركض في الشارع وراء سام. وكانت السيدة

تينيسون عادة امرأة متحفظة جداً لا تخرج أبداً أمام الناس بدون أن تكون قد ارتدت ملابس جميلة وقبعة. لذا، فقد كان من المستغرب جداً بالنسبة للناس في غرين ليك أن يروها تركض مارّة بهم.

صاحت، «سام!»

قال سام، «هوه ماري لو،» ليوقف بغلته والعربة. وقال، «صباح الخير سيدة تينيسون، كيف حال بيكا الصغيرة؟»

كانت غلاديس تينيسون امرأة بشوشة. «أعتقد أنها ستكون على ما يرام. لقد بدأت حرارتها بالانخفاض قبل ساعة. شكراً لك.»

«أنا متأكد أن من يستحق الفضل الأكبر هو الرب اللطيف ودوك هوثورن.»

«الرب اللطيف، نعم،» وافقت السيدة تينيسون، «ولكن ليس الدكتور هوثورن. ذلك الدجال أراد أن يضع دود العلَق على بطنها! دود العلَق! يا إلهي! لقد قال إنها سوف تمتص الدم الفاسد. والآن قل لي أنت، كيف يمكن لدودة العلَق أن تعرف الدم الفاسد من الدم الجيد؟»

قال سام، «أنا لن أعرف.»

قالت السيدة تينيسون، «لقد كان شراب البصل المنشط الذي تصنعه أنت. ذلك هو ما أنقذها.»

شق سكان آخرون من البلدة طريقهم إلى العربة. قالت هاتي باركر، «صباح الخير يا غلاديس. إنك تبدين فاتنة هذا الصباح.»

ضحك عدة أشخاص ضحكة مكبوتة.

ردت السيدة تينيسون، «صباح الخير يا هاتي.»

سألت هاتي، «هل يعلم زوجك أنك تتبخترين بملابس نومك؟»

كان هناك المزيد من الضحكات المكبوتة.

قالت السيدة تينيسون، «زوجي يعلم تماماً أين أنا وماذا أرتدي، شكراً لك. لقد بقي كلانا مستيقظاً طوال الليل ونصف الصباح مع ربيكا. كانت على وشك أن تموت من غثيان في معدتها. ويبدو أنها قد تناولت بعض اللحم الفاسد.»

احمّر وجه هاتي خجلاً. لقد كان زوجها، جيم باركر، هو الجزار.

وقالت السيدة تينيسون، «لقد أصابني وزوجي كذلك بالغثيان، ولكن ذلك كاد أن يقتل ربيكا، لكونها صغيرة في السن. لقد أنقذ سام حياتها.»

قال سام، «لم يكن أنا، لقد كان البصل.»

قالت هاتي بندم، «إنني سعيدة لأن بيكا على ما يرام.»

قال السيد بايك، الذي يمتلك المتجر العام، «إنني أخبر جيم دائماً بأن عليه أن يغسل سكاكينه.»

استأذنت السيدة هاتي، ثم استدارت وابتعدت بسرعة.

قال السيد بايك، «قولي لبيكا، عندما تشعر بأنها أصبحت بصحة جيدة، أن تأتي إلى المتجر لتحصل على قطعة من الحلوى.»

«شكراً لك، سأفعل ذلك.»

وقبل العودة إلى المنزل، اشترت السيدة تينيسون دزينة من البصل من سام. وأعطته عشرة سنتات وطلبت منه أن يحتفظ بالباقي.

قال لها سام، «أنا لا آخذ صدقات، ولكن إذا أردت أن تشتري كمية قليلة أخرى من البصل لماري لو، فإنني متأكد من أنها سوف تقدّر ذلك.»

قالت السيدة تينيسون، «حسناً إذن، أعطني بالباقي بصلاً.»

أعطى سام السيدة تينيسون ثلاث بصلات أخرى، وأطعمتها لماري لو، بصلة واحدة في كل مرة. وضحكت أثناء قيام الحمارة العجوز بأكلها من يدها.

...

وعلى مدى اليومين التاليين، نام ستانلي وزيرو على فترات متقطعة، ليتخلصا من الشعور بالألم والإرهاق. وأكلا من البصل، قَدْر ما أرادا، ورشقا الماء المتسخ داخل فاهيهما. وفي وقت متأخر من بعد الظهر، وفر لهما الإبهام الكبير ظلاً. حاول ستانلي أن يجعل الحفرة أكبر، إلا أنه كان في الواقع بحاجة إلى الجاروف. وبدا أن جهوده كانت تؤدي فقط إلى تحريك الوحل وجعل المياه أكثر اتساخاً.

كان زيرو نائماً. وكان لا يزال مريضاً وضعيفاً، ولكن يبدو أن النوم والبصل كانا يفيدانه إلى حد ما. لم يعد ستانلي خائفاً من أنه قد

يموت قريباً. ومع ذلك، لم يكن يرغب في الذهاب للبحث عن الجاروف في الوقت الذي كان فيه زيرو نائماً. لم يكن يرغب في أن يستيقظ ويعتقد أنه تم التخلي عنه.

انتظر إلى أن فتح زيرو عينيه.

قال ستانلي، «أعتقد أنني سأذهب وأبحث عن الجاروف.»

قال زيرو بضعف، «سأنتظر هنا،» كما لو كان لديه أي خيار آخر.

توجّه ستانلي نحو أسفل الجبل. لقد نفعه كذلك النوم والبصل كثيراً، وكان يشعر بقوة.

لقد كان من السهل نوعاً ما اتباع الأثر الذي خلّفه قبل يومين. وكانت هناك بضعة أماكن لم يكن متأكداً فيها من أنه كان يتبع الطريق الصحيح، ولكن الأمر احتاج إلى القليل من البحث قبل أن يعثر على الأثر مرة أخرى.

ونزل مسافة لا بأس بها من الجبل، ولكنه مع ذلك لم يجد الجاروف. نظر إلى الخلف نحو الأعلى باتجاه قمة الجبل، وفكر، لا بد أنه قد مرّ بجانبه تماماً، فقد كان من المحال أنه قد تمكن من حمل زيرو كل تلك المسافة إلى الأعلى من هنا.

ومع ذلك، توجّه نحو الأسفل، من قبيل الاحتياط، ووصل إلى بقعة جرداء تقع بين رقعتين من الأعشاب الضارة، وجلس ليستريح. والآن، جزم أنه بالتأكيد قد ابتعد كثيراً. لقد كان متعباً من نزول التلة. لا بد أنه كان من المستحيل أن يكون قد حمل زيرو وصعد به التلة من هنا، لا سيما بعد السير طوال اليوم بدون طعام أو ماء. ولا بد أن الجاروف قد اندفن داخل بعض الأعشاب.

وقبل البدء بالعودة والصعود، ألقى نظرة أخيرة حوله في كافة الاتجاهات. ورأى بروزاً كبيراً في الأعشاب أبعد قليلاً نحو أسفل الجبل. لم يكن من المرجح أن يكون من الممكن وجود الجاروف هناك، ولكنه كان قد وصل فعلياً إلى هذه المسافة.

هناك، ملقاً داخل بعض الأعشاب الطويلة، وجد الجاروف وكيس المرطبانات. لقد كان مندهشاً، وتساءل ما إذا كان الجاروف وكيس المرطبانات قد تدحرجا من فوق التلة. ولكن لم يكن أي من المرطبانات مكسوراً، سوى المرطبان الذي انكسر من قبل. ولو كانا قد تدحرجا من فوق التلة، فمن غير المعقول أن يجد الكيس والجاروف بجانب بعضهما البعض.

وفي طريق عودته إلى أعلى الجبل، اضطر ستانلي للجلوس والاستراحة عدة مرات. لقد كان صعوداً طويلاً وشاقاً.

41

استمرت حالة زيرو بالتحسن.

كان ستانلي يقشّر بصلة ببطء، فقد كان يحب أن يأكل طبقة واحدة في كل مرة.

أصبحت حفرة الماء الآن كبيرة بحجم الحفر التي حفرها هناك في مخيم غرين ليك. وكانت تحتوي على ما يقرب من قدمين من الماء العكر. لقد حفرها ستانلي كلها بنفسه. وكان زيرو قد عرض تقديم مساعدة، ولكن ستانلي اعتقد أنه كان من الأفضل لزيرو أن يوفر قوته، فقد كان الحفر في الماء أصعب بكثير من الحفر في بحيرة جافة.

كان ستانلي مستغرباً أنه هو نفسه لم يمرض - سواء من السبلوش، أو من الماء المتسخ، أو من العيش على أكل البصل. لقد كان يمرض كثيراً جداً هناك في المنزل.

كان كِلا الصبيين عاري القدمين، حيث كانا قد غسلا جواربهما. لقد كانت كل ملابسهما قذرة جداً، ولكن كانت جواربهما بالتأكيد هي الأسوأ.

ولم يقوما بتغطيس جواربهما في الحفرة خشية تلويث الماء. وبدلاً من ذلك كانا يملآن المرطبانات ويصبان الماء فوق جواربهما القذرة.

قال زيرو، «لم أكن أذهب، في كثير من الأحيان، إلى مأوى المشردين. فقط إذا كان الطقس سيئاً جداً. وكان يتعين علي أن أجد سيدة ما لتتظاهر بأنها والدتي. لأنني إذا ذهبت لوحدي، سوف ينهالون علي بمجموعة من الأسئلة، وإذا اكتشفوا أنه ليس لدي أم، فإنهم كانوا سيضعونني تحت وصاية الحكومة.»

«وماذا يعني تحت وصاية الحكومة؟»

ابتسم زيرو، «لا أعرف، ولكنني لم أحب وقعها على الأذن.»

تذكر ستانلي السيد بندانسكي وهو يقول للمديرة إن زيرو كان تحت وصاية الحكومة. وتساءل ما إذا كان زيرو يعرف أنه قد أصبح تحت وصاية الحكومة.

قال زيرو، «كنت أحب النوم في الخارج، واعتدت على التظاهر بأنني كنت شبل كشافة. كنت أرغب دائماً أن أكون شبل كشافة، فقد كنت أراهم في الحديقة العامة بزيهم الأزرق.»

قال ستانلي، «أنا لم أكن أبداً شبل كشافة. ولم أكن جيداً في الأمور الاجتماعية التي من ذلك القبيل. كان الأولاد يسخرون مني لأنني كنت سميناً.»

قال زيرو، «كنت أحب الزي الأزرق. ربما أنني لم أحب أن أكون شبل كشافة.»

هز ستانلي أحد كتفيه.

قال زيرو، «لقد كانت والدتي فتاة كشافة ذات مرة.»

«اعتقدتُ أنك قلتَ إنه لم يكن لديك أم.»

«كل شخص لا بد أن يكون له أم.»

«حسناً، نعم، أعرف ذلك.»

قال زيرو، «قالت إنها فازت ذات مرة بجائزة لأنها باعت كعكاً أكثر من أي فتاة من فتيات الكشافة. لقد كانت فخورة بذلك.»

قشّر ستانلي طبقة أخرى من بصلته.

قال زيرو، «كنا دائماً نأخذ ما كنا نحتاجه. عندما كنت صغيراً، لم أكن أعرف حتى أنها كانت سرقة. لا أتذكر متى عرفت ذلك. ولكن كنا نأخذ فقط ما كنا نحتاجه ولا أكثر من ذلك أبداً. لذا عندما رأيت الحذاء معروضاً في المأوى، تمكنت من الوصول إلى الصندوق الزجاجي، وأخذته.»

سأل ستانلي، «حذاء كلايد ليفنغستون؟»

«لم أكن أعرف أنه كان له. لقد اعتقدت أنه كان حذاء قديماً لشخص ما. وفكرت أن أخذ حذاء قديم لشخص ما كان أفضل من سرقة زوج أحذية جديد. لم أكن أعرف أنه كان مشهوراً. كانت هناك علامة، ولكن بالطبع لم أتمكن من قراءتها. بعد ذلك، الشيء التالي الذي أعرفه هو أن الجميع كانوا يثيرون ضجة كبيرة بشأن كيف يتم فقد الحذاء. لقد كان أمراً مضحكاً، بطريقة ما. جن جنون الجميع في المكان. وكنت أنا هناك، مرتدياً الحذاء، والجميع يركضون ويقولون، 'ما الذي حدث للحذاء؟' 'لقد اختفى الحذاء!' خرجتُ من الباب، ولم يلاحظني أحد. وعندما أصبحت في الخارج، ركضت

خلف المنعطف، وقمت على الفور بخلع الحذاء، ووضعته على سقف سيارة واقفة. وأتذكر أن رائحته كانت كريهة جداً.»

قال ستانلي، «نعم، ذلك كان هو. هل كان يناسب مقاس قدمك؟»

«إلى حد كبير.»

تذكر ستانلي أنه كان مندهشاً من المقاس الصغير لحذاء كلايد ليفنغستون. لقد كان حذاء ستانلي أكبر. وكان لدى كلايد ليفنغستون قدمان سريعتان صغيرتان. وكانت قدما ستانلي كبيرتين وبطيئتين.

قال زيرو، «كان علي أن أحتفظ به. فقد كنت قد نجحت في الخروج من المأوى وكل شيء. وانتهى بي الأمر بالقبض علي في اليوم التالي عندما كنت أحاول الخروج من متجر أحذية بحذاء رياضي جديد. ولو أنني كنت قد احتفظت بذلك الحذاء الرياضي الكريه الرائحة والقديم، لما كان، عندئذ، أي منا هنا الآن.»

42

أصبح زيرو قوياً بما يكفي ليساعد في حفر الحفرة. وعندما انتهى، كان عمقها قد وصل إلى ما يزيد عن ستة أقدام. قام بملء القاع بحجارة للمساعدة على فصل الماء عن التراب.

كان لا يزال حافر الحُفر الأفضل في المكان.

وأكّد، «تلك هي آخر حفرة سوف أحفرها في حياتي،» وهو يلقي بالجاروف على الأرض.

ابتسم ستانلي. كان يتمنى أن يكون هذا صحيحاً، ولكنه كان يعلم أنه لم يكن أمامهما خيار سوى العودة، في نهاية المطاف، إلى مخيم غرين ليك، إذ لا يمكنهما العيش على أكل البصل للأبد.

لقد كانا بالضبط حول الإبهام الكبير. لقد كان مثل مزولة (ساعة شمسية) عملاقة. اتبعا الظل.

لقد كانا قادرين على الرؤية في جميع الاتجاهات. ولم يكن هناك مكان للذهاب إليه، فقد كان الجبل محاطاً بصحراء.

حدّق زيرو في الإبهام الكبير، وقال، «لا بد أنه توجد حفرة بداخله، مليئة بالماء.»

«أتعتقد ذلك؟»

سأل زيرو، «من أي مكان آخر يمكن أن تأتي المياه؟ الماء لا يجري إلى الأعلى.»

قضم ستانلي بصلة، ولم تحرق عينيه أو أنفه، وفي الواقع أنه لم يعد يلاحظ وجود طعم قوي بشكل واضح.

لقد تذكر عندما حمل زيرو لأول مرة وصعد به التلة، كيف كان في الهواء رائحة لاذعة. لقد كانت رائحة آلاف رؤوس البصل، تنمو وتتعفن وتتبرعم.

والآن لم يكن يشمّ أي شيء.

وسأل، «كم بصلة تعتقد أننا أكلنا؟»

هز زيرو كتفيه. «لا أعرف حتى كم من الوقت ونحن هنا.»

قال ستانلي، «يمكنني أن أقول حوالى أسبوع، وربما أن كلاً منا يأكل حوالى عشرين بصلة في اليوم، وهكذا يكون ذلك . . .»

قال زيرو، «مائتنان وثمانون بصلة.»

ابتسم ستانلي، «أراهن أن رائحة كريهة تفوح منّا حقاً.»

بعد مرور ليلتين، استلقى ستانلي مستيقظاً يحدّق إلى الأعلى نحو السماء المليئة بالنجوم، لقد كان سعيداً جداً لدرجة أنه لم ينم.

كان يعلم أنه لم يكن لديه سبب ليكون سعيداً. لقد سمع أو قرأ في مكان ما أنه قبل أن يتجمد المرء حتى الموت، يشعر فجأة بسعادة ودفء. وتساءل عما إذا كان، ربما، يمرّ بشيء من ذلك القبيل.

وخطر له أنه لم يكن بإمكانه تذكُّر آخر مرة شعر فيها بالسعادة. ولم يكن إرساله إلى مخيم غرين ليك هو فقط ما جعل حياته بائسة، فقبل ذلك كان غير سعيد في المدرسة، حيث لم يكن لديه أصدقاء، وكان هناك متنمرون، مثل ديريك ديون، يزعجونه. لم يكن أحد يحبه، وكانت الحقيقة هي أنه لم يكن يحب نفسه بشكل خاص.

وهو يحب نفسه الآن.

وتساءل ما إذا كان يهذي.

تفحّص زيرو الذي كان ينام بالقرب منه. كان وجه زيرو باهتاً في ضوء النجوم، وكانت توجد بتلة زهرة بالقرب من أنفه تتحرك جيئة وذهاباً أثناء تنفسه. وذلك ذكّر ستانلي بشيء من أفلام الرسوم المتحركة. زيرو يأخذ شهيقاً، كانت البتلة تنسحب إلى الأعلى إلى أن تكون على وشك لمس أنفه، زيرو يطلق زفيراً، وتتحرك البتلة نحو ذقنه. وبقيت على وجه زيرو لفترة طويلة بشكل مثير للدهشة قبل أن ترفرف بعيداً إلى الجانب.

فكّر ستانلي بإعادة وضعها من جديد أمام أنف زيرو، ولكن لن يكون الأمر ذاته.

كان يبدو كما لو أن زيرو كان قد عاش في مخيم غرين ليك للأبد، ولكن عندما فكر ستانلي بالأمر، أدرك أنه لا بد أن زيرو قد أحضِر إلى هناك قبله بفترة لا تزيد عن شهر أو شهرين. وكان قد تم اعتقال زيرو، في الواقع، بعد يوم واحد. ولكن كان يتم تأجيل محاكمة ستانلي بسبب البيسبول.

وتذكر ما قاله زيرو قبل بضعة أيام. لو أن زيرو كان قد احتفظ بذلك الحذاء، لما كان، عندئذ، أي منا هنا الآن.

عندما كان ستانلي يحدق بسماء المساء المتلألئة، فكّر بأنه ليس هناك مكان آخر كان يفضِّل أن يكون فيه. لقد كان سعيداً لأن زيرو وضع الحذاء فوق سيارة واقفة. وكان سعيداً أنه سقط من الممر العلوي، وارتطم برأسه.

عندما سقط الحذاء أول مرة من السماء، تذكّر أنه اعتقد أن القدَر قد ضربه على رأسه. والآن عاد يفكر هكذا مرة أخرى. لقد كانت أكثر من مصادفة. لا بد أن يكون القدَر.

وفكر في نفسه، ربما لن يضطرا للعودة إلى مخيم غرين ليك. ربما كان بإمكانهما أن ينجحا في تجاوز المخيم، ومن ثم اتباع الطريق الترابي للعودة إلى الحضارة. لقد كان بإمكانهما أن يملآ الكيس بالبصل، والمرطبانات الثلاثة بالماء. ولديه مطرته، أيضاً.

كان بإمكانهما أن يعيدا ملء مرطباناتهما والمطرة من المخيم. وربما يتسللا إلى المطبخ ويحصلا على بعض الطعام.

وكان يشك في أن أياً من المرشدين كان لا يزال يقوم بالحراسة. لا بد أن الجميع يعتقدون أنهما قد ماتا. أصبحا طعاماً للصقور الجارحة.

وكان ذلك سيعني أن يعيش بقية حياته كهارب. وستبقى الشرطة تطارده. على الأقل، يمكنه الاتصال بوالديه وإخبارهما بأنه كان لا يزال على قد الحياة. ولكن لن يكون بإمكانه الذهاب لزيارتهما، في حال كانت الشرطة تراقب الشقة. وعلى الرغم من

ذلك، لو أن الجميع اعتقدوا أنه كان ميتاً، فإنهم لن يزعجوا أنفسهم بمراقبة الشقة. سيتعين عليه أن يحصل على هوية جديدة بطريقة ما.

وفكر في نفسه، الآن، أنا أفكر بجنون حقا. وتساءل ما إذا كان الشخص المجنون يتساءل ما إذا كان مجنوناً.

ولكن في الوقت ذاته الذي كان يفكر بهذا، استمرت فكرة أكثر جنوناً حتى تظهر في ذهنه. وكان يعرف أنها كانت مجنونة إلى درجة يكون من الجنون حتى التفكير بها. ومع ذلك، لو كان سيصبح هارباً لبقية حياته، فإنها ستساعد في حصوله على بعض المال، ربما صندوق كنز مليء بالمال.

وقال لنفسه، أنت مجنون! إضافة إلى ذلك، فمجرد أنه فقط وجد علبة قلم أحمر شفاه مع وجود حرفي كيه بي عليها، فإن ذلك لم يكن يعني أنه كان يوجد كنز مدفون هناك.

لقد كان ذلك جنوناً. كان ذلك كله جزءاً من شعوره المجنون بالسعادة.

أو ربما كان القدَر.

مدّ جسده وهز ذراع زيرو، وهمس، «هيه زيرو.»

تمتم زيرو، «هه؟»

«زيرو، استيقظ.»

رفع زيرو رأسه، «ماذا؟ ماذا حدث؟»

سأله ستانلي، «هل تريد أن تحفر حفرة أخرى؟»

43

قال زيرو، «لم نكن دائماً مشردين، إنني أتذكر غرفة صفراء.»

بدأ ستانلي يسأل، «كم كان عمرك عندما ...» ولكنه لم يتمكن من إيجاد الكلمات المناسبة. «غادرتم المنزل؟»

«لا أعرف. لا بد أنني كنت صغيراً جداً، لأنني لا أتذكر الكثير. لا أتذكر أننا غادرنا المنزل. أتذكر أنني كنت واقفاً في السرير، وأمي تغني لي. كانت تمسك بمعصمي وتجعل يديَّ تصفقان. كانت معتادة على غناء تلك الأغنية لي. تلك التي غنيتها أنت ... لقد كانت مختلفة، على أي حال ...»

كان زيرو يتكلم ببطء، كما لو كان يبحث في دماغه عن ذكريات وأدلة. «ومن ثم، في وقت لاحق، أعرف أننا عشنا في الشارع، ولكنني لا أعرف لماذا غادرنا المنزل. وأنا متأكد تماماً أنه كان منزلاً، وليس شقة. وأعرف أن غرفتي كانت صفراء.»

كان الوقت متأخراً من بعد الظهر. كانا يستريحان في ظل الإبهام. لقد أمضيا الصباح وهما يقطفان البصل ويضعانه في الكيس. لم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، ولكنه كان طويلاً بما يكفي بحيث كان يتعين عليهما الانتظار يوماً آخر للتوجه نحو أسفل الجبل.

كانا يريدان المغادرة عند بزوغ الخيوط الأولى لضوء الصباح، وهكذا يكون لديهما الكثير من الوقت للوصول إلى مخيم غرين ليك قبل حلول الظلام. كان ستانلي يريد أن يكون متأكداً أنه كان بإمكانه أن يجد الحفرة الصحيحة. وبعد ذلك، سوف يختبئان بالقرب منها إلى أن يذهب الجميع إلى النوم.

وسيقومان بالحفر ما دام الوضع يبدو آمناً، ولا ثانية أكثر من ذلك. ومن ثم، بكنز أو بدون كنز، فإنهما سيتوجهان إلى الطريق الترابية. وإذا كان الوضع آمناً تماماً، سيحاولان سرقة بعض الطعام والماء من مطبخ المخيم.

كان زيرو قد قال، «إنني بارع في التسلل إلى الأماكن والخروج منها.»

وحذره ستانلي، «تذكّر، الباب المؤدي إلى غرفة الحطام يصدر صريراً.»

والآن، ها هو مستلقٍ على ظهره، ويحاول أن يوفر قوته للأيام الطويلة القادمة. وتساءل ما الذي حدث لوالدي زيرو، ولكنه لم يسأل. لم يكن زيرو يحب الإجابة عن أسئلة. وكان من الأفضل فقط تركه يتحدث عندما كان يشعر برغبة في ذلك.

فكّر ستانلي بوالديه. لقد كانت والدته، في رسالتها الأخيرة، قلقة من أنه كان من الممكن أن يتم طردهما من شقتهما بسبب رائحة حرق الأحذية الرياضية. لقد كان من الممكن أن يصبحا، بسهولة، مشردين، أيضاً.

ومرة أخرى، تساءل ما إذا كان قد تم إبلاغهما بأنه قد هرب من المخيم. هل تم إخبارهما بأنه قد مات؟

ظهرت في مخيلته صورة والديه يضمان بعضهما البعض ويبكيان. حاول أن لا يفكر بالأمر.

وبدلاً من ذلك، حاول أن يسترجع المشاعر التي انتابته في الليلة السابقة - شعور السعادة غير المفسّر، والإحساس بأن القادم أفضل. ولكن تلك المشاعر لم تعُد.

لقد كان يشعر بالخوف فقط.

في صباح اليوم التالي، توجّها نحو أسفل الجبل. غمسا قبعتيهما في حفرة الماء قبل وضعهما على رأسيهما. حمل زيرو الجاروف، وحمل ستانلي الكيس، الذي كان محشواً بالبصل وثلاث مرطبانات من الماء. وتركا قطع المرطبان المكسور على الجبل.

قال ستانلي، وهو يشير إلى رقعة من الأعشاب، «هذا هو المكان الذي وجدت فيه الجاروف.»

استدار زيرو، ونظر إلى الأعلى نحو قمة الجبل. «تلك مسافة طويلة.»

قال ستانلي، «لقد كنت خفيف الوزن، فقد كنت للتو قد أفرغت كل شيء كان داخل معدتك.»

نقل الكيس من أحد كتفيه إلى الكتف الآخر. لقد كان ثقيلاً. وداس على حجر غير ثابت، فانزلق، ثم وقع بعنف، وفجأة كان

ينزلق على الجانب المنحدر من الجبل، فأوقع الكيس، وتبعثر البصل من حوله.

لقد انزلق إلى داخل رقعة من الأعشاب وأمسك بنبات متسلق شوكي، وانتُزِع النبات من الأرض، ولكن أبطأ من سرعته بما يكفي بحيث كان قادراً على إيقاف نفسه.

سأل زيرو من الأعلى، «هل أنت بخير؟»

أصدر ستانلي صوت نخير وهو ينزع شوكة من كف يده. وقال، «نعم.» لقد كان بخير، وكان قلقاً أكثر على مرطبانات الماء.

نزل زيرو وراءه، مستعيداً محتويات الكيس على طول الطريق. وانتزع ستانلي بعض الأشواك من رجلي بنطاله.

لم تكن المرطبانات قد انكسرت، فقد حماها البصل، مثل ما تفعل مادة الستيريوفوم التي تستخدَم للتغليف. وقال زيرو، «إنني سعيد أنك لم تفعل ذلك عندما كنت تحملني.»

لقد فقدا حوالى ثلث البصل، ولكنهما استعادا الكثير منه أثناء مواصلتهما نزول الجبل. وعندما وصلا إلى الأسفل، كانت الشمس قد بزغت للتو فوق البحيرة. وسارا نحوها مباشرة.

وسرعان ما كانا يقفان على حافة الجرف، ينظران نحو الأسفل على حوض البحيرة الجاف. ولم يكن ستانلي متأكداً، ولكنه اعتقد أنه كان بإمكانه أن يرى بقايا ماري لو على مسافة بعيدة.

سأل ستانلي، «هل أنت عطشان؟»

قال زيرو، «لا، ماذا عنك؟»

كذب ستانلي، «لا.» لم يشأ أن يكون أول من يأخذ جرعة ماء. وعلى الرغم من أنهما لم يذكرا ذلك، إلا أن الأمر أصبح نوعاً من التحدي بينه وبين زيرو.

نزلا إلى المقلاة، وكانت بقعة مختلفة عن المكان الذي تسلقاه. وكانا ينزلان بهدوء من حافة إلى أخرى، ويدعان نفسيهما ينزلقان في أماكن أخرى، مع حرصهما، بشكل خاص، على الكيس.

لم يعد بإمكان ستانلي أن يرى ماري لو، ولكنه توجه نحو ما اعتقد أنه كان الاتجاه الصحيح. عندما ارتفعت الشمس، ارتفع كذلك الضباب المألوف المكون من الحرارة والتراب.

سأل زيرو، «هل أنت عطشان؟»

قال ستانلي، «لا.»

قال زيرو، «لأن لديك ثلاثة مرطبانات من الماء، أعتقد أنها ربما كانت ثقيلة جداً عليك. إذا شربت بعضاً منها، سوف تجعل حملك أخف.»

قال ستانلي، «أنا لست عطشاناً، ولكن إذا كنت تريد أن تشرب سأعطيك بعض الماء.»

قال زيرو، «أنا لست عطشاناً، لقد كنت قلقاً بشأنك فقط.»

ابتسم ستانلي، وقال، «أنا جمل.»

سارا لما بدا وكأنه فترة طويلة جداً، وما زالا لم يمرا بـ ماري لو. وكان ستانلي متأكداً تماماً من أنهما كانا يسيران في الاتجاه الصحيح.

وتذكر أنهما عندما غادرا القارب، كانا قد توجها نحو الشمس الغاربة. وكان يعرف أن الشمس لا تشرق وتغرب في الشرق والغرب تماماً، وإنما أكثر إلى الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، ولكنه لم يكن متأكداً كيف كان ذلك يحدث فرقاً.

شعر كما لو كانت حنجرته مغلفة بورق ترابي. وسأل، «هل أنت متأكد من أنك لست عطشاناً؟»

قال زيرو، «ليس أنا.» كان صوته جافاً وخشناً.

وأخيراً، عندما أخذا جرعة ماء، اتفقا على أن يقوما بذلك في الوقت ذاته. وقام زيرو، الذي كان الآن يحمل الكيس، بوضعه على الأرض، وأخرج مرطبانين ثم أعطى واحداً منهما لستانلي. وقررا أن يوفرا المطرة للنهاية، حيث أنها لا يمكن أن تنكسر عن غير قصد.

قال ستانلي، «أتعلم، أنا لست عطشاناً،» وهو يفتح الغطاء. «إنني أشرب فقط لكي تشرب أنت أيضاً.»

قال زيرو، «أنا أشرب فقط لكي تشرب أنت.»

خشخشا بالمرطبانين معاً، وكل منهما يراقب الآخر، وسكبا الماء داخل فاهيهما العنيدين.

كان زيرو هو الأول في تحديد مكان القارب ماري لو، ربما على بعد ربع ميل، وأبعد قليلاً فقط إلى اليسار. واتجها نحوه.

لم يكن قد حل وقت الظهيرة بعد عندما وصلا إلى القارب. فجلسا قبالة الجانب الظليل واستراحا.

قال زيرو، «لا أعرف ماذا حدث لأمي. لقد رحلت ولم تعد أبداً.»

قشّر ستانلي بصلة.

قال زيرو، «لم يكن بإمكانها أن تأخذني معها دائماً. كان يتعين عليها، في بعض الأحيان، أن تفعل أشياء بمفردها.»

كان لدى ستانلي شعور بأن زيرو كان يشرح الأمور لنفسه.

«كانت تخبرني أن أنتظرها في مكان معين. وعندما كنت صغيراً جداً، كان يتعين علي أن أنتظر في أماكن صغيرة، كأن أنتظر على درجة شرفة أو مدخل. وكانت تقول، 'والآن، لا تغادر هذا المكان حتى أعود.'»

«لم أكن أحب أبداً أن تذهب. وكان لدي دمية محشوة على شكل حيوان، زرافة صغيرة، وكنت أضمها طوال الوقت الذي كانت تذهب فيه. وعندما أصبحت أكبر سناً، كان يتم السماح لي بالبقاء في أماكن كبيرة. مثل، 'ابقَ في ذلك المجمع' أو 'لا تغادر الحديقة العامة.' ولكن حتى في ذلك الوقت، كنت لا أزال أحمل جافي.»

خمّن ستانلي أن جافي كان اسم زرافة زيرو.

وقال زيرو، «ومن ثم، في أحد الأيام لم تعد.» وبدا صوت زيرو، فجأة، منهكاً. «كنت أنتظرها في لاني بارك.»

قال ستانلي، «لاني بارك. لقد كنت أذهب هناك.»

سأل زيرو، «هل تعرف ساحة الألعاب؟»

«نعم كنت ألعب فيها.»

قل زيرو، «انتظرت هناك لأكثر من شهر. هل تعرف ذلك النفق الذي تزحف من خلاله، بين الزحليقة والجسر المتأرجح؟ ذلك كان هو المكان الذي كنت أنام فيه.»

أكل كل منهما أربع بصلات، وشرب حوالى نصف مرطبان من الماء. وقف ستانلي ونظر حوله. لقد بدا كل شيء هو ذاته في جميع الاتجاهات.

وقال، «عندما غادرت المخيم كنت أتجه مباشرة نحو الإبهام الكبير. وقد رأيت القارب ملقى إلى اليمين. لذا، فإن ذلك يعني يجب علينا أن ننحرف قليلاً إلى اليسار.»

كان زيرو مستغرقاً في التفكير، وقال، «ماذا؟ حسناً.»

واصلا تقدمهما. وكان دور ستانلي في حمل الكيس.

قال زيرو، «كان يُقام لبعض الأطفال حفلة لعيد ميلاد. أعتقد أن ذلك كان بعد رحيل أمي بأسبوعين. كانت هناك طاولة رحلات بالقرب من ساحة الألعاب، وكانت هناك بالونات مربوطة بها. وكان الأطفال يبدون في مثل سني. وقالت لي إحدى الفتيات، مرحباً، وسألتني ما إذا كنت أريد أن ألعب. كنت أريد ذلك، ولكنني لم أفعل. كنت أعلم أن الحفلة لا تخصني، بالرغم من أنها لم تكن ساحة ألعاب خاصة بهم. وكانت هناك تلك الأم التي بقيت تحدّق في وجهي كما لو كنت أحد أنواع الوحوش. وبعد ذلك، سألني أحد الأطفال ما إذا كنت أريد قطعة من الكعك، ولكن

عندئذ قالت لي تلك الأم ذاتها، ابتعد من هنا!' وأخبرت جميع الأطفال أن يبقوا بعيدين عني، لذا، فإنني لم أحصل أبداً على قطعة الكعك. ابتعدت وأنا أركض بسرعة كبيرة، ونسيت جافي.»

«هل وجدتها بعد ذلك؟»

للحظة لم يُجب زيرو. ثم قال، «لم تكن حقيقية.»

فكر ستانلي مرة اخرى بوالديه، كم سيكون فظيعاً بالنسبة لهما أن لا يعرفا أبداً ما إذا كان ميتاً أم حياً. وأدرك أنه لا بد أن ذلك هو ما شعر به زيرو، وهو لا يعرف ما الذي حدث لوالدته. وتساءل لماذا لم يذكر زيرو والده أبداً.

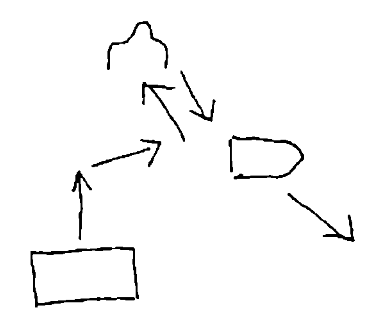
قال زيرو، «إنتظر،» وتوقف فجأة. «إننا نسير في الطريق الخطأ.»

قال ستانلي، «لا، هذا صحيح.»

قال زيرو، «لقد كنت تتجه نحو الإبهام الكبير عندما رأيت القارب ملقى إلى يمينك، وذلك يعني أنه كان يتعين علينا الالتفاف إلى اليمين عندما تجاوزنا القارب.»

«هل أنت متأكد؟»

رسم زيرو مخططاً على التراب.



كان ستانلي لم يزل غير متأكد.

قال زيرو، «يجب علينا أن نذهب في هذه الطريق.» حيث رسم أولاً خطاً على الخارطة، ثم توجه في ذلك الطريق بنفسه.

تبعه ستانلي. لم يكن يشعر أن ذلك كان صحيحاً، ولكن زيرو كان يبدو متأكداً.

وفي وقت ما من منتصف فترة ما بعد الظهر، اندفعت سحابة عبر السماء وحجبت الشمس. وكانت تلك إعانة مرحب بها. ومرة أخرى شعر ستانلي أن القدَر كان إلى جانبه.

توقف زيرو، ورفع ذراعه ليوقف ستانلي، أيضاً.

همس زيرو، «إصغِ.»

لم يسمع ستانلي أي شيء.

واصلا المسير بهدوء شديد، وبدأ ستانلي يميّز الأصوات الخافتة القادمة من مخيم غرين ليك. لقد كانا لا يزالان بعيدين جداً لرؤية المخيم، ولكن كان بإمكانه سماع مزيج من الأصوات غير

الواضحة. وعندما اقتربا أكثر، كان بإمكانه، بين الفينة والأخرى، سماع نباح السيد سير المميّز.

سارا ببطء وبهدوء، وهما يدركان أن الأصوات تنتقل في كِلا الاتجاهين.

اقتربا من مجموعة من الحفر. وقال زيرو، «لننتظر هنا إلى أن يذهبوا إلى الداخل.»

أومأ ستانلي برأسه. تفقد الحفرة بدقة للتأكد من أنه لم يكن هناك شيء يعيش بداخلها، ثم نزل فيها. ودخل زيرو في الحفرة التي بجانبها.

وعلى الرغم من أنهما قد ذهبا في الطريق الخطأ لفترة من الوقت، إلا أن الأمر لم يستغرق منهما وقتاً طويلاً بقدر ما توقع ستانلي. والآن كان يتعين عليهما الانتظار.

بزغت الشمس من خلال السحابة، وشعر ستانلي بأشعتها تلسعه. ولكن سرعان ما ملأت السماء المزيد من السحب، ملقية بظلال على ستانلي وحفرته.

انتظر إلى أن أصبح متأكداً أن آخر مخيِّم قد أنهى عمله لذلك اليوم.

ثم انتظر لفترة أطول قليلاً.

وبأقصى قدر من الهدوء، صعد هو وزيرو من حفرتيهما، وزحفا نحو المخيم. حمل ستانلي الكيس أمامه، وهو يحتضنه داخل

ذراعيه، بدلاً من وضعه فوق كتفه، وذلك لمنع المرطبانات من إصدار صوت قرقعة عند ارتطامها ببعضها البعض. واعترته موجة من الخوف عندما رأى المجمع - الخيام وغرفة الحطام وكوخ المديرة القابع تحت شجرتي البلوط. وجعله الخوف يشعر بدوار. أخذ نفساً، واستجمع شجاعته، وواصل طريقه.

وهمس، «تلك هي،» وهو يشير إلى الحفرة التي وجد فيها الأنبوب الذهبي. لقد كانت لا تزال على بعد خمسين ياردة، ولكن ستانلي كان متأكداً من أنها كانت هي الحفرة الصحيحة. ولم تكن هناك ضرورة للمخاطرة بالاقتراب أكثر.

نزلا في حفرتين مجاورتين، وانتظرا إلى أن يغط المخيم في النوم.

44

حاول ستانلي النوم وهو لا يعلم متى ستسنح له الفرصة مرة أخرى. سمع صوت ماء الاستحمام، وفيما بعد، أصوات تناول وجبة العشاء. وسمع صوت صرير باب غرفة الحطام. وكانت أصابعه تضرب على جانب الحفرة. وسمع صوت ضربات قلبه.

شرب جرعة ماء من المطرة، وكان قد أعطى زيرو مرطبانات الماء، وكان لدى كل منهما مؤنة جيدة من البصل.

لم يكن متأكداً كم من الوقت مضى على وجوده في الحفرة، ربما خمس ساعات. لقد أصيب بالدهشة عندما سمع زيرو يهمس له ليوقظه. لم يكن يعتقد أنه قد استغرق في النوم. ولو أنه فعل ذلك، فإنه كان يعتقد أن ذلك حدث في الدقائق الخمس الأخيرة فقط. وعلى الرغم من ذلك، عندما فتح عينيه، تفاجأ كم كان المكان مظلماً.

لم يكن هناك سوى ضوء واحد في المخيم، في المكتب. كانت السماء غائمة، لذا فقد كان هناك القليل من ضوء النجوم. وكان بإمكان ستانلي أن يرى جزءاً رفيعاً من القمر كان يظهر ويختفي بين الغيوم.

قام بإرشاد زيرو بحذر إلى الحفرة التي كان من الصعب العثور عليها في الظلام. وتعثر بكومة صغيرة من التراب، وهمس، «هذه هي.»

سأل زيرو، «أتعتقد؟»

قال ستانلي، «إنها هي،» وكان يبدو أكثر يقيناً مما كان حقاً. ونزل فيها، وأعطاه زيرو الجاروف.

غرز ستانلي الجاروف داخل التراب عند قاع الحفرة، وداس على الجزء الخلفي من النصل، وشعر أنه كان ينغرز بفعل وزنه. وقام بجرف بعض التراب وألقى به بعيداً إلى الجانب. ثم غرز الجاروف مرة أخرى.

راقب زيرو ذلك لفترة من الوقت، وقال، «سأحاول أن أعيد ملء مرطبانات الماء.»

أخذ ستانلي نفساً عميقاً وأخرج زفيراً، وقال، «كن حذراً،» ثم واصل الحفر.

كان الظلام شديداً، ولم يكن بإمكانه حتى أن يرى نهاية جاروفه. كان يتأمل أن يُخرج بالحفر ذهباً وألماساً بدلاً من التراب، وكان يقرِّب كل كمية تراب يجرفها من وجهه، ويحاول أن يرى ما إذا كان هناك شيء ما، قبل أن يلقي بها خارج الحفرة.

وعندما جعل الحفرة أعمق، أصبح من الصعب أن يرفع التراب إلى الأعلى وإلى الخارج. لقد كانت بعمق خمسة أقدام قبل حتى أن يبدأ، فقرر أن يستخدم جهوده لجعلها أوسع بدلاً من ذلك.

وقال لنفسه إن ذلك كان منطقياً أكثر، فلو أن كيت بارلو كانت قد دفنت صندوق كنز، فربما أنها لم تكن قادرة على الحفر أعمق من ذلك، لذا، لماذا عليه هو أن يفعل ذلك؟

ربما كان لدى كيت بارلو، بالطبع، عصابة من اللصوص تساعدها.

«هل تريد بعض طعام الفطور؟»

قفز ستانلي عند سماع صوت زيرو، فهو لم يسمعه وهو يقترب.

أعطاه زيرو علبة حبوب الفطور. وقام ستانلي بصب بعض الحبوب بحذر داخل فمه. لم يكن يريد أن يضع يديه المتسختين داخل العلبة. وكاد يتقيأ من الطعم شديد الحلاوة. فقد كانت عبارة عَن رقائق مغلفة بالسكر، وبعد عدم تناول أي شيء سوى البصل لأكثر من أسبوع، أصبح يعاني من مشاكل في التكيّف مع المذاق. فقام بغسلها من فمه بجرعة كبيرة من الماء. وتولى زيرو مهمة الحفر. وقام ستانلي بإدخال أصابعه في أكوام التراب الجديدة لفحصها فيما لو كان قد فوت شيئاً. كان يتمنى لو كان لديه مصباح يدوي. فقطعة ألماس لا يزيد حجمها عن حجم حصاة قد تبلغ قيمتها آلاف الدولارات. ولكن كان من المستحيل أن يراها.

كانا قد استهلكا كل الماء الذي أحضره زيرو من الحنفية التي كانت بجانب مكان الاستحمام. وقال ستانلي إن عليه أن يعيد ملء المرطبانات مرة أخرى، ولكن زيرو أصرّ على أن يقوم بذلك هو عوضاً عنه. «لا أقصد الإساءة، ولكنك تحدث الكثير من الضجة عندما تمشي. إن حجمك كبير جداً.»

عاد ستانلي إلى الحفرة، وكلما كانت الحفرة تتسع، كانت أجزاء من السطح تسقط، وبدأت المساحة تضيق عليهما.

وجعلها أكثر اتساعاً، كان يتعين عليهما أولاً أن ينقلا بعض أكوام التراب المحيطة بها بعيداً عن الطريق. وتساءل كم كان لديهما من الوقت قبل أن يستيقظ من في المخيم.

سأل زيرو عندما عاد بالماء، «كيف تسير الأمور؟»

هز ستانلي أحد كتفيه. وغرز الجاروف في جانب الحفرة جارفاً شريحة من الجدار الترابي. وأثناء قيامه بذلك، شعر أن الجاروف قد ارتد عن شيء صلب.

سأل زيرو، «ماذا كان ذلك؟»

لم يعرف ستانلي، وقام بتحريك جاروفه إلى الأعلى وإلى الأسفل في جانب الحفرة. وعندما تكسر وتقشّر التراب، أصبح الشيء الصلب أكثر وضوحاً.

لقد كان يبرز من جانب الحفرة، على مسافة ما يقرب من قدم ونصف القدم من القاع. وأحسه بيديه.

سأل زيرو، «ما هو؟»

لقد شعر فقط بزاوية من زواياه. وكان معظمه لا يزال مدفوناً. وكان له ملمس معدني بارد وناعم. وقال، «أعتقد أنني ربما عثرت على صندوق الكنز.» كان صوته ممتلئاً بالدهشة أكثر من الإثارة.

سأل زيرو، «حقاً؟»

قال ستانلي، «أعتقد ذلك.»

كانتِ الحفرة واسعة بما يكفي ليحمل الجاروف بالطول ويحفر جوانب الجدار. وكان يعلم أنه كان يتعين عليه أن يحفر بحذر شديد، إذ أنه لم يكن يريد أن أن ينهار جانب الحفرة مع كومة التراب الهائلة التي كانت فوقه تماماً.

قام بكشط الجدار الترابي إلى أن كشف جانباً كاملاً من الشيء الشبيه بالصندوق. مرر أصابعه فوقه، وكان يبدو أنه بطول ما يقرب من ثمانية إنشات، وعرض يبلغ حوالى قدمين. ولم تكن لديه طريقة لمعرفة كم كان يمتد داخل الأرض. وحاول أن يسحبه إلى الخارج، ولكنه لم يتزحزح.

كان يخشى أن تكون الطريقة الوحيدة للوصول إليه هي البدء من جديد من السطح، والحفر نحو الأسفل، إذ لم يكن لديهم وقت لذلك.

وقال، «سوف أحاول أن أحفر حفرة تحته. وبعد ذلك، ربما يمكنني أن أسحبه إلى الأسفل وزلقه نحو الخارج.»

قال زيرو، «هيا ابدأ بالعمل.»

حشر ستانلي الجاروف داخل الحافة السفلية من حفرته، وبدأ بحذر بحفر نفق تحت الشيء المعدني. وكان يأمل أن لا تنهار الحفرة.

وكان، بين الفينة والأخرى، يتوقف وينحدر إلى الأسفل ويحاول أن يمسك الطرف البعيد من الصندوق. ولكن حتى عندما أصبح النفق بطول ذراعه، كان لا يزال غير قادر على لمس الطرف الآخر.

حاول مرة اخرى سحبه إلى الخارج، ولكنه كان مثبتاً بقوة في الأرض. وكان يخشى، لو سحبه بقوة، أن ينهار التراب. وكان يعلم أنه عندما يكون جاهزاً لإخراجه، يجب عليه أن يفعل ذلك بسرعة، قبل ان تنهار الأرض التي فوقه.

وعندما أصبح نفقه أعمق وأوسع -وأكثر خطورة- كان ستانلي قادراً على إمساك المزالج التي كانت على أحد أطراف الصندوق، ومن ثم اليد الجلدية. لم يكن صندوقاً في الواقع. وقال لزيرو، «أعتقد أنه ربما كان نوعاً من الحقائب المعدنية.»

اقترح زيرو، «هل يمكنك خلعه بالجاروف؟»

«أخشى أن يؤدي ذلك إلى انهيار جانب الحفرة.»

قال زيرو، «وربما يتعين عليك المحاولة، على الرغم من ذلك.»

أخذ ستانلي رشفة من الماء، «ربما على الرغم من ذلك.»

غرز حافة الجاروف بين التراب وأعلى الحقيبة الحديدية، وحاول أن يدفعه ليخرج. وتمنى لو كان بإمكانه أن يرى ما الذي كان يفعله.

أخذ يحرك نهاية الجاروف إلى الخلف وإلى الأمام، إلى الأعلى وإلى الأسفل، إلى أن شعر بأن الحقيبة قد انفلتت. بعد ذلك شعر بأن التراب أخذ يسقط ويتراكم على سطحها.

ولكن لم يكن ذلك انهياراً ضخماً. وعندما ركع على ركبتيه في الحفرة، كان بإمكانه أن يرى أن جزءاً صغيراً فقط من الأرض قد انهار.

حفر بيديه إلى أن وجد اليد الجلدية، ومن ثم سحب الحقيبة إلى الأعلى وأخرجها من التراب. وصرخ، «لقد أخرجتها!»

كانت ثقيلة. وقام بإعطائها لزيرو في الأعلى.

قال زيرو وهو يأخذها منه، «لقد نجحت.»

قال ستانلي، «لقد نجحنا.»

استجمع بقية قوته، وحاول أن يسحب نفسه إلى الأعلى للخروج من الحفرة. وفجأة، كان هناك ضوء قوي يسطع في وجهه.

قالت المديرة، «شكراً لكما، لقد قدمتما، أيها الصبيّان مساعدة كبيرة.»

45

تم توجيه ضوء المصباح اليدوي بعيداً عن عيني ستانلي إلى عيني زيرو، الذي كان يجلس على ركبتيه. وكانت الحقيبة على حجره.

كان السيد بندانسكي يحمل المصباح اليدوي، والسيد سير واقفاً إلى جانبه ومسدسه مسحوباً وموجّهاً في الاتجاه ذاته. وكان السيد سير حافي القدمين وعاري الصدر، وكان يرتدي فقط الجزء السفلي من بيجامته.

توجهت المديرة نحو زيرو، وكانت بلباس النوم، وترتدي قميصاً قطنياً طويلاً جداً. إلا أنها، وخلافاً للسيد سير، كانت ترتدي جزمتها.

كان السيد بندانسكي الوحيد الذي كان بكامل ملابسه. ربما كان يقوم بمهمة الحراسة.

وعلى مسافة بعيدة، كان بإمكان ستانلي أن يرى ضوء مصباحين يدويين آخرين يتمايل نحوهما في الظلام. وكان يشعر بالعجز داخل الحفرة.

وبدأت المديرة تقول، «لقد وصلتما أيها الصبيّين في اللحظة الأخيرة - » وتوقفت عن الحديث وتوقفت عن السير. ثم تراجعت ببطء إلى الوراء.

كانت هناك سحلية قد زحفت أعلى الحقيبة، وكانت عيناها الحمراوان الكبيرتان تتوهجان في ضوء المصباح اليدوي. وكان فمها مفتوحاً، وكان بإمكان ستانلي أن يرى لسانها الأبيض يتحرك إلى الداخل وإلى الخارج من بين أسنانها السوداء.

كان زيرو يجلس ساكناً كما لو كان تمثالاً.

زحفت سحلية أخرى فوق جانب الحقيبة وتوقفت على بعد أقل من إنش واحد من إصبع زيرو الصغير.

كان ستانلي خائفاً من أن ينظر، وخائفاً من أن لا ينظر. وتساءل ماذا يحدث لو حاول الاندفاع خارج الحفرة قبل أن تستدير السحالي نحوه، ولكنه لم يكن يريد أن يتسبب في إحداث أي ضجة.

زحفت السحلية الثانية عبر أصابع زيرو وإلى منتصف ذراعه.

وخطر لستانلي أن السحليتين ربما كانتا على الحقيبة عندما أعطاها لزيرو.

قال السيد بندانسكي وهو يلهث، «هناك واحدة أخرى!» وأضاء المصباح على علبة الرقائق المغلفة بالسكر التي كانت ملقاة على جانبها بالقرب من حفرة ستانلي، وكانت هناك سحلية تخرج منها.

كان الضوء قد أضاء كذلك حفرة ستانلي. ونظر إلى الأسفل، واضطر إلى إجبار نفسه على كتم صرخة. لقد كان يقف داخل وكر سحالي. وشعر بالصرخة تنفجر داخله.

استطاع أن يرى ست سحالي، كانت ثلاث منها على الأرض واثنتان على رجله اليسرى، وواحدة على حذائه الأيمن.

حاول أن يبقى ساكناً جداً. وكان هناك شيء يزحف على مؤخرة رقبته.

اقترب ثلاثة مرشدين آخرين من المنطقة. وسمع ستانلي أحدهم يقول، «ما الذي يجري -» ثم همس، «أوه، يا إلهي.»

سأل السيد بندانسكي، «ماذا نفعل؟»

قالت المديرة، «ننتظر، لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً.»

قال السيد بندانسكي، «على الأقل سيكون لدينا جثة نعطيها لتلك المرأة.»

قال السيد سير، «سوف تطرح الكثير من الأسئلة. وفي هذه المرة سيكون معها الـ A.G.»

قالت المديرة، «دعوها تطرح أسئلتها. طالما أن الحقيبة معي، فإنني لا أهتم بما يحدث. هل تعلم المدة التي ...» خمد صوتها، ومن ثم بدأ يرتفع من جديد. «عندما كنت فتاة صغيرة، كنت أراقب والديّ يحفران الحفر، كل نهاية أسبوع وكل عطلة. وعندما أصبحت أكبر سناً، كان يتعين علي أن أقوم بالحفر، أيضاً، حتى في عيد الميلاد.»

شعر ستانلي بمخالب صغيرة تنغرس في جانب وجهه عندما سحبت السحلية نفسها عن رقبته إلى الأعلى بمحاذاة ذقنه.

قالت المديرة، «لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً.»

كان بإمكان ستانلي أن يسمع ضربات قلبه. وكانت كل ضربة تخبره أنه كان لا يزال حيّاً، على الأقل لمدة ثانية واحدة أخرى.

46

بعد خمسمائة ثانية، كان قلبه لا يزال ينبض.

صرخ السيد بندانسكي حيث أن السحلية التي كانت في علبة حبوب الفطور كانت تنطلق نحوه. أطلق السيد سير النار في الهواء.

شعر ستانلي بالإنفجار يحطم الهواء من حوله. وهرعت السحالي باهتياج عبر جسده الساكن. ولم يجفل، وركضت إحدى السحالي بالقرب من فمه المغلق.

نظر إلى زيرو والتقت عينا زيرو بعينيه. وبطريقة ما كان كلاهما لا يزالا على قيد الحياة، على الأقل لمدة ثانية واحدة أخرى، ولخفقة قلب واحدة أخرى.

أشعل السيد سير سيجارة.

وقال أحد المرشدين الآخرين، «كنت أعتقد أنك أقلعت عن التدخين.»

«نعم، حسناً، في بعض الأحيان لا تضع بذور دوّار الشمس حداً له.» وأخذ نشقة طويلة من سيجارته. «سأعاني من الكوابيس بقية حياتي.»

اقترح السيد بندانسكي، «ربما يجب علينا مجرد إطلاق النار عليهم.»

سأل أحد المرشدين، «على من؟ السحالي أم الصبيين؟»

ضحك السيد بندانسكي بتجهم. «الصبيّان سيموتان على أي حال،» وضحك مرة أخرى. «على الأقل لدينا الكثير من القبور لنختار منها.»

قالت المديرة، «لدينا وقت. لقد انتظرت هذه الفترة الطويلة، ويمكنني أن أنتظر بضع ...» وخمد صوتها.

شعر ستانلي بسحلية تزحف إلى داخل جيبه وإلى خارجها.

قالت المديرة، «سوف نجعل قصتنا بسيطة. تلك المرأة سوف تطرح الكثير من الأسئلة، وعلى الأرجح أن الـ A.G سيفتح تحقيقاً. لذا، فهذا هو ما حدث: حاول ستانلي الهروب في الليل، وسقط في حفرة، وقضت عليه السحالي. ذلك كل شيء. ولن نقوم حتى بتسليمهم جثة زيرو. فكما يعلم الجميع، زيرو غير موجود. كما قال موم، لدينا الكثير من القبور لنختار منها.»

سأل السيد بندانسكي، «لماذا سيهرب إذا كان يعرف أنه كان سيطلق سراحه اليوم؟»

«من يعرف؟ إنه مجنون. وذلك كان هو السبب في أننا لم نطلق سراحه في الأمس. لقد كان يهذي، وكان يتعين علينا أن نبقيه تحت رقابة مستمرة بحيث لا يؤذي نفسه أو أي شخص آخر.»

قال السيد بندانسكي، «لن يعجبها ذلك.»

قالت المديرة، «لن يعجبها أي شيء نقوله لها.» وحدّقت في وجه زيرو ثم في الحقيبة. وسألت، «لماذا لم تمت بعد؟»

سمع ستانلي فقط نصف حديث المرشدين، لم يكن يعرف من كانت تلك المرأة أو ماذا كانت «الـ A.G» تعني. ولم يدرك حتى أنها كانت الحروف الأولى لكلمتين، حيث أنها كانت تبدو وكأنها كلمة واحدة «Age-ee.» لقد كان عقله مركّزاً على المخالب الصغيرة التي كانت تتحرك صعوداً وهبوطاً على جلده وخلال شعره.

حاول التفكير بأشياء أخرى، إذ لم يكن يريد أن يموت مع صور للمديرة والسيد سير والسحالي مطبوعة في ذهنه. وبدلاً من ذلك حاول أن يرى صورة وجه والدته.

وعاد به ذهنه إلى الزمن الذي كان فيه صغيراً جداً، متدثراً بكامله ببدلة الثلج. وكان ووالدته يمشيان يداً بيد، قفازاً بقفاز، عندما تزحلق كلاهما على بعض الجليد وسقطا وتدحرجا إلى أسفل تلة مغطاة بالثلوج. وتذكر أنه كان على وشك البكاء، ولكن بدلاً من ذلك أخذ يضحك. وضحكت والدته، أيضاً.

كان بإمكانه الشعور بالدوار ذاته الذي شعر به عندئذ، فقد كان يعاني من دوخة بسبب التدحرج إلى أسفل التلة. وشعر ببرودة الثلج الحادة على أذنه. وكان بإمكانه رؤية نُدَفاً من الثلج على وجه والدته المشرق والمبتهج.

هذا هو المكان الذي كان يريد أن يكون فيه عندما يموت.

قال السيد سير، «هيه، كيفهان، خمّن ماذا؟ أنت بريء، بعد كل شيء. اعتقدت أنك ستحب أن تعرف ذلك. لقد حضر محاميك ليأخذك بالأمس. إنه لأمر مؤسف جداً أنك لم تكن هنا.»

لم تعنِ الكلمات أي شيء لستانلي، الذي كان لا يزال في الثلج، حيث كان ووالدته يصعدان التلة من جديد ويتدحرجان مرة أخرى، وهذه المرة كان ذلك عن عمد. وبعد ذلك تناولا الكاكاو مع الكثير جداً من حلوى المارشملو الذائبة.

قال السيد بندانسكي، «إن الساعة تقترب من 4:30. سوف يستيقظون.»

طلبت المديرة من المرشدين العودة إلى الخيم. وأخبرتهم أن يقدموا الفطور للمخيّمين وأن يتأكدوا من عدم التحدث إلى أي شخص. وطالما أنهم كانوا يفعلون ما أمروا به، فإنهم لن يقوموا بحفر أي حفر. وإذا تكلموا، فإنهم سيتعرضون إلى عقاب شديد.

سأل أحد المرشدين، «كيف يتعين علينا أن نخبرهم بالطريقة التي سيُعاقبون بها؟»

قالت المديرة، «دعهم يستخدمون مخيلتهم.»

راقب ستانلي المرشدين وهم يعودون إلى الخيم، تاركين المديرة والسيد سير فقط وراءهم. وكان يعلم أن المديرة لم تعد تهتم بها إذا كان المخيّمون سيحفرون المزيد من الحفر أم لا، فقد وجدت ما كانت تبحث عنه.

نظر إلى زيرو. كانت هناك سحلية جاثمة على كتفه.

بقي ستانلي ساكناً تماماً باستثناء يده اليمنى التي تشكّلت ببطء على شكل قبضة، ثم رفع إبهامه، معطياً ستانلي إشارة الإبهام المرفوع.

عاد ستانلي إلى التفكير بما قاله له السيد سير في وقت سابق، ومقاطع صغيرة من المحادثة التي سمعها. وحاول أن يجد معنى لها. لقد قال السيد سير شيئاً ما عن محام، ولكن ستانلي كان يعلم أنه لم يكن بمقدور والديه الدفع لمحامٍ.

شعر برجليه تؤلمانه من الوقف جامداً بلا حراك لفترة طويلة. إن الوقوف ثابتاً كان مضنياً أكثر من المشي. وببطء، سمح لنفسه بالاستناد على جدار الحفرة.

وبدا أن السحالي لم تمانع في ذلك.

47

كانت الشمس قد ارتفعت، وكان قلب ستانلي لا يزال ينبض. وكانت هناك ثماني سحالي في الحفرة معه، وكان لكل واحدة منها إحدى عشرة نقطة صفراء بالضبط.

كانت توجد هالات سوداء تحت عيني المديرة بسبب قلة النوم، وخطوط عبر جبهتها ووجهها بدت مبالغ فيها في ضوء النهار القوي، وبدت بشرتها ملطخة.

قال زيرو، «ساتان (الشيطان).»

نظر ستانلي إليه، وكان غير متأكد حتى مما إذا كان زيرو قد تكلم أم أنه قد تخيل ذلك فقط.

اقترحت المديرة، «لماذا لا تحاول أن تذهب وترى ما إذا كان بإمكانك أخذ الحقيبة من زيرو.»

قال السيد سير، «نعم، صحيح.»

قال المديرة، «من الواضح أن السحالي ليست جائعة.»

قال السيد سير، «إذن اذهبي أنت وخذي الحقيبة.»

انتظر كلاهما.

قال زيرو، «سا- تان- لي.»

...

وبعد مرور بعض الوقت رأى ستانلي عنكبوت الرتيلاء تزحف عبر التراب غير بعيدة جداً عن حفرته. ولم يكن قد رأى عنكبوت الرتيلاء من قبل أبداً، ولكن لم يكن هناك أدنى شك في أنها كانت عنكبوت الرتيلاء. وكان مفتوناً بها للحظات، عندما كان جسمها الكبير المغطى بالشعر يتحرك ببطء وثبات.

قال السيد سير، مفتوناً أيضاً، «أنظري، عنكبوت الرتيلاء.»

قالت المديرة، «لم يسبق لي أبداً أن رأيت رتيلاء، إلا في -»

شعر ستانلي فجأة بوخزة حادة على جانب رقبته.

لم تعضه السحلية، على أي حال، لقد كان ذلك مجرد ضغط.

وقفزت السحلية عن رقبة ستانلي، وانقضت على عنكبوت الرتيلاء.

وكان آخر ما رآه ستانلي من عنكبوت الرتيلاء هو رِجل واحدة مغطاة بالشعر تبرز من فم السحلية.

قال السيد سير، «ليست جائعة، هه؟»

حاول ستانلي أن يعود إلى الثلج، ولكن كان من الصعب الرجوع إلى هناك عندما ارتفعت الشمس.

عندما أشرقت الشمس، تحركت السحالي إلى مكان أخفض في الحفرة، لتبقى بشكل أساسي في الظل. ولم تعد موجودة على رأسه وكتفيه، وإنما تحركت إلى الأسفل على بطنه وساقيه وقدميه.

لم يكن بإمكانه أن يرى أياً من السحالي على زيرو، ولكنه كان يعتقد أنه كانت هناك اثنتان، بين ركبتي زيرو تحتميان من الشمس بالقرب من الحقيبة.

سأل ستانلي بهدوء، «كيف حالك؟» لم يكن يهمس، ولكن صوته كان جافاً وأجشاً.

قال زيرو، «ساقاي مخدرتان.»

قال ستانلي، «سأحاول التسلق للخروج من الحفرة.»

وأثناء محاولته سحب نفسه نحو الأعلى، باستخدام ذراعيه فقط، شعر بمخلب ينغرس في كاحله، فعاد بحذر وبلطف إلى الأسفل.

سأل زيرو، «هل اسمك الأخير هو اسمك الأول معكوساً؟»

حدّق ستانلي في وجهه باندهاش. هل كان يفكر بذلك طوال الليل؟

سمع صوت سيارات تقترب.

وسمع السيد سير والمديرة ذلك، أيضاً.

سألت المديرة، «أتعتقد أنهم هم؟»

قال السيد سير، «إنهم ليسوا فتيات كشافة يبعن الكعك.»

سمع السيارات تتوقف، والأبواب تفتَح وتُغلَق. وبعد فترة قصيرة، رأي السيد بندانسكي واثنين من الغرباء يأتون عبر البحيرة.

كان أحدهما رجلاً طويلاً يرتدي بذلة عمل وقبعة رعاة البقر. وكانت الثانية امرأة قصيرة تحمل حقيبة. وكان يتعين على المرأة أن تخطو ثلاث خطوات مقابل كل خطوتين يخطوهما الرجل. ونادت، «ستانلي يلناتس؟» متقدمة عن الآخرين.

قال السيد سير، «أقترح أن لا تقتربي أكثر.»

ردّت بقسوة، «لا يمكنك أن توقفني،» ثم ألقت نظرة أخرى عليه وهو يرتدي بنطال البيجاما بدون أي شيء آخر. وقالت، «سوف نخرجك من هناك يا ستانلي. لا تقلق.» كانت تبدو أنها من أصل إسباني، بشعرها الأسود المسترسل وعينيها الداكنتين. وكانت تتكلم بلكنة مكسيكية قليلاً، بترديد حرف الراء.

صاح الرجل الطويل عندما وصل وراءها، «ماذا يحدث بحق الجحيم؟»

التفتت إليه، «إنني أخبرك الآن، إذا حدث أي ضرر له، سوف نوجه اتهامات ليس فقط ضد السيدة واكر ومخيم غرين ليك، وإنما ضد ولاية تكساس بكاملها، أيضاً. إساءة معاملة الأطفال، وسجن زائف، وتعذيب.»

كان الرجل ذا قامة أطول من قامتها، وكان بإمكانه النظر مباشرة من فوقها عندما كان يتحدث إلى المديرة.

«منذ متى وهما هناك؟»

«طوال الليل، كما ترى من طريقة لباسنا. لقد تسللا إلى غرفتي عندما كنت نائمة وسرقا حقيبتي، قمت بمطاردتهما، فهربا

إلى هنا وسقطا داخل جحر السحالي. لا أعرف ما الذي كانا يفكران به.»

قال ستانلي، «ذلك ليس صحيحاً.»

قالت المرأة، «ستانلي، بوصفي المحامية الخاصة بك، أنصحك أن لا تقول أي شيء إلى أن تسنح فرصة لي ولك للحديث على انفراد.»

تساءل ستانلي لماذا كذبت المديرة بشأن الحقيبة. وتساءل من كانت تخص، قانونياً. لقد كان ذلك شيئاً أراد أن يسأل محاميته عنه، إذا كانت محاميته فعلياً.

قال الرجل الطويل، «إنها معجزة أنهما لا يزالان على قيد الحياة.»

وافقت المديرة، «نعم، إنها كذلك،» مع شيء من خيبة الأمل في صوتها.

وقالت محامية ستانلي محذِّرة، «ومن الأفضل أن يخرجا من هذا على قيد الحياة. ما كان ذلك ليحدث لو أنك قمت بإطلاق سراحه وتسليمه لي في الأمس.»

قالت المديرة، «ما كان ذلك ليحدث لو أنه لم يكن لصاً. قلت له إنه سيطلق سراحه اليوم، واعتقدت أنه قرر أن يأخذ بعض أشيائي الثمينة معه. لقد كان مهتاجاً طوال الأسبوع الماضي.»

سأل الرجل الطويل، «لماذا لم تطلقي سراحه وتسلميه لها عندما حضرت إليك في الأمس؟»

قالت المديرة، «لم يكن لديها تفويض صحيح.»

«كان لدي أمر من المحكمة.»

قالت المديرة، «لم يكن مُصادقاً عليه.»

«مُصادقاً عليه؟ لقد كان موقعاً من قِبل القاضي الذي أصدر الحكم عليه.»

قالت المديرة، «كنت بحاجة إلى مصادقة من النائب العام. كيف لي أن أعرف أنه كان شرعياً؟ لقد أثبت الأولاد الموجودون عندي أنهم خطيرون على المجتمع. هل من المفترض أن أطلق سراحهم في أي وقت يسلمني أحدهم قطعة من الورق؟»

قالت المرأة، «نعم، إذا كانت أمراً من المحكمة.»

وأوضحت المديرة، «لقد كان قد تم إدخال ستانلي إلى المستشفى في الأيام القليلة الماضية. لقد كان يعاني من هلوسات وهذيان. وكان يصرخ ويهذي. لم يكن في حالة تسمح له بالمغادرة. وحقيقة أنه كان يحاول أن يسرقني في اليوم الذي سبق يوم إطلاق سراحه تثبت ...»

حاول ستانلي التسلق للخروج من الحفرة بالاستعانة أكثر شيء بذراعيه بحيث لا يزعج السحالي كثيراً. وعندما سحب نفسه إلى الأعلى، تحركت السحالي نحو الأسفل، مبتعدة عن أشعة الشمس المباشرة، وقام بأرجحة ساقيه إلى الأعلى، وقفزت آخر سحلية مبتعدة.

هتفت المديرة، «شكراً للرب!» وحدّقت باتجاهه، ثم توقفت.

خرجت سحلية من جيبه وزحفت إلى الأسفل نحو ساقه.

كان ستانلي منهكاً بفورة من الدوار، وكان على وشك السقوط. ثبّت نفسه، وبعد ذلك مدّ نفسه إلى الأسفل وأمسك بذراع زيرو، وساعده بهدوء للوقوف على قدميه. وكان زيرو لا يزال يحمل الحقيبة.

هرعت السحليتان، اللتان كانتا تختبئان تحتها، بسرعة إلى داخل الحفرة.

ابتعد ستانلي وزيرو وهما يترنحان.

هرعت المديرة إليهما. وضمت زيرو. وقالت، «شكراً للرب، أنكما على قيد الحياة،» وهي تحاول أخذ الحقيبة منه.

قام زيرو بهزها وتحريرها منها، وقال، «إنها تخص ستانلي.»

قالت المديرة محذِّرة، «لا تسببا المزيد من المشاكل، لقد سرقتموها من كوخي، وتم القبض عليكما متلبسين. وإذا قمت بتوجيه اتهامات، فربما أن ستانلي سيعود إلى السجن. والآن، أنا مستعدة، في ضوء كافة الظروف، أن -»

قال زيرو، «اسمه مكتوب عليها.»

اندفعت محامية ستانلي من أمام الرجل الطويل لتلقي نظرة.

«أنظري،» وأراها زيرو إياها. «ستانلي يلناتس.»

نظر ستانلي، أيضاً. كان مكتوب هناك، بأحرف سوداء كبيرة، ستانلي يلناتس.

نظر الرجل الطويل من فوق رؤوس الآخرين إلى الإسم الذي كان على الحقيبة. «قلتِ إنه سرقها من كوخك؟»

حدّقت المديرة في الحقيبة غير مصدِّقة ما ترى. «ذلك مسـ... تحيـ... إنه مستحيـ...» لم يكن بإمكانها حتى أن تقولها.

48

عادوا إلى المخيم ببطء. وكان الرجل الطويل هو النائب العام لولاية تكساس، المسؤول الرئيسي عن تنفيذ القانون للولاية. وكان اسم محامية ستانلي السيدة مورينغو.

حمل ستانلي الحقيبة. وكان متعباً جداً بحيث لم يكن بإمكانه التفكير بوضوح. كان يشعر كما لو كان يمشي في حلم، غير قادر على فهم ما الذي كان يحدث من حوله.

توقفوا أمام مكتب المخيم. ذهب السيد سير إلى الداخل لإحضار أشياء ستانلي الخاصة. وقال النائب العام للسيد بندانسكي أن يحضر شيئاً للصبيين لكي يأكلا ويشربا.

بدت المديرة مصابة بالدوار كما كان ستانلي. وقالت لزيرو، «أنت لا تستطيع حتى أن تقرأ.»

لم يقل زيرو شيئاً.

وضعت السيدة مورينغو يدها على كتف ستانلي، وأخبرته أن يكن صبوراً ويصمد، وأنه سيرى والديه قريباً.

كانت أقصر من ستانلي، ولكنها كانت، بطريقة ما، تعطي مظهراً بأنها طويلة.

عاد السيد بندانسكي ومعه علبتا عصير وخبزتا بيغل. شرب ستانلي العصير، ولكنه لم يشعر برغبة في أكل أي شيء.

صاحت المديرة، «انتظر! لم أقل إنهما سرقا الحقيبة، إنها، من الواضح، حقيبته ولكنه وضع من أشيائي التي أخذها من كوخي داخلها.»

قالت السيدة مورينغو، «ليس ذلك ما قلته من قبل.»

سألت المديرة ستانلي، «ما الذي يوجد في الحقيبة؟ أخبرنا ماذا يوجد بداخلها، وعندئذ سوف نفتحها ونرى!»

لم يعرف ستانلي ماذا يفعل.

قالت السيدة مورينغو، «ستانلي، بوصفي محاميتك، أنصحك أن لا تفتح حقيبتك.»

قالت المديرة، «يجب عليه أن يفتحها! ولدي الحق في التحقق من الممتلكات الشخصية لأي من المحتجزين. كيف لي أن أعرف أنه لا توجد مخدرات أو أسلحة بداخلها؟ لقد سرق سيارة، أيضاً! لدي شهود!» كانت على وشك أن تصاب بهستيريا.

قالت محامية ستانلي، «لم يعد تحت ولايتك.»

قالت المديرة، «لم يتم إطلاق سراحه رسمياً. إفتح الحقيبة يا ستانلي!»

قالت محامية ستانلي، «لا تفتحها.»

لم يفعل ستانلي شيئاً.

عاد السيد سير من المكتب ومعه حقيبة ظهر ستانلي وملابسه.

قام النائب العام بتسليم السيدة مورينغو صفحة من الورق، وقال لستانلي، «أنت حر في الذهاب. أعلم أنك متلهف للخروج من هنا، لذا يمكنك الاحتفاظ بالبذلة البرتقالية كتذكار، أو أن تحرقها، إفعل بها ما يحلو لك. حظ سعيد يا ستانلي.»

مدّ يده ليصافح، ولكن السيدة مورينغو استعجلت ستانلي بالذهاب، وقالت، «هيا يا ستانلي. لدينا الكثير لنتحدث عنه.»

توقف ستانلي والتفت لينظر إلى زيرو. لم يكن بإمكانه تركه هنا.

أشار له زيرو بإشارة الإبهام المرفوع.

قال ستانلي، «لا يمكنني أن أترك هيكتور.»

قالت محاميته مع إحساس بحاجة ملحّة في صوتها، «أقترح أن نذهب.»

قال زيرو، «سأكون بخير.» وانتقلت عيناه نحو السيد بندانسكي على أحد جنبيه، ثم إلى المديرة والسيد سير على الجنب الآخر.

قالت السيدة مورينغو، «ليس هناك شيء يمكنني عمله لصديقك. لقد تم إطلاق سراحك أنت بموجب أمر من القاضي.»

قال ستانلي، «سوف يقتلونه.»

قال النائب العام، «صديقك ليس في خطر، سيكون هناك تحقيق في كل شيء حدث هنا. وبالنسبة للوقت الحاضر، سأتولى المسؤولية في المخيم.»

قالت محاميته، «هيا يا ستانلي، والداك ينتظران.»

بقي ستانلي حيث كان.

تنهدت محاميته. وسألت، «هل يمكنني إلقاء نظرة على ملف هيكتور؟»

قال النائب العام، «بالتأكيد. سيدة واكر، إذهبي وأحضري ملف هيكتور.»

نظرت إليه نظرة فارغة من أي تعبير.

«حسناً؟»

التفتت المديرة إلى السيد بندانسكي. «أحضر لي ملف هيكتور زيروني.»

حدق في وجهها.

قالت بلهجة آمرة، «أحضره!»

ذهب السيد بندانسكي إلى المكتب، وعاد بعد بضع دقائق وأخبرهم أنه يبدو أن الملف قد فُقِد.

استشاط النائب العام غضباً، «أي نوع من المخيمات تديرينه هنا يا سيدة وكر؟»

لم تقل المديرة شيئاً، وكانت تحدّق في الحقيبة.

وأكّد النائب العام لمحامية ستانلي أنه سوف يحصل على السجلات. «أستأذنك، بينما أتصل بمكتبي.» والتفت إلى المديرة،

«أفترض أن الهاتف يعمل.» ودخل إلى مكتب المخيم صافعاً الباب وراءه. وبعد فترة قصيرة، ظهر مرة أخرى وأخبر المديرة بأنه يريد التحدث إليها.

نطقت بشتيمة، ثم ذهبت إلى الداخل.

رفع ستانلي إشارة الإبهام المرفوع لزيرو.

«كيفهان؟ هل هذا أنت؟»

التفت ليرى آرمبيت وسكويد يخرجان من غرفة الحطام. صاح سكويد في غرفة الحطام، «كيفهان وزيرو هنا في الخارج.»

وسرعان ما تجمع كل الأولاد من المجموعة د حوله وحول زيرو.

قال آرمبيت، «من الجميل أن نراك، يا رجل،» وهو يصافحه. «لقد اعتقدنا أنكما أصبحتما طعاماً للصقور.»

قال بندانسكي، «سيتم إطلاق سراح ستانلي اليوم.»

قال ماغنت، «رائع، أحسنت،» وهو يضربه على كتفه.

وقال سكويد، «ولم تضطر حتى أن تدوس على أفعى جرسية.»

حتى زيغزاغ صافح ستانلي. «آسف على ... أنت تعلم.»

قال ستانلي، «لا بأس.»

وأخبره زيغزاغ، «لقد اضطررنا إلى رفع الشاحنة وإخراجها من الحفرة. واحتاج الأمر إلى مشاركة الجميع من المجموعات ج ود وهـ. وقد قمنا برفعها إلى الأعلى.»

قال تويتش، «لقد كان ذلك رائعاً حقاً.»

كان إكس ري هو الوحيد الذي لم يحضر. ورآه ستانلي يقف في الوراء خلف الباقين للحظة، ثم عاد إلى غرفة الحطام.

قال ماغنت، «خمّن ماذا؟» وهو ينظر إلى السيد بندانسكي، «يقول موم إنه لن نضطر إلى حفر أي حفر بعد الآن.»

قال ستانلي، «ذلك رائع.»

سأل سكويد، «هل تقدِّم لي معروفاً؟»

وافق ستانلي بتردد نوعاً ما، «أظن ذلك.»

«أريدك أن -» والتفت إلى السيد مورينغو. «هيه، أيتها السيدة، هل لديك قلم وورقة يمكنني استعارتهما؟»

أعطته إياهما، وكتب سكويد رقم هاتف أعطاه لستانلي. «اتصل بوالدتي من أجلي، حسناً؟ أخبرها... أخبرها أنني أقول إنني آسف. قل لها آلن يقول إنه آسف.»

وعده ستانلي بأنه سيفعل ذلك.

قال آرمبيت، «والآن كن حريصاً في الخارج في العالم الحقيقي. ليس الجميع لطيفين مثلنا.»

ابتسم ستانلي.

غادر الأولاد عندما خرجت المديرة من المكتب. وكان النائب العام خلفها مباشرة.

قال النائب العام، «يجد مكتبي بعض الصعوبة في تحديد مكان سجلات هيكتور زيروني.»

سألت السيدة زيروني، «إذن ليس لديك دعوى إثبات سلطة عليه؟»

«لم أقل ذلك. إنه على الكمبيوتر. ولكننا لن نتمكن فقط من الوصول إلى سجلاته. يبدو كما لو أنها سقطت من خلال ثقب في الفضاء السبراني.»

كررت السيدة مورينغو، «ثقب في الفضاء السبراني. كم هذا ممتع. ما هو تاريخ إطلاق سراحه؟»

«لا أعلم.»

«منذ متى وهو هنا؟»

«كما قلتُ، لا يمكننا -»

«إذن، ما هو مخططك بشأنه؟ إبقاؤه محتجزاً إلى أجل غير محدد، بدون مبرر، بينما تذهب للزحف خلال ثقوب سوداء في الفضاء السبراني؟»

حدق النائب العام في وجهها. «من الواضح أنه محبوس لسبب ما.»

«أوه، وما هو ذلك السبب؟»

لم يقل النائب العام شيئاً.

أمسكت محامية ستانلي بيد زيرو، «تعال، هيكتور، أنت ستأتي معنا.»

49

لم يكن من المعتاد أبداً وجود السحالي المرقطة ببقع صفراء في بلدة غرين ليك. فهي لم تأتِ إلى المنطقة إلى بعد ما جفت البحيرة. ولكن سكان البلدة سمعوا عن «وحوش ذات عيون حمراء» تعيش في التلال الصحراوية.

بعد ظهر أحد الأيام، كان سام، بائع البصل، وحمارته، ماري لو، عائدين إلى قاربه، الذي كان راسياً بعيداً قليلاً عن الشاطئ. وكان ذلك في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر، وكانت أشجار الدراق قد فقدت معظم أوراقها.

صاح أحدهم، «سام.»

التفت ليرى ثلاثة رجال يركضون وراءه ويلوحون بقبعاتهم. انتظر، ثم حيّاهم، «مساء الخير والتر، بو، جيسي،» عندما وصلوا وهم يلتقطون أنفاسهم.

قال بو، «سعيدون أننا لحقنا بك. سوف نذهب لصيد الأفاعي الجرسية في الصباح.»

وقال والتر، «نريد الحصول على بعض عصير السحالي الذي لديك.»

قال جيسي، «لست خائفاً من أي أفعى جرسية، ولكن لا أريد أن أصادف أحد تلك الوحوش ذات العيون الحمراء. لقد رأيت أحدها ذات مرة، وكان ذلك كافياً. لقد عرفت عن العيون الحمراء، بالطبع، ولم أسمع عن الأسنان السوداء الكبيرة.»

قال بو، «إنه اللسان الأبيض الذي أثار اهتمامي.»

أعطى سام كل رجل زجاجاتين من عصير البصل النقي. وأخبرهم أن يشربوا زجاجة واحدة قبل الذهاب إلى النوم في تلك الليلة، ومن ثم نصف زجاجة في الصباح، وبعد ذلك نصف زجاجة عند وقت الغداء تقريباً.

سأل والتر، «هل أنت متأكد من أن هذا الشيء يعطي مفعولاً؟»

قال سام، «سأقدم لك عرضاً، إذا لم يعطِ مفعولاً، يمكنك العودة في الأسبوع التالي وسوف أردّ لك نقودك.»

نظر والتر حوله بعدم تيقن، عندما ضحك بو وجيسي. ومن ثم ضحك سام، أيضاً. وحتى ماري لو أطلقت نهيقاً خفيفاً.

وقال سام للرجال قبل أن يغادروا، «تذكروا فقط، من المهم جداً أن تشربوا زجاجة الليلة. يجب أن تجعلوها تسري داخل مجرى دمائكم. إن السحالي لا تحب الدم الذي فيه بصل.»

جلس ستانلي وزيرو في المقعد الخلفي لسيارة السيدة مورينغو من نوع بي إم دبليو. وكانت الحقيبة موضوعة بينهما. لقد كانت مقفلة، وقرروا جعل والد ستانلي يحاول فتحها في ورشته.

وسألت، «أنت لا تعرف ما بداخلها، أليس كذلك؟»

قال ستانلي، «لا.»

«لم أعتقد ذلك.»

كان التكييف يعمل، ولكنهم كانوا يسيرون بالسيارة والنوافذ مفتوحة، أيضاً، وذلك لأنه، «لا أقصد الإساءة، ولكن رائحتكما أيها الصبيين سيئة حقاً.»

وأوضحت السيدة مورينغو أنها كانت محامية لبراءات الاختراع، «إنني أساعد والدك بالمنتَج الجديد الذي اخترعه. وذكر حالتك عن طريق الصدفة، لذا قمت بإجراء بعض التحقيق. لقد تمت سرقة حذاء كلايد ليفنغستون في وقت ما قبل الساعة 3:15، ووجدت شاباً، ديريك ديون، قال إنك في الساعة 3:20 كنت في الحمام تخرج دفتر ملاحظاتك من المرحاض. وتذكرت فتاتان رؤيتك قادماً من الحمام تحمل دفتر ملاحظات مبلل.»

شعر ستانلي بأذنيه تحمرّان، وعلى الرغم من كل شيء مر به، ما زالت الذكرى تسبب له شعوراً بالخجل.

قالت السيدة مورينغو، «لذا، فلا يمكن أن تكون قد سرقته.»

قال زيرو، «لم يفعل ذلك، أنا الذي فعلته.»

سألت السيدة مورينغو، «أنت فعلت ماذا؟»

«سرقت الحذاء الرياضي.»

التفت المحامية فعلياً إلى الوراء أثناء القيادة، ونظرت إليه، وقالت، «لم أسمع ذلك، وأنصحك أن تتأكد من أن لا أسمعه مرة أخرى.»

سأل ستانلي، «ما الذي اخترعه والدي؟ هل وجد طريقة لإعادة تدوير الأحذية الرياضية؟»

أوضحت السيدة مورينغو، «لا، إنه لا يزال يعمل على ذلك، ولكنه اخترع منتجاً يقضي على رائحة القدمين. ها هو، لدي عينة في حقيبتي. أتمنى لو كان لدي أكثر، لكان بإمكان كليكما الاستحمام به.»

فتحت حقيبتها بإحدى يديها ومررت زجاجة صغيرة إلى الوراء لستانلي. لقد كان لها رائحة منعشة ولاذعة نوعاً ما. وأعطاها لزيرو.

سأل ستانلي، «ما اسمه؟»

قالت السيدة مورينغو، «لم نبتكر اسماً له بعد.»

قال زيرو، «تبدو رائحته مألوفة.»

سألت السيدة مورينغو، «دراق، أليس كذلك؟ ذلك هو ما يقوله الجميع.»

بعد فترة قصيرة، غرق الصبيّان في النوم، وكانت السماء وراءهما قد تحولت إلى اللون الأسود، وللمرة الأولى، منذ ما يزيد عن مائة عام، سقطت قطرة من المطر داخل البحيرة الفارغة.

الجزء الثالث

ملء الحفر


Twitter: @alqareah

50

تصرّ والدة ستانلي على أنه لم تكن هناك أبداً أي لعنة. لقد كانت حتى تشك بها إذا كان جد جد ستانلي قد سرق حقاً خنزيراً. من ناحية أخرى، ربما يجد القارئ من المثير للاهتمام أن والد ستانلي قد اخترع علاجه لرائحة القدمين في اليوم الذي تلا قيام حفيد حفيد إليا يلناتس بحمل حفيد حفيد حفيد السيدة زيروني وصعد به الجبل.

قام النائب العام بإغلاق مخيم غرين ليك، واضطرت السيدة واكر، التي كانت في حاجة ماسة إلى المال، إلى بيع الأرض التي كانت ملكاً لعائلتها منذ أجيال. وتم شراؤها من قِبل منظمة وطنية مخصصة لرفاه الفتيات الصغيرات. وفي غضون بضع سنوات، سيصبح مخيم غرين ليك مخيماً للفتيات الكشافة.

هذه، تقريباً، هي نهاية القصة. ربما لا يزال يوجد لدى القارئ بعض الأسئلة، ولكن للأسف، من الآن فصاعداً، ستكون الإجابات طويلة ومملة. فبينما كانت السيدة بيل، معلمة الرياضيات السابقة لستانلي، ربما تريد أن تعرف النسبة المئوية لتغير وزن ستانلي، ربما يهتم القارئ أكثر بشأن التغير في شخصية ستانلي وثقته بنفسه.

ولكن تلك التغيرات دقيقة ومن الصعب قياسها. ولا توجد إجابة بسيطة.

وحتى محتويات الحقيبة، فقد اتضح أنها كانت مملة، حيث قام والد ستانلي بفتحها عنوة في ورشته، وفي البداية شهق الجميع عند رؤية المجوهرات البرّاقة، واعتقد ستانلي أنه وهيكتور قد أصبحا من أصحاب الملايين، ولكن المجوهرات كانت ذات نوعية رديئة، ولا تزيد قيمتها عن عشرين ألف دولار.

كان يوجد تحت المجوهرات كومة من الأوراق التي كانت، ذات يوم، تخّص لستانلي يلناتس الأول. وكانت تتألف من شهادات وسندات برهن عقاري وسندات إذنيّة. وكان من الصعب قراءتها، ومن الأصعب حتى فهمها. وقد أمضى مكتب المحاماة الخاص بالسيدة مورينغو أكثر من شهرين في دراسة كافة الأوراق دراسة دقيقة.

واتضح أنها كانت أكثر قيمة بكثير من المجوهرات. فبعد اقتطاع الرسوم والضرائب القانونية، حصل كل من ستانلي وزيرو على أقل من مليون دولار.

ولكن ليس أقل بكثير.

فقد كان ذلك كافياً لأن يشتري ستانلي منزلاً جديداً لعائلته، مع مختبر في الطابق السفلي، ولأن يقوم زيرو بتوظيف فريق من المحققين الخاصين.

ولكن قد يكون من المضجر الخوض في كافة التفاصيل المملة بشأن كل التغييرات التي حدثت في حياتهما. وبدلاً من ذلك، سيتم

تقديم مشهد واحد أخير للقارئ، والذي حدث بعد ما يقرب من سنة ونصف السنة من مغادرة ستانلي وهيكتور لمخيم غرين ليك.

ستقوم أنت بملء الحفر بنفسك.

كانت هناك حفلة صغيرة في منزل عائلة يلناتس. وفيما عدا ستانلي وهيكتور، كان الجميع هناك من الكبار. وكان قد تم ترتيب كافة أنواع الوجبات الخفيفة والعصائر على الطاولة، بما في ذلك الكافيار، والشمبانيا، والعناصر المكونة لصنع بوظة صنديه.

وكانت تعرَض على التلفاز المباراة النهائية في بطولة دوري كرة القدم الأميركية، سوبر بول، ولكن لم يكن أحد، في الواقع، يشاهد التلفاز.

أعلنت السيدة مورينغو، «لا بد أنه سيأتي وقت الاستراحة التالي.»

تم إعلان انتهاء الشوط الأول في لعبة كرة القدم، وظهر الإعلان التجاري على الشاشة.

توقف الجميع عن الكلام ليشاهدوه.

عرض الإعلان التجاري مباراة بيسبول. ووسط سحابة من الغبار، انزلق كلايد ليفنغستون ليصل إلى القاعدة الأخيرة عندما كان متلقي الكرة قد أمسك الكرة وحاول أن يضربه بها ليخرجه من المباراة.

صاح حكم المباراة وهو يشير بذراعيه «آمن!»

هتف الناس في منزل ستانلي مشجعين كما لو أن الجري كان مهماً حقاً.

نهض كلايد ليفنغستون، ونفض التراب عن زيّه. وعندما كان في طريقه عائداً إلى مكان جلوس اللاعبين، تحدث إلى الكاميرا. «مرحباً، أنا كلايد ليفنغستون، ولكن الجميع هنا من حولي ينادونني 'سويت فيت.'»

قال لاعب بيسبول آخر، وهو يصفع يده، «أحسنت يا سويت فيت!»

وإضافة إلى كونه على شاشة التلفاز، كان كلايد ليفنغستون يجلس كذلك على الأريكة بجانب ستانلي.

وقال كلايد ليفنغستون الذي يظهر في التلفاز، «ولكن قدميّ لم تكونا دائماً حلوتين،» وهو يجلس على المقعد الخاص باللاعبين. «لقد كانت لهما رائحة سيئة للغاية بحيث لم يكن أحد يجلس إلى جانبي على المقعد الخاص باللاعبين.»

وقالت امرأة كانت تجلس على الأريكة على الجانب الآخر لكلايد، «لقد كانت لهما رائحة كريهة حقاً.» وأمسكت أنفها بإحدى يديها وحركت الهواء بيدها الأخرى.

أسكتها كلايد.

وقال كلايد الذي يظهر على التلفاز، «ثم أخبرني أحد زملائي في الفريق عن سبلوش.» وأخرج عبوة سبلوش من تحت المقعد الخاص باللاعبين، ورفعها ليراها الجميع. «أقوم فقط برش القليل

منها على كل قدم في كل صباح، والآن أصبح لدي فعلاً قدمان حلوتان، إضافة إلى ذلك، فإنني أحب الإحساس بالوخز الخفيف.»

قال أحد الأصوات، «سبلوش، علاج لقدميك. مصنوع من مكونات طبيعية، وهو يقضي على الفطريات والبكتيريا المسببة للرائحة. إضافة إلى ذلك، فإنك سوف تحب الإحساس بالوخز الخفيف.»

صفق جميع من كانوا في الحفلة.

قالت المرأة التي كانت تجلس بجانب كلايد، «لم يكن يكذب. لم يكن بإمكاني حتى أن أكون في الغرفة ذاتها التي توجد فيها جواربه.»

ضحك الأشخاص الآخرون الذين كانوا في الحفلة.

وتابعت المرأة، «إنني لا أمزح. لقد كان ذلك سيئاً جداً ــــ»

قال كلايد، «لقد أوضحت وجهة نظرك،» وهو يغطي فمها بيده. ونظر إلى الوراء نحو ستانلي. «هل تقدِّم لي معروفاً يا ستانلي؟»

رفع ستانلي كتفه الأيسر وخفضه.

قال كلايد، «سوف أتناول المزيد من الكافيار. ابقِ يديك على فم زوجتي.» وضرب على كتف ستانلي وهو ينهض عن الأريكة.

نظر ستانلي بتشكك إلى يده ثم إلى زوجة كلايد ليفنغستون.

فغمزته.

شعر أنه احمّر خجلاً، ثم التفت نحو هيكتور، الذي كان يجلس على الأرض أمام كرسي محشو بإفراط.

وكانت المرأة، التي كانت تجلس على الكرسي خلف هيكتور، تنفش شعره بأصابعها وهي شاردة الذهن. لم تكن كبيرة جداً بالسن، ولكن كانت بشرتها تبدو مقشرة بفعل الجو، مثل الجلد تقريباً. وكانت عيناها تبدوان ضجرتين، كما لو أنها رأت الكثير من الأشياء في حياتها بحيث أنها لا ترغب أن ترى. وعندما ابتسمت، بدا فمها كبيراً جداً بالنسبة لوجهها.

وبهدوء شديد، أخذت تغني قليلاً وتهمهم قليلاً أغنية اعتادت جدتها أن تغنيها لها عندما كانت طفلة صغيرة.

يا ليت، يا ليت، القمر لم ينطق برد؛
يعكس الشمس وكل ما مرّ؛
كن قوياً يا ذئبي المتعب، وتجوّل بجرأة؛
حلّق عالياً يا عصفوري الصغير؛
يا ملاكي، يا حبي الوحيد.

الحُفر

الرواية / الفيلم السينمائي

هناك فرق شاسع بين كتابة رواية وكتابة سيناريو، فصيغة السيناريو تتضمن أوصافاً واتجاهات صريحة لا بد من اتباعها. ولا يشترك العديد من المؤلفين في النسخة السينمائية لروايتهم. لم يقم لويس ساكار فقط بكتابة الرواية، وإنما عمل في كتابة السيناريو، أيضاً. وإليك ما كان لديه ليقوله عن الفروق بين كتابة رواية وكتابة نص لفيلم:

الشيء الأصعب بالنسبة لي في كتابة السيناريو كان تعلّم رواية قصة بالصور وليس بالكلمات. ومحاولة فهم ما كتبته على الصفحة، وكيف كان ذلك سيبدو على الشاشة.

كتبت خمس مسودات للرواية، وحيث أنني كنت لا أزال أبتكر القصة أثناء كتابتها، كان هناك الكثير من التغييرات من المسودة الأولى إلى المسودة الأخيرة. فبالكاد يمكن حتى تمييز ما جاء في المسودة الأولى. لقد كان الأمر مختلفاً بالنسبة للفيلم حيث أنني كنت قد ابتكرت القصة فعلياً. وتلك لم تتغير كثيراً. لقد كان الأمر بالأساس مجرد محاولة معرفة كيف يجب تقديمها على الشاشة. وحتى ذلك تطلّب ما لا يقل عن أربع مسودات، مع القيام بإجراء تغييرات حتى في يوم التصوير.

على سبيل المثال، عندما كنت أكتب الرواية، كانت فكرتي الأولية هي أن تكون المديرة هي حفيدة كيت بارلو المقبّلة. ولم أكن قد عرفت من كانت كيت بارلو عند تلك المرحلة. ربما استخدمت كيت بارلو المقبِّلة أحمر شفاه سام، وذلك ما جعل المديرة تحصل على فكرة طلاء الأظافر السام. كان ذلك قبل أن أبتكر قصة سام وكيت. وبمجرد أن ابتكرت تلك القصة، وجدت أنني أحببت كيت جداً، أكثر من أن تكون ذات صلة بالمديرة، لذا، فقد جعلت المديرة ذات صلة بتراوت واكر بدلاً من ذلك. تم تقرير كل ذلك في الرواية.

لقد عدت لكتابة الروايات، ولكن كان العمل في نسخة الفيلم السينمائي لـ الحفر ممتعاً.

أنت تعرف كيف تتطور القصة في الرواية. والآن اقلب الصفحة لإلقاء نظرة سريعة على بعض المشاهد من السيناريو الأصلي للفيلم السينمائي الكبير *الحُفر*.

(سبق وأن تم وصف هذه المشاهد
على الصفحات 146-161
في الكتاب الذي تحمله بين يديك)

133 خارجي. منطقة الحَفر 3 - نهاراً 133

تتوقف شاحنة نقل الماء.

ستانلي، المطرة في يده، الرؤوس متجهة نحوها. تمر بالقرب من تويتش المرهق.

ستانلي

الحفرة الأولى هي الأصعب.

السيد سير يملأ المطرات.

ستانلي يحدّق في مشهد الأرض الوعرة، ومن ثم يعود بنظره إلى الشاحنة. يلتف حولها بهدوء إلى أن يصل إلى جانبها.

من خلال النافذة، المفاتيح تتدلى من قفل التشغيل.

ستانلي ينظر إلى تويتش، ثم يبدأ هو نفسه بالارتعاش. أصابعه تضرب على رجل بنطاله. يندفع فجأة فاتحاً الباب إلى داخل الشاحنة، ويقفز إلى مقعد السائق.

السيد سير

هيه!

يشغل المحرك. يصدر صوت صفير لأنه لم يقم بوضع حزام الأمان. عندما يركض السيد سير نحوه، يدوس على دواسة البنزين. يصدر المحرك صوت هدير، ولكن الشاحنة لا تتحرك.

تويتش

أدخل ناقل الحركة في مكانه!

يصل السيد سير إلى الشاحنة ويمسك الجزء الداخلي من إطار الباب.

ينقل ستانلي ناقل الحركة الآلي إلى .D، الذي يعني قيادة (Drive).

تندفع الشاحنة إلى الأمام، يلتف السيد سير ويسقط أرضاً. يهتف الأولاد مشجعين بينما تواصل الشاحنة تسارعها.

134 داخل الشاحنة - منطقة الحفر 3 - نهاراً 134

يمسك ستانلي بعجلة القيادة بإحكام، وتنطلق الشاحنة مسرعة وهي تصدر صوت هدير. قدمه تضغط على الدواسة حتى تلامس الأرض. يقفز في مقعده، ويفقد السيطرة. ومن ثم بام! ينفجر كيس

الهواء، ويُفتَح الباب فجأة، وينقذف ستانلي خارج الشاحنة عندما تنهار داخل إحدى الحفر.

135 خارج الشاحنة - منطقة الحفر 3 - نهاراً 135

يهتف الأولاد مشجعين حتى بصوت أعلى عندما يرون الشاحنة منتصبة خارج الحفرة. يهز السيد سير رأسه ويمشي بثبات نحوها.

يتأوه ستانلي، ويسحب نفسه إلى الأعلى، وينظر إلى الخلف، ويبدأ بالركض، ومطرته الفارغة تصفع فخذه. ويختفي في الضباب.

زاوية تصوير على الشاحنة

وراءها، بعيداً، تقترب مجموعة أخرى من الأولاد والمرشدين من مختلف الجهات، وهم يبدون إعجابهم بعمل كيفمان.

لمب

أنت تهزأ بي . . .

كيفمان فعل هذا؟

زيغزاغ

نعم، قواعد الخيمة د، أيها الرجل.

136 خارجي. حوض البحيرة الجافة - نهاراً 136

الحفر قليلة ومتباعدة. الأيدي على الركب، ستانلي يلتقط أنفاسه. ينظر إلى الوراء ليرى جميع المخيّمين يحيطون بالشاحنة.

يمر ستانلي بمجموعة من الحفر. ويدوس على كومة تراب وينظر إلى الأسفل.

زاوية تصوير على ست سحالي مرقطة ببقع صفراء تحدّق في وجهه من قاع حفرة.

ستانلي يجري، ومطرته الفارغة تصفعه. دويّ لأصوات بعيدة ولصوت دوران محرك الشاحنة تتناهى إلى مسامعه. مرهق، يبطئ إلى المشي.

137 خارجي. منطقة الحَفر 3 - نهاراً 137

جميع من في المخيم يحاولون إخراج شاحنة نقل الماء من الحفرة.

138 خارجي حوض البحيرة الجافة - نهاراً 138

يتوجه ستانلي نحو خط الأفق. تبزغ الشمس من خلال الضباب لتضيء إبهام الرب.

ستانلي حائر بشأن شيء يتحرك في الريح. كيس الخيش الفارغ الخاص ببذور دوّار الشمس التي يتناولها السيد سير. يلتقطه، ثم يلاحظ هيكلاً محطماً على مسافة بعيدة.

يأخذ الكيس الفارغ، ويتجه نحو ما يبدو أنه مركب قديم محطم، ومقلوب رأساً على عقب، ونصف مدفون في التراب.

يدور حوله، أحرف باهتة لا تزال مرئية على مؤخرة القارب: ماري لو. تم حفر حفرة، ما جعل من المرجح وجود شيء يعيش تحت القارب.

توجد حركة هناك. يقفز ستانلي إلى الوراء. تخرج من الحفرة ذراع مغطاه بكم برتقالي اللون، يظهر زيرو، هزيل.

ستانلي

هيه، زيرو!

زيرو

هل لديك أي ماء؟

ستانلي

لا، حاولت أن أحضر شاحنة نقل الماء بكاملها. ولكنني قدتها إلى داخل إحدى الحفر.

زيرو

ماذا يوجد في الكيس؟

ستانلي

إنه فارغ. هيا، من الأفضل لنا أن نعود إلى المخيم.

زيرو

لن أعود. ... هل تريد بعضاً من السبلوش؟

ستانلي

ماذا؟

يزحف زيرو عائداً إلى حفرته.

يتبعه ستانلي.

139 داخلي. حوض البحيرة الجاف - تحت القارب - نهاراً 133

يزحف ستانلي إلى داخل الحيز الضيق. يدخل القليل جداً من الضوء من خلال الشقوق الموجودة على «سقف» القارب. جاروفه ملقى على الأرض، وسط مرطبانات قديمة متناثرة.

زيرو يكافح ليفتح أحد مرطبانات الدراق المتبّل القديمة الخاصة بـ كيت بارلو.

أخيراً، يرفع نهاية نصل الجاروف.

زيرو

في بعض الأحيان تكون مضطراً لـ ...

يضرب أعلى المرطبان على نصل الجاروف، ما يؤدي إلى كسر الغطاء.

غير مبال بالزجاج المكسور، يلعق بسرعة الجزء السفلي المسنن من الغطاء، ثم الحواف المسننة من المرطبان، بدون أن يدع أي شي ينسكب.

زيرو

خذ.

مقدِّماً المرطبان لستانلي.

ستانلي

ما هو؟

زيرو

سبلوش. ذلك هو ما أسميه.

يأخذ ستانلي المرطبان، وينظر إليه، متردداً.

ستانلي

من أين تحصل عليه؟

زيرو

هنا، تحت القارب. إشربه. إنه جيد.

يلف ستانلي المرطبان محاولاً إيجاد حافة ناعمة. يومئ زيرو برأسه مشجعاً. يأخذ ستانلي رشفة.

ستانلي

ذلك جيد...

يأخذ ستانلي جرعة أخرى.

ستانلي

كم عدد المتبقي لديك؟

زيرو

ذلك آخر مرطبان.

ستانلي

أوه، أيها الرجل، علينا أن نعود الآن.

زيرو

لن أعود.

ستانلي

ولكنك سوف تموت هنا. ...!

أنظر، سوف نقوم فقط بإخبار المديرة أين وجدت فعلياً علبة أحمر شفاه كيت بارلو، وستكون سعيدة جداً، ولن نتورط حتى. ...

زيرو

ما هو مار- يا لو- و؟

يحدق ستانلي. ويخرج زيرو وهو يتعثر إلى السطح. ويتبعه ستانلي.

140 خارجي. حوض البحيرة الجافة - نهاراً 140

يشير زيرو إلى الأحرف المقلوبة المكتوبة على مؤخرة القارب.

ستانلي

ماري لو.

زيرو

كنت أعتقد أن Y تعطي الصوت Yuh.

ستانلي

إنها كذلك في بداية الكلمة، ولكن في نهاية الـ ...

(فجأة تخطر له فكرة)

أترى ذلك الجبل هناك؟

هل يبدو لك أنه يشبه شيئاً ما؟

يتبع زيرو نظرة ستانلي، ومن ثم تظهر له إشارة الإبهام المرفوع.

141 خارجي. حوض البحيرة الجافة - نهاراً 141

زاوية تصوير من الأعلى، يوجد شخصان ضعيفان صغيران يمشيان بصعوبة عبر حوض البحيرة الجافة الهائل.

زيرو (صوته بدون صورته)

أتساءل من تكون؟

ستانلي (صوته بدون صورته)

من؟

زيرو (صوته بدون صورته)

ماري لو. لا بد أن أحدهم قد أحب اسمها. وأطلق على قاربه اسمها.

ستانلي (صوته بدون صورته)

نعم، أراهن أنها كانت تبدو رائعة بلباس السباحة. ...



خطوات صغيرة

متابعة رائعة لـ
الحُفر

بعد سنتين من إطلاق سراحه من مخيم غرين ليك، يعود آرمبيت إلى منزله في أوستن، بولاية تكساس، محاولاً تغيير حياته كلياً. ولكن الأمر يكون صعباً عندما تكون صاحب سجل أسبقيات، والجميع يتوقع منك الأسوأ. والشخص الوحيد الذي يثق بـ آرمبيت هو جيني، جارته المعوّقة ذات السنوات العشر. ويقومان معاً بتعلم أخذ خطوات صغيرة.

يبدو أن آرمبيت يسير على الطريق الصحيح إلى أن يأتي إكس ري، أحد الأصدقاء من مخيم غرين ليك، بخطة للثراء السريع. وتؤدي خطة إكس ري لجمع المال إلى جعل آرمبيت يواجه، بشكل غير متوقع، مشاعر عاطفية تجاه مغنية البوب المراهقة كيرا ديليون، وفجأة تخرج حياة آرمبيت عن السيطرة. وهناك شيء واحد أكيد: لن يكون أبداً هو نفسه مرة أخرى.

خطوات صغيرة



أتت سيارة هوندا سيفيك صدئة ومحدثة ضجة إلى الشارع وتوقفت مقابل منزل رئيس البلدية. كان آرمبيت قد أنهى حفر خندقه، وكان يقوم بوصل أنبوب بي في سي (البوليفينيل كلورايد، PVC). وكان رئيس البلدية قد عاد إلى الداخل.

كان باب السيارة الذي من جهة السائق مبعوجاً إلى الداخل، وكان إصلاحه سيكلف أكثر من ثمن السيارة. وكان يتعين على السائق أن يرفع نفسه فوق مقبض نقل الحركة، ومن ثم الخروج من جهة الراكب.

وكان مكتوب على لوحة أرقام المركبة الشخصية: إكس ري.

صاح إكس ري، «آرمبيت!» وهو يعبر الشارع. «آرمبيت!»

لم يكن الأشخاص في العمل يعرفونه بذلك الإسم، ولكن إن لم يقل شيئاً فإن إكس ري سيواصل الصياح. من الأفضل الرد وإسكاته.

رد عليه، «هيه.»

قال إكس ري عندما اقترب، «أيها الرجل إنك تتصبب عرقاً حقاً.»

«نعم، حسناً، سوف تتصبب عرقاً أنت أيضاً إذا كنت تحفر.»

قال إكس ري، «لقد حفرت بالفعل من التراب ما يدوم عمراً بأكمله.»

لقد تقابلا معاً في مخيم غرين ليك.

قال آرمبيت، «أنظر، لا تنادني آرمبيت بين أشخاص آخرين، حسناً؟»

«ولكن ذلك هو اسمك، يا صديقي، وينبغي أن لا تشعر أبداً بالخجل ممن تكون.»

لقد كان إكس ري يتمتع بابتسامة تمنعك من أن تكرهه مهما كان مزعجاً. لقد كان نحيلاً، ويرتدي نظارات كانت مغطاة الآن بمشبك حجب أشعة الشمس.

والتقط جاروف آرمبيت، «شكل مختلف.»

«نعم، إنه لحفر الخنادق، وليس الحفر.»

تمعن إكس ري فيه لفترة قصيرة. «يبدو أن الحفر به أكثر صعوبة. بدون قوة رفع.» تركه يسقط. «إذن، لا بد أنك تكسب الكثير جداً من المال.»

هز آرمبيت كتفيه. «إنني أتدبر أموري بشكل جيد.»

كرر إكس ري، «الكثير جداً من المال.»

شعر آرمبيت بعدم ارتياح بالحديث عن المال مع إكس ري.

«إذن حقاً، كم يبلغ ما وفرته حتى الآن؟»

«لا أعلم، ليس بالكثير.»

كان يعرف بالضبط كم كان لديه، ثمانمائة وسبعة وخمسون دولاراً. وكان يأمل أن يتجاوز الألف مع حصوله على راتبه القادم.

قال إكس ري، «لا بد أن يكون ألف، على الأقل. إنك تعمل منذ ثلاثة أشهر.»

«بدوام جزئي فقط.»

إضافة إلى العمل، كان آرمبيت يحضر درسين في مدرسة صيفية. كان يتعين عليه تعويض كل ما فاته من الدراسة عندما كان في غرين ليك.

«ويقتطعون ضرائب وما إلى ذلك، لذا فإنني في الواقع لا أخذ إلى المنزل ذلك القدر.»

«ثمانمائة؟»

«لا أعرف، ربما.»

قال إكس ري، «إن سبب سؤالي، إن سبب سؤالي هو أن لدي عرض عمل لك. ما رأيك في مضاعفة نقودك في أقل من أسبوعين؟»

ابتسم آرمبيت وهو يهز رأسه. «لا أعتقد ذلك.»

«أريد فقط ستمائة دولار، مضاعفة نقودك مضمونة. ولن أقتطع أي ضرائب.»

«أنظر، الأمور تسير على ما يرام بالنسبة لي الآن، وأريد أن أبقي الأمر هادئاً.»

«ألا تريد أن تسمعني حتى إلى النهاية؟»

«ليس تماماً.»

أكّد له إكس ري، «إنه ليس ضد القانون. لقد تحققت من ذلك.»

«نعم، ولم تعتقد أن بيع أكياس صغيرة من البقدونس مقابل خمسين دولاراً للأونصة كان ضد القانون، أيضاً.»

«هيه، إنه ليس خطأي ما يعتقد الناس أنهم يشترونه. كيف يكون ذلك خطأي؟ هل من المفترض أن أكون قارئ أفكار؟»

كان قد تم إرسال إكس ري إلى مخيم غرين ليك لقيامه ببيع أكياس من البقدونس والأوريجانو المجففين إلى زبائن كانوا يعتقدون أنهم كانوا يشترون ماريجوانا. وذلك كان أيضاً السبب الذي اضطر عائلته إلى الانتقال من لوبّوك إلى أوستن بعد وقت قصير من إطلاق سراحه.

قال آرمبيت، «أنظر، لا أريد أن أفعل أي شيء يمكن أن يدمر كل شيء.»

«ذلك هو ما تعتقده؟ أنني أتيت إلى هنا لتدمير كل شيء؟ يا رجل، إنني أعرض عليك فرصة، فرصة. لو أتى إليك الأخوان رايت، لكنت ستقول لهما إنه من المستحيل الطيران.»

سأل آرمبيت، «الأخوان رايت؟ في أي عصر تعيش أنت؟»

قال إكس ري، «إنني فقط لا أفهم، إنني لا أفهم الأمر، أقوم بعرض فرصة على أفضل أصدقائي ليضاعف نقوده، وهو لا يستمع حتى إلى فكرتي.»

«حسناً، أخبرني عن فكرتك.»

«لا عليك. إذا كنت غير مهتم سوف أجد شخصاً آخر.»

«أخبرني عن فكرتك،» كان قد بدأ في الواقع يشعر بشيء من الفضول.

سأل إكس ري، «ما الفائدة؟ إذا كنت لن تستمع حتى ...»

قال آرمبيت، «حسناً، إنني أستمع.»

ابتسم إكس ري، «كلمتان فقط.»وتوقف لإحداث تأثير. «كيرا ديليون.»

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف في أوستن، ولكن كان الوقت متقدماً ساعة في أتلانتا، حيث استيقظت للتو كيرا ديليون، فتاة أميركية من أصل إفريقي تبلغ السابعة عشرة من عمرها. كان

وجهها مضغوطاً على بيلو التي كانت، في الواقع، وسادة. لم يكن قد تبقى الكثير من الحيوية في الحشو، وكانت الحواف مهترئة. وصورة الدب مع البالونات، التي كانت ذات مرة تظهر بألوان زاهية، قد أصبحت باهتة جداً لدرجة أنها كانت بالكاد مرئية.

نهضت كيرا من السرير وهي تترنح. وكانت ترتدي بنطالاً قصيراً، وتفك أزرار سترة بيجامتها وهي في طريقها إلى ما كانت تعتقد أنه كان الحمام. فتحت الباب، ثم صرخت بصوت حاد. كان هناك رجل أبيض يبلغ الثلاثين من عمره، يجلس على إحدى الأرائك ويحدّق في وجهها. أمسكت نصفي سترة بيجامتها معاً وصفعت الباب بقوة.

ارتد الباب وانفتح.

صاحت كيرا على الرجل، «أيها الأحمق!» ثم أغلقت الباب مرة أخرى، متأكدة من أنه قد أغلق هذه المرة. وصرخت، «ألا يمكن للمرء أن يحصل على بعض الخصوصية هنا!» ثم ذهبت إلى الحمام الذي كان على الجانب المقابل لسريرها.

على مدى الأسابيع الثلاثة والنصف الماضية، كانت قد أقامت في تسعة عشر جناحاً فندقياً مختلفاً، ولم يكن يقل عدد الغرف في كل منها عن ثلاث غرف، وأحدهما كان فيه ست غرف. إذن، في الواقع، لا عجب أنها دخلت من خلال الباب الخطأ. ولم تكن تتذكر حتى في أي مدينة كانت هي متواجدة.

كانت تشتبه في أن بولي، طبيبتها النفسية، قد تقول لها إنها فعلت ذلك عن عمد، شيء ما عن رغبتها في إظهار جسدها

لحارسها الشخصي. وربما كان من الأفضل لها عدم إخبار بولي عن الأمر. لقد كان من المفترض أن يكون كل شيء قالته في جلسات علاجها سرياً، ولكن كيرا تشتبه في أن بولي، مثل الببغاء، قد كررت كل شيء لـ إل جينيوس.

لم يكن لديها خصوصية - حتى في غرفتها في الفندق، ولا حتى في أفكارها الخاصة.

وكانت المشكلة أنه لم يكن هناك، باستثناء بولي، أي شخص في رحلتها بإمكانها التحدث إليه. بالتأكيد ليس والدتها، وليس حارسها الشخصي الأحمق. وقد كانت أعمار جميع الأشخاص الذين في فرقتها لا تقل عن أربعين عاماً، وكانوا يعاملونها كما لو كانت طفلة جاهلة. وكان مغنو الكورس في أواخر العشرينيات من أعمارهم، ولكن كان يبدو أنهم كانوا يستاؤون من كونها محور الاهتمام.

وكان الوقت الوحيد الذي كانت تشعر فيه بأنها في سلام هو عندما كانت تغني، فعندئذ تكون هي والأغنية فقط هناك، ويختفي أي شخص آخر.

كانت جولتها الموسيقية ستأخذها إلى ما يصل مجموعه إلى أربع وخمسين مدينة، لذا، لم تكن قد أنهت نصف الجولة بعد. وكانت الآن في الجناح الغربي. سيذهبون من أتلانتا إلى جاكسونفيل، ثم إلى ميامي وبيرمنغهام وممفيس وناشفيل وليتل روك وباتون روج، ويواصلون إلى ولاية تكساس: هيوستن وأوستن ودالاس. في الأصل، كان من المفترض أن تتضمن الجولة سان أنطونيو بدلاً من أوستن، ولكن تم تغيير ذلك في اللحظة الأخيرة بسبب سباق رالي

الشاحنات الضخمة في ألامودوم - وما كان ذلك التغيير ليهمّ كيرا، أو حتى أنها عرفت بشأن التغيير.

كان هناك أشخاص آخرون يعتنون بكل الأمور. وكانت كيرا قد تركت بيلو، عن غير قصد، في نيوهيفن، وعادت أيلين، منسقة السفر في الجولة، بالطائرة إلى كونتيكت، وبحثت شخصياً في غسيل الفندق إلى أن وجدتها.

* * *

خرجت كيرا من الحمام بعد ثلاثين دقيقة وهي ترتدي رداء الحمام الخاص بالفندق. واتصلت بخدمة الغرف، وطلبت كوباً من عصير البرتقال وبانكيك وكابوتشينو وأصابع البطاطا المقلية. وكان يجب أن تكفيها هذه حتى موعد الحفلة الموسيقية. إذ أنها لو حاولت أن تأكل قبل الحفلة الموسيقية، فإنها ستتقيأ. وبعد الحفلة، كانت تتناول عادة صحناً من المثلجات.

ارتدت ملابسها، ثم خرجت إلى مكان الجلوس في الردهة. كان فريد، حارسها الخاص الأحمق، لا يزال هناك، يراجع رسائلها البريدية.

«بمجرد أن أصبح في الثامنة عشرة من عمري، سوف تكون الشخص الثاني الذي سأطرده.»

لم يرفع فريد نظره حتى. لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يسمع فيها ذلك.

كان التلفاز على قناة سي إن إن، فقامت كيرا بتغيير المحطة إلى شبكة أفلام الصور المتحركة.

سيكون الشخص الأول الذي تود أن تطرده هو إل جينيوس. لقد كان مدير ووكيل أعمالها، وكان أيضاً متزوجاً من والدتها. فقد تزوجا قبل فترة قصيرة من بدء الجولة. وكان اسمه الحقيقي هو جيروم بيسلي، ولكنه كان في الواقع يرغب في أن يناديه الناس إل جينيوس. ومهما حاولت كيرا جاهدة أن تبدو ساخرة عندما كانت تستخدم الإسم، كان دائماً يعتبر ذلك مجاملة.

لقد قتِل والدها في العراق، وكان اسمه جون سبيرز. وكان اسم كيرا الحقيقي هو كاثي سبيرز، ولكن كانت توجد أصلاً مغنية مشهورة تحمل الإسم الأخير ذاته.

وكان إل جينيوس هو الذي ابتكر اسم كيرا ديليون.

وسألته كيرا، «تقصد مثل بونس دي ليون؟»

«من؟»

أحد العباقرة.

أوضحت كيرا للعبقري من كان بونس دي ليون، والذي كان السبب الذي لأجله حمل أول قرص مدمج لها اسم ينبوع الشباب (The Fountain of Youth). واعتقد إل جينيوس أنه كان يبدو من الأناقة تهجئة ديليون ككلمة واحدة، مع وجود حرف كبير في الوسط (DeLeon).

كانت كيرا قد تعلمت كل شيء عن بونس دي ليون عندما كانت في الصف الرابع الابتدائي، وتعيش عند المحطة الجوية البحرية في بينساكولا. وكان يتعين عليها أن تدرس تاريخ فلوريدا. وبحلول نهاية

العام، كانت تعيش في فورت ماير، حيث كانوا يدرسون تاريخ فيرجينيا طوال العام. ولم تمضِ أبداً سنة دراسية بكاملها في المكان ذاته.

سألت فريد، «إذن، أي شيء من بيلي بوي؟»

هز فريد رأسه.

قالت كيرا، «آو، سيء جداً، إنه يكتب رسائل جذابة.»

قال فريد، «هذا ليس مضحكاً.»

قالت كيرا، «أعتقد أنه هزلي.» وغنت، «أوه، أين كنت يا بيلي بوي، بيلي بوي؟ أوه، أين كنت يا بيل الجذاب؟»

كان بيلي بوي قد أرسل إليها أربع رسائل حتى الآن. وأخبرها أنه كان يعتقد أنها كانت جميلة ، وأنها تغني مثل العصفور، وأنه سوف يقتلها يوماً ما.

لقد قام إل جينيوس بتوظيف فريد بعد الرسالة الأولى. وما كانت كيرا لتتفاجأ لو كان إل جينيوس قد كتب الرسائل فعلياً، لتخويفها وإجبارها على البقاء حبيسة غرفتها في الفندق.

لقد كان مهووس سيطرة على الآخرين. وكانت متأكدة من أن فريد كان يخبره بكل شيء كانت تفعله.

قال فريد، «لديك عرض زواج آخر.»

«أبيض أو أسود؟»

تم إرسال صورة مع الرسالة. نظر فريد إليها، وقال، «أبيض.»

سألت كيرا، «ماذا دهاكم أيها الرفاق؟»

لقد كان ذلك العرض السابع الذي يقدَّم إليها، وكان كل منها من رجل أبيض.

وضع فريد الرسالة والصورة، بعناية، داخل كيس بلاستيكي.

«لماذا تفعل ذلك؟»

«مكتب التحقيقات الفدرالي.»

أوضحت كيرا، «لقد قال إنه كان يريد الزواج مني، وليس قتلي.»

قال فريد، «بالنسبة لبعض الناس الأمر سيّان.»

نظرت كيرا إليه، مندهشة. لقد قال الأحمق، في الواقع، شيئاً معقداً نوعاً ما.

«دعني أرى كيف يبدو.»

أعطاها فريد الكيس البلاستيكي.

ضحكت كيرا عندما رأت الصورة، «إنه يشبهك!» لقد كانت تلك صورة لرجل ذي عضلات كبيرة ولا يرتدي قميصاً. وكان الاختلاف الوحيد بينه وبين فريد هو أن شعره كان طويلاً ومتموجاً، بينما كان شعر فريد قصيراً.

قالت كيرا، «يجب عليك أن تطيل شعرك،» وهي تعطيه الكيس البلاستيكي.

سبعة عروض زواج، ولم يكن لديها أبداً صاحب واحد.

استفد قدر الإمكان مما لديك

من الحائز على ميدالية نيوبيري عن الحُفر

لويس ساكار

كيف يمكننا أن نكون شركاء؟

لا يمكنه رؤية الأوراق وأنا لا أعرف القواعد؟

هذا الصيف، آلتون ريتشاردز يصبح «مقلِّب أوراق لعبة الورق» لعمه الأعمى الثري، لمساعدته في لعب البريدج. ومما أثار دهشته أن هذا العمل غير المألوف، والأشخاص الذين يقابلهم، يقدمون له، في نهاية المطاف، شيئاً يكون شغوفاً بشأنه - ويغيّر حياته.

❊ «رواية مضحكة وتأمليّة.»

- *ببليشرز ويكلي*، حاصلة على نجمة

كتاب الأطفال الأفضل لدى *ببليشرز ويكلي* للعام 2010

الحائز على الجائزة الذهبية لاختيار الآباء للعام 2010

كل عمل عظيم يبدأ بخطوات صغيرة

تتبَّع آرمبيت بعد مغادرته لمخيم غرين ليك. يبدو أنه يسير على الطريق الصحيح، إلى أن يظهر إكس ري بخطة للثراء السريع. وفجأة تخرج حياة آرمبيت عن السيطرة. وهناك شيء واحد أكيد: لن يكون أبداً هو نفسه مرة أخرى.

لويس ساكار هو المؤلف المشهور لكل من خطوات صغيرة (Small Steps) والحُفر (Holes)، ودليل نجاة ستانلي يلناتس إلى مخيم غرين ليك (Stanley Yelnats' Survival Guide to Camp Green Lake)، ويوجد صبي في حمام الفتيات (There's a Boy in the Girls' Bathroom)، والكلاب لا تروي النكات (Dogs Don't Tell Jokes)، وسلسلة مارفن ريدبوست، وذلك من بين قصص أخرى. ويعيش في أوستن، في ولاية تكساس.


Twitter: @alqareah

H O L E S

يرلينغ نيوبيري

يتضمن نظرة خاطفة على خطوات صغِيرة (SMALL STEPS). وهو متابعة لـ الحفر.

إضافة مميزة!

مقتطف من سيناريو الحُفر،

مع تعليق من قِبل المؤلف،

ستانلي يلناتس مصاب بلعنة، لعنة بدأت مع جد جدِه سارق الخنازير الفاسد القذر السيء، ومنذ ذلك الحين لاحقت أجيالاً من عائلة يلناتس. والآن تم إرسال ستانلي ظلماً إلى مركز احتجاز للأولاد، مخيم غرين ليك، حيث يبني الأولاد شخصية من خلال قضاء اليوم بكامله، وكل يوم، في حفر حفر بعرض خمسة أقدام وعمق خمسة أقدام تماماً. ولا توجد بحيرة في مخيم غرين ليك، ولكن هناك عدد هائل من الحفر.

ولكن ما الذي كان من الممكن دفنه تحت بحيرة جافة؟ يحاول ستانلي نبش الحقيقة في هذه القصة المبتكرة والمحزنة بطريقة هزلية عن الجريمة والعقاب - والخلاص.

ISBN 978-9957-39-044-0





الأردن، عمّان، وسط البلد، بناية 12، وبناية 34
ص.ب 7855 هاتف 4638688 6 00962
فاكس 4657445 6 00962 • منشورات 2014